

دولتين

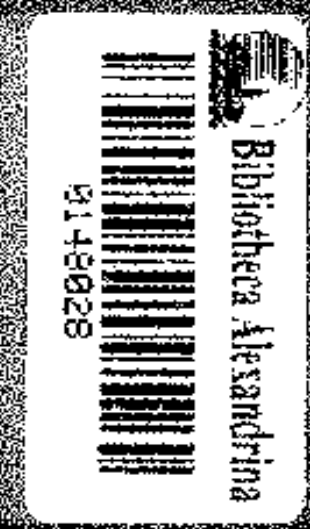
الإحصاءات العامة في مصر

٣

سفر بعثة الجرم

وقصصها الأخيرة

٩



Bibliotheca Alexandrina
5148028

www.alkottob.com

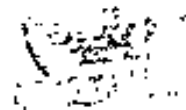
الهيئة العامة لكتبة الإسكندرية

رقم التخصيص

رقم التسجيل

٢٧٨٤١

General Original - Dept of the Alexandria Library (GOAL)



General Original - Dept of the Alexandria Library (GOAL)

www.alkottob.com

للشاعر

(١) شعر

- قصائد أولى ، ط١ ، دار مجلة شعر ، بيروت ، ١٩٥٧ ؛
ط٢ ، دار العودة ، بيروت ، ١٩٧٠ ؛
ط٤ ، دار العودة ، بيروت ، ١٩٧١ ؛
طبعة جديدة ، دار الآداب ، بيروت ، ١٩٨٨ .

- أوراق في الريح ، ط١ ، دار مجلة شعر ، بيروت ، ١٩٥٨ ؛
ط٢ ، دار مجلة شعر ، بيروت ، ١٩٦٣ ؛
ط٣ ، دار العودة ، بيروت ، ١٩٧٠ ؛
ط٤ ، دار العودة ، بيروت ، ١٩٧١ ؛
طبعة جديدة ، دار الآداب ، بيروت ، ١٩٨٨ .

- أغاني مهيار الدمشقي ، ط١ ، دار مجلة شعر ، بيروت ، ١٩٦١ ؛
ط٢ ، دار العودة ، بيروت ، ١٩٧٠ ؛
ط٣ ، دار العودة ، بيروت ، ١٩٧١ ؛
طبعة جديدة ، دار الآداب ، بيروت ، ١٩٨٨ .

- كتاب التحولات والهجرة في أقاليم النهار والليل ،
ط١ ، المكتبة الحصرية ، بيروت ١٩٦٥ ؛
ط٢ ، دار العودة ، بيروت ، ١٩٧٠ ؛
طبعة جديدة ، دار الآداب ، بيروت ، ١٩٨٨ .

- المسرح والمرآيا ، ط١ ، دار الآداب ، بيروت ، ١٩٦٨ ؛
طبعة جديدة ، دار الآداب ، بيروت ، ١٩٨٨ .

وقت بين الرماد والورد ، ط ١ ، دار العودة ، بيروت ، ١٩٧٠ ؛
طبعة جديدة ، دار الآداب ، بيروت ، ١٩٨٠ .

هذا هو اسمي ، دار الآداب ، بيروت ، ١٩٨٠ .

مفرد بصيغة الجمع ، ط ١ ، دار العودة ، بيروت ، ١٩٧٧ ؛
طبعة جديدة ، دار الآداب ، بيروت ، ١٩٨٨ .

كتاب القصائد الخمس ، ط ١ ، دار العودة ، بيروت ، ١٩٧٩ .
كتاب الحصار ، دار الآداب ، بيروت ، ١٩٨٥ .
شهوة تتقدم في شرائط المادة ، دار توتقال للنشر ، الدار البيضاء ، ١٩٨٧ .
استفتاء بالأشياء الغامضة الواضحة ، دار الآداب ، بيروت ، ١٩٨٨ .
أبيجدية ثانية ، دار توتقال ، الدار البيضاء ، ١٩٩٤ .
الكتاب I ، دار الساقي ، بيروت ، ١٩٩٥ .

٢) الأعمال الشعرية الكاملة

ديوان أدونيس ، ط ١ ، دار العودة ، بيروت ، ١٩٧١ ؛
ط ٢ ، دار العودة ، بيروت ، ١٩٧٥ ؛
ط ٣ ، دار العودة ، بيروت ، ١٩٧٩ .

الأعمال الشعرية الكاملة ، دار العودة ، بيروت ، ١٩٨٥ ؛
ط ٥ ، دار العودة ، بيروت ، ١٩٨٨ .

٣) دراسات

مقدمة للشعر العربي ، ط ١ ، دار العودة ، بيروت ، ١٩٧١ ؛
ط ٥ ، دار الفكر ، بيروت ، ١٩٨٦ .
زمن الشعر ، ط ١ ، دار العودة ، بيروت ، ١٩٧٢ ؛
ط ٥ ، دار الفكر ، بيروت ، ١٩٧٩ .

الثابت والمتحول ، بحث في الاتباع والإبداع عند العرب :
الطبعة السابعة (طبعة جديدة ، مزيدة ومنقحة ، في أربعة أجزاء) :

١- الأصول ،

٢- تأصيل الأصول ،

٣- صدمة الحداثة وسلطة الموروث الديني ،

٤- صدمة الحداثة وسلطة الموروث الشعري ،

(دار الساقي ، ١٩٩٤) .

فاتحة لنهايات القرن ، الطبعة الأولى ، دار العودة ، بيروت ، ١٩٨٠ .

سياسة الشعر ، دار الآداب ، بيروت ، ١٩٨٥ .

الشعرية العربية ، دار الآداب ، بيروت ، ١٩٨٥ .

كلام البدايات ، دار الآداب ، بيروت ، ١٩٩٠ .

الصوفية والسوريالية ، دار الساقي ، بيروت ، ١٩٩٢ .

النص القرآني وأفاق الكتابة ، دار الآداب ، بيروت ، ١٩٩٣ .

النظام والكلام ، دار الآداب ، بيروت ، ١٩٩٣ .

ها أنت أيها الوقت ، دار الآداب ، بيروت ، ١٩٩٣ .

(سيرة شعرية ثقافية) .

٤) مختارات

مختارات من شعر يوسف الخال ، دار مجلة شعر ، بيروت ، ١٩٦٢ .

ديوان الشعر العربي :

الكتاب الأول ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ١٩٦٤ .

الكتاب الثاني ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ١٩٦٤ .

الكتاب الثالث ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ١٩٦٨ .

مختارات من شعر السياب ، دار الآداب ، بيروت ، ١٩٦٧ .

مختارات من شعر شوقي (مع مقدمة) ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٨٢ .

مختارات من شعر الرصافي (مع مقدمة) ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٨٢ .

مختارات من الكواكبي (مع مقدمة) ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٨٢ .

- منتخبات من محمد عيده (مع مقدمة) ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٨٣ .
- منتخبات من محمد رشيد رضا (مع مقدمة) ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٨٣ .
- منتخبات من شعر الزهاوي (مع مقدمة) ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٨٣ .
- منتخبات من الإمام محمد بن عبد الوهاب ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٨٣ .
(الكتب الستة الأخيرة ، وضعت بالتعاون مع خالدة سعيد)

٥) ترجمات

مسرح جورج شحادة

- حكاية فاسكو ، وزارة الإعلام ، الكويت ، ١٩٧٢ .
- السيد بوبل ، وزارة الإعلام ، الكويت ، ١٩٧٢ .
- مهاجر يريسبان ، وزارة الإعلام ، الكويت ، ١٩٧٣ .
- البنفسج ، وزارة الإعلام ، الكويت ، ١٩٧٣ .
- السفر ، وزارة الإعلام ، الكويت ، ١٩٧٥ .
- سهرة الأمثال ، وزارة الإعلام ، الكويت ، ١٩٧٥ .

الأعمال الشعرية الكاملة لسان جون بيرس ،

- منارات ، وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، دمشق ، ١٩٧٦ .
- منفى ، وقصائد أخرى ، وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، دمشق ، ١٩٧٨ .

مسرح راسين

- فيلر ومأساة طيبة أو الشقيقتان العنولان ، وزارة الإعلام ، الكويت ، ١٩٧٩ .

- الأعمال الشعرية الكاملة لإيف بونفوا ، وزارة الثقافة ، دمشق ، ١٩٨٦ .

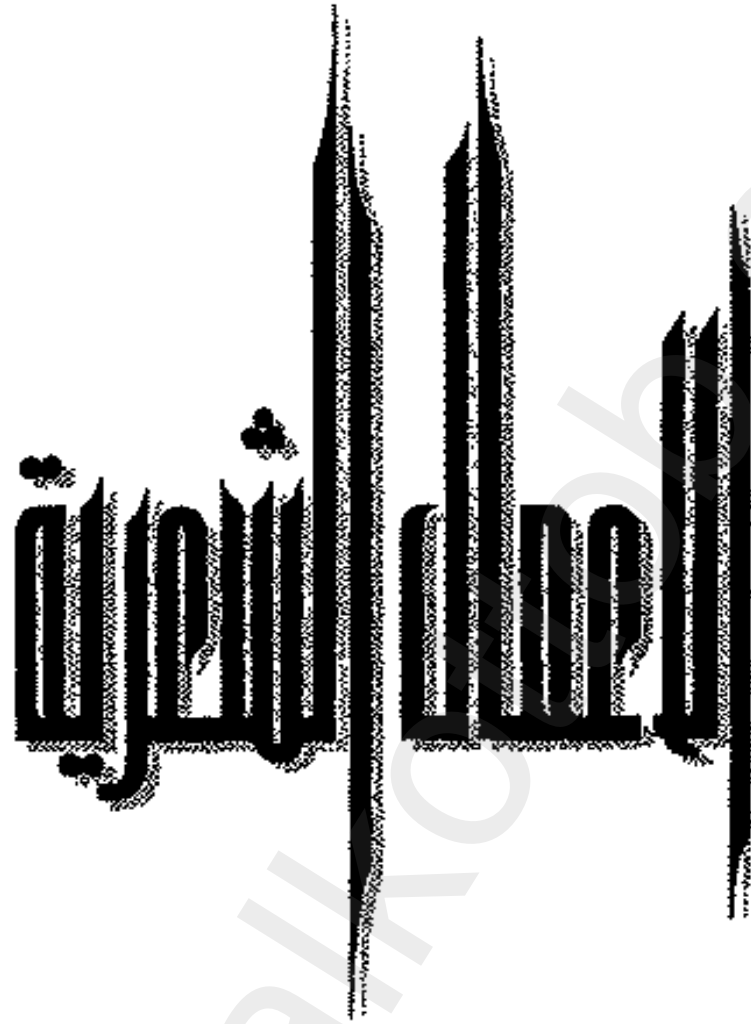


مفرد بصيغة الجمع

وقصائد أخرى

www.alkottob.com

أدونيس



مفرد بصيغة الجمع

وقصائد أخرى

المعنى

منشورات



Author: ADONIS

Title : The Poetical Works, III

Al Mada : Publishing Company

First Published in 1996

Copyright © Al mada

اسم المؤلف : أدونيس

عنوان الكتاب : الأعمال الشعرية / فرد

بمجموعة الجمع وقصائد أخرى

الناشر : دار المدى للطباعة والنشر

تاريخ الطبع : ١٩٩٦

الحقوق محفوظة

دار المدى للطباعة والنشر

سوريا - دمشق صندوق بريد : ٨٢٧٢ أو ٧٣٦٦

تلفون : ٧٧٢٠١٩ - ٧٧٦٨٦٤ - فاكس : ٧٧٢٩٩٢

بيروت - لبنان صندوق بريد : ٣١٨١ - ١١ فاكس : ٤٢٦٢٥٢ - ٩٦١١

Al Mada : Publishing Company F.K.A.

Nicosia - Cyprus , P.O.Box . : 7025

Damascus - Syria , P.O.Box . : 8272 or 7366 . Tel: 7776864 , Fax: 7773992

P.O. Box : 11 - 3181 , Beirut - Lebanon, Fax : 9611- 426252

All rights reserved. No Parts of this Publication may be reproduced, stored in retrieval system , or transmitted in any form or by any means , electronic, mechanical, photocopying, recording or other wise, without prior permission in writing of the publisher.

إشارة

أثرت أن أنشر أعمالِي الشعرية بترتيبٍ آخر: القصائد القصيرة في مجلد ، والقصائد الطويلة في مجلد ، والنصوص غير الموزونة في مجلد . يتخلى هذا الترتيب عن التتابع الزمني ، وفاءً لتتابع البنية والإيقاع . إنه ترتيب ينحاز إلى السياق التشكيلي - الفني الذي يتأسس فيه النص ، وليس إلى تسلسل زمن كتابته أو نشره . هكذا تقطع هذه الطبعة كلياً مع الطبعات السابقة من هذه الأعمال ، إضافة إلى أنها تنسخها . وهي ، إذن ، المعتمدة ، وحدها .

باريس ، نيسان ١٩٩٦
أدونيس

www.alkottob.com

أرواح، يا أميرة الوهم
(مقاطع)

www.alkottob.com

1

الشعر يحرق أوراقه القديمة ، والقصيدة الآتية بلاداً من الرقص ، - آه ،
يا كلمات الموتى ، آه يا بكارة الكلمة . وتلبس القصيدة أهداب الطفولة ،
وتنحشع لكوكب الثدي .

2

للساعات هاربة كمحمل الثلج ، للعمر مجتئحاً بالقش ، تتمزق الحياة ،
وتصير حروفاً أخرى .

هوذا الحبيب يغرق في خليج النهدين . هوذا يعرف المرأة والجزيرة
المسماة امرأة ، وعلى شواطئ العشب العشريني يشعل الموج والزبد ويقطع
خيوط الفجر . هوذا يسبح تحت المشد ، لاصيقاً بالقمر ، في مغارة من الحرير
والحمى .

لينطفئ هذا الجمر ، ليشتعل . لئتمجد هذه الأطراف مصلوبة بالحيا .
تحت شمسها تنمو عرائش العمر ، وجسد الحبيبة الورق ، وجسد الحبيبة
إنجيل من الحرير .

والحبيب ، في فراش الساعات النائمة ، يستفيق من دُوار الغبطة ،
مرسوماً بالعرق ، مزيناً بجسد امرأة .

3

... وتأتين يا طفولة يا تميمة العمر ، والموت يرسم صلباننا ، ويقضم
أطرافنا الحالمة ، وليس عندنا لأرواد غير الشعر وغير أطياف من البحر
والكنائس . وتتركيننا ، يا حضورنا ، لآيماننا الميتة وحفر صغيرة كأجسامنا
مسقوفة بالصلاة والرمل .
املأني ، يا وهم الطفولة - حيث العمر حربة الموت . أمامك أنحنى ،
أصير قوساً من الشعر ، وأستنقذ أنحنائي .

4

التاريخ يُقبل في جريدة ، في لفافة من التبغ ، وأنا بأسوار الإبر أطوق
ذاكرتي ، وأصفي إلى الطفولة :
«شجرة تُفرغ تحت قلمي . شجرة أجهل اسمها . في الشجرة أصوات ،
وبحيرات . وأهدابي سياج يشرد وراءها .
صورة امرأة هذه الشجرة . غيمة تحضن سريري .
أفسحوا لوجهي أن يصارع اليأس . شقوق في نوافذ بيتنا تعذب الضوء ،
والفرح مريض يرقد بلا وسادة . أفسحوا - النهار يرسم المدينة بأصابعي ،
وأنا أسميها امرأةً وحياً ، وأرفع باسمها راية الطفولة .
صورة مدينة هذه الشجرة ، ووراء خصونها يختنق الموت .

وأنتِ يا أهْدائي ، دوري مع كوكبٍ يطلع تحت قدمي ، وانقلبي ضوئه
إلى جنين الأيام الآتية . في جفوني قرية من العصفير تعبر وتعلو . أغفو ،
وعلى سريري يجلس كوكب الشهر .

5

السَّماء ، هذه اللَّيلة ، امرأةٌ تفرش سريري
السَّماء فراشة تسكن المكتبة ، -
وأنا كلماتي بلا وقع . أتوج بريشة قلبي ، وأتزوج الرِّيح ، وليس في
طريقي غير الخرائط الممزقة وغير الرِّعد . لا النهار يعرفني ولا البيت ، وفوق
تراب بلون التسيان ، أترك خطواتي تنمو .

6

أرواد ، يا أميرة الوهم ، أرواد يا أميرة الحضور ، أيها الغزل الآتي من
جلدورنا - أمك وأنا رياحٌ تهاجر ، وأنت الأرض . ولا طريقٌ تلحق بكِ .
وجهك فضاء ، وعينك ثقبان الدنيا . وما أنت تعلمينا قصائد العشب -
حيث نسكن في مدنيةٍ من الجوع والقَتْل ، وحيث تتعلم الحكمة على
طرف خيطٍ من الرصاص .
أرواد ، يا أميرة الوهم ، أميرة الحضور ، لكِ أحك عيني بجلد النهار ،
وفي عروقي أترك سفينة العذاب تترجرج وتبحر .

إنها ساعة الصمت ، ساعة أن أصير شجرة أو نبعاً . إنها ساعة الغبطة ،
ساعة أن أصير عاشقاً أو قصيدة .

لأرواد ، أزرق الهاوية وأفرح - وفي بلادي أنشر حياتي ريفاً كوكبياً ،
وتللاً من القمح والشقائق .

إنها ساعة الولادة ؛ أمتعيني يا سلالة الكلمات ، وانخلي لشعري
أبعاداً أخرى من السرّ والإشارة . ويا طفولة ، يا شعري الخفي المقبل ،
أضيتي وجهي ، وكوني ملجأ الفاجعة . باسمك نهمس تحت الجليد ،
والنهار يقتل النهار - ونصرخ : «الموت يقترب ، والمقابر العاشقة تجلد ثوبها
كلّ يوم» ، وتردين يا طفولة : «أنا الخليفة الطالعة ضدّ الموت» . وتجرح
شفاهنا أغانٍ من اليأس : «الأرض هيكل يهترئ ، والدموع تأسن في
تجاويفها» ، لكنّ أغانيك تأتي إلينا : «أنا الحبّ والشعر - طالعين ضدّ
الموت» .

وأنت ، أيها الحبّ أيها الشعر - لكما نرفع أجسادنا ، لكما نبدع إزتنا
من الموت والطفولة .

(بيروت ، تشرين الأول 1958)

مراثية الأيام العاصرة

www.alkottob.com

www.alkottob.com

عرباتُ النفي
تجتازُ الأسوارُ
بين غناء النفي
وزفير التار .

الريح ثقيلةٌ علينا ورمادُ أيامنا يلبسُ الأرض . نلمح روحنا في بريق
شجرةٍ أو على خوخة ، وفوق جراحنا يتناثر حريف الممالح .
بعيداً تجرّ المأساة وجهَ تاريخنا ، وتاريخنا ذاكرةٌ يثقبها الرعب ، وسهولُ
من الشوك الوحشي .

وعبثاً يتزحزح الباب الموصد . ونصرخ ونحلم بالبكاء ولا دمع في العيون .
وبلادي امرأةٌ من الحمى ، جسرٌ للملذات يعبره القراصنة وتصفق لهم
حشود الرمل . ومن شرفاتها البعيدة تلمح عيوننا أشياء الناس - أصحابي
لقبور الأطفال ، مجامرٌ للأولياء ، شواهدٌ من الحجر الأسود ، والحقول مليئة
بالعظام والرّخم ، وتمائيلُ البطولة جيفٌ ناعمة .
ونمضي ، صدورنا إلى البحر ، وفي كلماتنا يرقد نحيبٌ عصرٍ آخر ،
وكلماتنا لا وريث لها .

نعانق جُزر الوحلة ، نشمّ الغرابية البكر في قعر الهاوية ، ونسمع مراكبنا
ترسل خوارها اليانس ، واليأس هلالاً طالع والشرّ في طفولته .
ونمضي ، في الرعب يحصد الركب ، في منحدرات من الوحل
والنحيب ، والأرض تنزف دماً في خواصرنا والبحر سدّ أخضر .

2

في أيّ ربّ جديد

تنهض أجسادنا

ضاق علينا الحديد

وضاق جلاّدنا

باسم خراب سعيد

يأس ميلادنا ..

ضيقه جباه أيامنا والسّتون عجفاء راكدة .

ألحياة هزيلة في هذه الدقائق من العمر . النهار لا حواجب له ، وليس

لشمس أهداب طويلة . ولا همس في يردى والفرات ؛ لا لقاح ، لا تملعل .

السلالة عاقرة في بلادي وخرساء ، والتاريخ يحمل بقاياها إلى أرض أخرى .

أيتها الأرض المغروشة بالوهر ، أيتها الخريطة الجامحة من القمح

والنفط والمرافق ، يا أرضاً بلون الهجرة وبلون الرّيح ،

هل ستنهض ربيع جديدة ضد الرّمل ؟

وانت أيها المطر ، أيها المطر الذي يغسل الأنقاض والخرائب ، أيها

المطر الذي يغسل الجيف ، ترقق أيضاً واغسل هذا التاريخ .
يجهل أن الصخرة الجارحة
قصيدة منحوتة في الشفاء
وفهم الجاموسة النابحة
حمامة أو زهرة أو إله .
وذات يوم تُبعث الحشرات
في وطن الضنادع الجائعة
وتنقل النخيز لنا والصلابة
جرادة أو نملة ضائعه .

هوذا اعتراف الريح التائه ،
هوذا أنا
اقتلني أيها الصديق .

3

... تَصْفَرِي يا فتوة بأوراقٍ أكثر اخضراراً . لا يزال الشعر معنا ، لا
يزال الحلم :

لسيحون هذه الأفراس المحمومة ؛ لخراسان هذه الرماح . بيتنا ذهبٌ
على سفوح هملايا ، وسمرقند راية . بأهدابنا مسحنا جسد الأرض ، بعروقنا
ربطنا الأزهار الهاربة . كنا نغسل النهار ، والحجر حريراً تحت أقدامنا ،

والأفق صهوة جيادنا ، ونعالها الرياح الأربع .
تلك هي دروتنا - تتزوج الصاعقة ، ونملا الأرض بصراخ الأشياء
الجديدة .

تلك هي نخومتنا - نحن أكثر اخضراراً من البحر ، نحن أكثر فتوة من
النهار ، والشمس بين أصابعنا نرد أخضر .
تلك هي عتبة المستقبل :

أسمر طالع من البحر ، مليء بغبطة الفهد ، يعلم الرفض ؛ يمنح أسماء
جديدة وتحت جفونه يتحفز نسر المستقبل .
أسمر طالع من البحر لا تغويه أعياد الجثث ، مليء بالعالم مليء برياح
تكس الوباء ، والنسمة الخالقة في رياحه تقسر الحجر على الحب ، على
الرقص والحب .

آلهة الرمل تنطرح على جباهها والنبع يدفق تحت العوسجة ؛ ولا موت
في البحر .
... ونأتي إلى بلادنا الأسيرة حيث المصباح كنيسة والنحلة راهبة .

4

- من أي بلاد أتيت ، من أي حظيرة لا اسم لها؟
- لم يكتمل وطني بعد . روحي بعيدة ولا ملك لي .

حيث يبدأ القراصنة ، تنتهي الكلمة . أحمل كتبتي وأمضي - أسكن
في قمي قلبتي وأنسج بحرير القصائد سماءً جديدة .
أيها البحر يا صديق الجرح أيها الجرح يا صديق الملح ،
أيها البحر الأبيض
أيها الفرات يا أياماً بلا رقم
أيها العاصي يا سريراً بلا طفل
وانت يا بردى -
لقد شربتك جميعاً وما ارتويت ، لكنني تعلمت الحب ، ووحده اليأس
جديرٌ بالحب .

يائسٌ وليس من موت ، تائهٌ وأكره الهداية ،
أترك ورائتي أصدقائي - قضبان الحديد والسجون ، وأترك بلادي لأولئك
الرواقيين المجانين .
وأمضي وليس لي غير أحزاني ومسافاتي ، وفي موكبي حبيبتي
وشعري ، وفي عيني يرقد شعبي الضائع .
وأمضي وأنا أحلم - بالقلوب المعلقة في الدوالي والرؤوس المزروعة في
الحقول ، وأتذكر أن هذه ليست إلا بقايا أحبابي .
وحين تدخل في عروفي رائحة البحر ، وتملأ شعر حبيبتي قبيل الريح
وتموت الشواطئ وتبعث ، لن أتذكر غير أمي وسانسج لها في ذاكرتي
حصيراً ليئةً تجلس عليها وتبكي .
وداعاً يا عصر الذباب في بلادي .

... ورقٌ ولا حبر ، ولا قلبٌ ينفضه الحبر ، واليأس نجمةٌ في الجبين
والشرُّ في طفولته والصمتُ رملٌ كاسحٌ ولا ورق .
- من أي بلادٍ أتيت ، من أيّ حظيرة لا اسمَ لها؟
- لم يكتملِ وطني بعد ، روحي بعينةٍ ولا ملكٌ لي .

(بيروت ، 1958)

موشية القرن الأول

www.alkottob.com

www.alkottob.com

أغنية

مات عيدُ المطرِ
في وجوه الشعراءِ
فَبَدَلْنَا بِعِيدِ الْحَجَرِ
أنا والرَّفْضِ ووجه الكَلِمَةِ
وتركنا
للنواقيس على أهدابنا
لسماء العُرْوَةِ المنفصمة
وتركنا
للرياحين لأجران البكاء ،
هذه المرثية المنهزمة .

1

ذاهلٌ تحت شائسة النبوءة ، مسأخوذاً بالرَّمْلِ - يا رجل اقل لنا آيةً
تأتي ...
التاريخ يهبط المنحدر في حوار مع النمل ، راحلاً على غباره ، مليشاً

بالمخاط الحلزوني ، مليئاً بالأصداف .

كان للقمير عينٌ في عُرتِه . كان للسماء جبين الأفعى : لا طريقَ لا
كلمة ، لكنّ البرصُ الباحث عن وجه ، لكن التجاوبُ والشقوق .
افتحْ جوفك يا خليج الطحالب : جمجمة حمامة على العتبة ، والحمى
تثقب خوذة الفارس .

... ماذا ، ما تريد أيها الرومي؟

... تشرق يا سيدي ، ثريداً . الطريق رَسَنٌ تائهٌ والجوع فرسٌ تصهل بين
أسناني .

... (هاتوا ماءً لملاقة العطشان ، واقفوا الهارب بخيزه) .

تحت راية الغبار انهزمتنا . ملأنا وجوهنا بالمقابر وكتبنا وصية الجوع .
لم تكن أمامنا نجمةً تتلألأ ، لم تكن غير أشباح الرمل وغير مناجم الرياح
والدمع .

... «تطلب يا إلهنا بطن الأرض» ، هكذا صلينا .

... «خلني يا نهر ولا يفتصبني العلو» هكذا غنّت عذارانا .

البحر لَوَّحَ لنا ، البحر بكى لأجلنا . من يسبح هناك؟ قل لنا فالك
يا زبد ، الموت يبقع أطرافنا وفي عيوننا رماد الكواكب الأخيرة .

2

جبلٌ يلفظ اسمه أمامي . ورق اعتمادٍ بين يدي .

من يشتري هذه الجموع منا ... يأخذها بعيداً بعيداً؟

من يقبل هديةً هذه الحشود؟ وليأخذ معها السيوف والخناجر ، وليأخذ

معها الخلاخيل وليأخذ الوشم والودع .

في أسواق الماس والأكاجو دلنا . لفيل أعمى كتبنا رسالة البيع .
رجلٌ يتبرك بنخف الوالي ، رجلٌ يسقط شقين مقطوعاً بالصراط ، رجل
يمشي بساقين خيطين ، رجلٌ مهروسٌ بالنذير ، رجلٌ يتكلم ولا رأس له ،
رجلٌ لا اسم له ، رجلٌ يرسم وجهه بحليب ناقته ، رجلٌ يعرف أمه في
ولاثم الملك ، رجلٌ يرقد مع زوجته تحت عباءة الأمير في حرير التسري
والرعب ، رجلٌ يحشى جلده بالقش ويُعرض في الشوارع ، رجلٌ ميت يبجد
ثمانين سوطاً ، امرأةٌ بنهدٍ واحدٍ تُجرُّ على الأرصفة ، طفلٌ بلبس رداء
المشقة ،

أحمد أبو الفوارس ، كافور أبو المسك ، تيمورلنك ... هؤلاء أسياد
أرضنا . هم أمراؤنا وهم تيجاننا الفاتحة ، هؤلاء حياتنا على الأرض .
والنجوم جيشٌ يبصقُ علينا باسم سيد الأعلى .
أعبري يا سنواتنا مكسورة الجناح . التصقي بجياهانا يا خشية . السقوط
بلادنا ، و(لتنصر اللهم السلطان ابن السلطان مالك البرين والبحرين) .
وأتم أبها الشيوخ أبحثوا لنا عن رجال وراء تخومنا ، رجال يسكن فيهم
البرق . باسمهم نضرب نقودنا ، باسمهم ترقد نساؤنا فوق وسائد الزبيق .

3

هوذا شعبٌ يفرش وجهه للسنابك ، هي ذي بلادٌ أجبن من ريشةٍ وأذل
من عتبة .
من يُرينا عصفوراً ما ، شجرةً ما؟ من يعلمنا أبجديةً الهواء؟ وحدنا في

المفارق ننتظر؛ الرملُ يمحو مناراتنا ، والشمس تهترئ في تجاعيد أيدينا .
أه يا بلادي يا جلد الحسباء ، عطرك مطّاط يحترق ، فحسرك وطواطُ
بيكي . غير الفاجعة لا تلدين ، غير الحلزون لا ترضعين .
هوذا سيّدك يا خادمة . هاتي له قهوة عدن ، هيّئي سريره . وأنا سيّد
الرفض ... بعيداً عن النافذة أرتجف ، وبالفتات أكتب هذه القصيدة .
في أهدابي دمع الرتيلاء ، في حنجرتي مزار الموت .
سلاماً أيتها الجثة العائمة يا حياتي . واحترق يا جسدي أيها الرؤيا
الكثيية ، يا حمامة الوداع!

4

كلمات بلا قمر تعبر نخوتنا . غيمة عابسة تحمل ثلج الميلاد - ابتعد أيها
المجوسيّ الضيف . قبل الأوان تدخل نخومنا ؛ وجهنا أمير على الفراغ
وتاريخنا زيد .
ابتعد ابتعد .
الوحد يطرح شباكه علينا .
الوحد يلفنا بنسيجه .
الوحد بين الجفون حريرٍ وعند الرقبة
ولا غيم
وأين أنت يا رعد يا رسول الطوفان؟ اقتحم اقتحم حرّماتنا . نساؤنا
ينتظرنك خلف سياج الحلم . في الغرف ينتظرنك وفوق العشب . الجنس
يلقح جلودهن ولا حبيب غيرك .

أيها الوطن يا كتل الملح ، أيها الهزيل كالهواء ، الصايغ جلده برماد
الكتب ، أيها الجندي الشيخ يا وطني ،
أمنحك في أحشائي أن تمشي ، أمنحك الأنين مع خطواتي . تنهد
يا وحيداً مثلي ، تنهد مكسور الخاصرة ؛ يائساً يائساً تنهد .
لن أموء جذور الطاعون - تحت شجرة ياسي أتفياً ؛ أجلس على أهدابي
وأنتظر نسر الموت .
على كتفي غمامة هاجر الأمل . كسر مزاميره في صدري . أسمع طريقاً
تنزف شقائق وأكفاناً ، أسمع نحيباً في الشوك .
أسميك أيها اليأس لكنك لا تُسمي . بعد الآن لن نفترق ولن نمشي
معاً بعد الآن .

5

تحت بيارق الرفق أسرج كلماتي - في غضون وجهي عرس آخر
والأرض بين يدي امرأة .
أحارب لحمي الممزق ، أنحني لصداقة البرق ، وبالرعد أسمع
جراحي .
قاتل القمر أنا ، قاتل العنقاء المشعوذة . أركب سهوة السمندل وأنتشق
الجمر .
العقرب يرسم وطناً . الضفدع يلبس قناع التاريخ . المجد يكتبه سطح
والرُخ - لكن صراخي سيبقى : أه يا قفا العالم ، أه يا عنوبة الأشياء
المنكرة .

فوق طفولة الأرض أكتبُ تاريخنا . لأبجدية المطر أزوج الحسبر ،
وأتحدثُ وجهي أظفار الشمس ، وأيفرح قايينُ بعفيله .

6

حجرٌ تحت أقدامنا يعلو ، يعلو . جرسٌ أخضر في خطوات النهار . نجمةٌ
جلست عند البحر ، تركت لنا جلدها وغابت .
ثمة حردونٌ يغازل السماء . ثمة جبلٌ ينبعُ دخاناً وثلجاً . ثمة ساعةٌ لا
تأتي .

من كهوف الحجر أيها الشاعر اخرج . مع الغار والسمنك والحباحب
اخرج . واشهد لشعراء يسكنون وطناً لا اسم له ، وطناً متفوحاً بالجشث ،
لشعراء يقرأون قصائدهم للعشب ،
اخرج واشهد للشعر -
بعد القناديل هاوية الأجنحة ، بعد البحر موت الفجاءة .

7

ذاهلٌ تحت شاشة الرويا مأخوذٌ بالرفض - يا رجل! قل لنا أية تأتي ...

أغنية

النواقيس على أهدابنا

واحتضارُ الكلمات

وأنا بين حقول الكلمات

فأرسُ فوق جوادٍ من ترابٍ
رثتي شعري وعيناي كتابي .
وأنا تحت قشور الكلمات
في ضفاف الزيد المؤتلقه
شاعرٌ غنى فماتُ
تاركاً تحت وجوه الشعراء
للعصافير لأطراف السماء
هذه المراثية المحترقة .

www.alkottob.com

تحولات العاشق

... هن لباس لكم وأنتم لباس لهن .

قرآن كريم

الجسد قبة الروح .

القديس غريغوار بالاماس

www.alkottob.com

1

كان اسمها يسير صامتاً في غابات الحروف ،
والحروف أقواسٌ وحيواناتٌ كالمخمل
جيشٌ يقاتل بالدموع والأجنحة ،
وكان الهواء راکماً والسما ممدودةً كالأيدي .
فجأةً

أورق نباتٌ غريبٌ واقترب الغدير الواقف وراء الغابات
رأيتُ ثماراً تتخاصر كحلقات السلسلة
وبدا الزهر يرقص
ناسياً قدميه وأليافه
متحصناً بالكفن .

كانت المرافق العضلاتُ الوجوهُ بقايا وليمةٍ لنهارٍ مرضٍ ومات
ومدعونٍ لم تولد أسماؤهم بعد . . .

(ورأيت موكباً من الأفراس البيضاء تمتطي السماء ، فهزلت صائحاً : شعبانُ
يركض خلفي) . وكررتُ صائحاً : «شعبان طويل كالنخلة . . .»

لكن موكب الأفراس أسرع ولم يسمعني . وقلت
أخذ فرساً وأنجو
توسلتُ وتحققتُ : لا صوتَ لي .
ربطتُ خاصرتي بريح الجزع ، وتطايرت .

هوذا شيخٌ برائحةٍ طيبة ، في طريقي
— «هل تقدر أن تجبرني من هذا الشعبان؟»
— «أنا ضعيف وهو أقوى مني . في الطريق من يجيرك ، أسرع» .
أسرعتُ حتى انتهيتُ إلى الهواء
كانت السماء ترنو إليّ أظهرُ وأغيبُ في الظلمة
والريح تلتفّظ بي وتردّدي ،
سمعت صوت الشيخ من بعيد :
«أمامك جبلٌ ملآن
بودائع الحياة . لك فيه ودیعة تنصرك وتجيرك» .
وسمعت صوتاً أتياً من الجبل :
«ارفعوا الستائر وأطلّوا» .
التفتُ فإذا الجبل نواقذُ
والنواقذ أطفالٌ وأمّهات . ونظرت مصعوقاً : طفلةٌ تبكي ، تقول هذا أبي ثم
أشارت إلى الشعبان فولی هارباً .
وامتدّت نحوي يدٌ

جذبتني وأدخلتني مكاناً لم أعرف عمره .
كان هناك سريرٌ ينتظرنِي . يجلس عند رأسه طيفٌ ينهض كالشدي ويلبس
عجيزةً وصدرًا وما تبقى ،

واستيقظ جسدي ، وهوى أسير المسامٍ ونحواتم العين والسرة والطبيعة الثانية
التي تتناسل فيها أنواعٌ ثانية من الخشخاش واللُّقاح وسواهما من نباتات
الذكورة والأنوثة ،
وأخذ جلدي يتهاً لسقوط كوكبٍ آخر في تجاعيده .

2

تكبرين في الجهات كلها
تكبرين في اتجاهِ الأعماق
تفتحين لي كالنَّبع
وتستلمين كالشجرة .
وأنا
كنتُ عالقاً بأبراج الحلم
أرسم حولها أشكالِي
أبتكر أسراراً أملأ بها ثقوب الأيام ؛
نقشتُ على أعضائك جمرَ أعضائي
كتبتكِ على شفتي وأصابعي

حفرتكِ على جبينني ونوعتُ الحرف والتهجية وأكثرتُ القراءات
كان تنهدي مسحاً يستدُ الأفق
رداءً أنسجه وتلبسينه مصبوغاً بالشمس
وكان الليلُ ضوياً يقودني إليك .
في طياتِ ثوبك اختبأت
رافقتك إلى المنروسة
سرقتُ خطواتنا أجراسَ العتبة
وانسللنا
جلستُ إلى يسارك في الصف
نمتُ بين أهدابك
وما رأيتكِ

في سفرٍ لم يصل إلينا كنتِ
ثيابك الأقاليم والفصولُ دربكِ إلي .

على جذوع الشجر قرأنا اسمنا
مع الحجر تدحرجنا
الشجر أصواتٌ مثلنا والتراب تحت وهجنا ثمرة
نرافق غيمةً
تحدث مع البيوت
والنهار يسير خلفنا مكسواً بالعشب

ثم تصعدين بخوراً صوب قاسيون
وفي دخانك أترنح
طبعاً ، أليفاً ، ولي طعمك الخجول .

3

ليبير ، ليبيرا ، فالوس . . .
خيطٌ من الفجر حامضٌ على العين يوقظنا
أحكمي عقدة الجفون .
في جسدينا يرفع الضوء تلاله وراياته
واللهبُ يمتدّ وسائداً وسائداً
أحكمي عقدة الجفون .
النهار يعلن الليل - استيقظي .

أحترق سفينة جسدي إليك
أستطلع الأرض الغامضة في خريطة الجنس
أتقدم
أكسو ممراتي بالطلاسم والإشارات
أبخرها بهذياني الأدغالي ، بالنار والوشم ،
أحسب نفسي موجةً وأظنك الشاطئ :
ظهرك نصف قارة ، وتحت ثديك جهاتي الأربع .
أتشجر حولك

وأهوي ، بينك وبينني ، نسراً بألاف الأجنحة .
أسمع أطرافك الهاذية
أسمع شهقة الخاصرة وسلام الأوراك
يقلبني الحال
أدخل صحراء الجزع هاتفاً باسمك
نازلاً إلى الأطباق السفلى
في حضرة العالم الأضيـق -
أشاهدُ النار والدمع في صحن واحد
أشاهدُ مدينة العجب
وتسكر أحوالي
هكذا يقول السيد الجسد .

آيتها المرأة المكتوبة بقلم العاشق
سيرى حيث تشائين بين أطرافي
قفي وتكلمي :
ينشق جسدي وتخرج كنوزي
رحرحي نجومى الثابتة
وأستلقي تحت سحابي وفوقه
في أغوار الينابيع وخرى الجبال .

تجتمع حوالي أيام السنة

أجعلها بيوتاً وأسرةً وأدخل كلَّ سريرٍ وبيت
أجمع بين القمر والشمس
وتقوم ساعة الحب
أنغمسُ في نهرٍ يخرج منك إلى أرضٍ ثانية
أسمع كلاماً
بصير جنائنَ وأحجاراً أمواجاً أمواجاً
وزهراً سماويّ الشوك
هكذا يقول السيد الجسد .

عليةً عاليةً عاليةً
صيري وجهي الطالع من كل وجه
شمساً لا تطلع من الشرق لا تغيب في الغرب
ولا تستيقظي ولا تنامي . . .
أصعد إليك هابطاً إليك
أجمع أقاصي همومي وأطرافها
وأهجم عليك بقلبي
وأقول للوسوسة أن تطوف بي على كل خلية فيك .

تنصين سريرك
أو تفرشين الأرض
تزرع أشجار الجسد

تتغطى بأصواتنا

إلى أن يحين ميقات الظهور .

اغتربَ الجسد

مسّه التحول

وَجَعَّ المفاصل نبضُ الأطراف هندسة العَضَل وأُبْهَتْ الفَعْل

الانقباضُ التقلُّصُ الانفساحُ

مهايطُ الجسد مصاعده سهولُه مدارجُه التواءاته

أرضُ الخاصرة المليئة بالنجوم وأنصافها ببراكين للجمر الأبيض

بشلالات الجموح والشهوة

بعد هذا تنفيهاً سرادقَ الحوض

حيث يستديرُ كوكب الجنس

يكتملُ التحولُ

يصيرُ ثدياك الليل والنهار .

هكذا يقول السيد الجسد .

4

ليبير ، ليبيرا ، فالوس . . .

(والحب على البحر ، البحر على متن الريح ، والدنيا كلها حرقاً في كتاب

الجسد .

— ماذا رأيت؟

— فارساً يقول : «لا تريدن شيئاً إلا كان» .

أخذتُ قمحاً بذرتَه وقلتُ له اطلع ، فطلع . قلتُ انحصد ،

فأنحصد . قلتُ

انفرك ، فأنفرك . قلتُ انطحن ، فانطحن . قلتُ انخبز ،

فانخبز

فلما رأيتُ أني لا أريد شيئاً إلا كان ، خفتُ واستيقظتُ وكنتُ

على وسادتي .

وأنت ماذا رأيتُ؟

— ربحاً فيها شهب من النار وراهها أطفالٌ يقودونها

... ماذا أيضاً؟

— هضبةً تتحرك وتتشقُّ عن غزاةٍ حبلِي

... ماذا أيضاً؟

— كنا معاً في مركبٍ وكنتُ حاملاً . وبينما نحن في عناقنا الأليف انكسر

المركب ، فنجونا على خشبة من أخشابه ، وضعتُ عليها طفلك .

وصححتُ : عطشانة ، فقلتُ : من أين ونحن في هذه الحالة؟ ثم رفعتُ

بصري إلى السماء وإذا بشبح في الهواء يمدُّ لي

إبريقاً أخذته وسقيتكِ وشربتُ

ماءً أشهى من العسل وأطيب

ورأيتَه يغيبُ وهو يقول «تركتُ هوايَ لهواه

فأسكنني في الهواء» .

طامعٌ جسدي كالأفق وأعضائي نجيل
تُثمرين في
أقطف تحت صدركِ ، أبيضُ وأنتِ ريحاني والماء
كلُّ ثمرةٍ جرحٌ ، وطريقٌ إليكِ
أعبركِ وأنتِ سُكنائي أسكنكِ وأنتِ أمواجي
جسلكِ بحرٌ وكلُّ موجةٍ شراعٌ
جسلكِ ربيعٌ وكلُّ ثنيةٍ حمامةٌ تهلك باسمي
تحشرين إليه أعضائي
أتجه في تيهٍ وسكرات

أرتعبُ أتجاسرُ
أستجدُّ بالغابات والبراري
بالطينة الأولى

أتمزقُ أنفطر نازلاً إلى أغواره
مليئاً بخلايقٍ تشتعل تنطفئُ تشهق وتزفرُ ،
تخطفني هاويةً منه

أصمد
أعلمُ قلبي المتناثر في نهاياتي
أرفع بصري إليكِ تنادينني :

أبطالات يا حبيبي أبطال
جسدي خيمة أنت جبالها وأوتادها ،
أبطالات يا حبيبي ...
طفل تحت ثيابي يصرخ الحب الحب
الشجر مصابيح والهواء برجه وأجرامه
راكض حبه في قوادم الريح
طائر حيث لا حد
في اتجاه السماء السماء السماء ...

تذكرين
بيتنا واقف على حنة في نسيج الزيتون والتين والنبع يرقد حوله
صغيراً كالبرؤ
تذكرين
الحشب يرفرف كالفرشات
والليل أول الأرض ...

الليل ...
عمقي فوهة الصلبر صيري متاهة واحضنيني
يكون لي تاريخ من الرعد
سهول بحرثها الرحيل
جزيرة من معابر الجسد

أصبل أطرافها بموتي وأسكن في أوائل الحروف
الليل ...

بين الرّغب أنصب خيامي

أختلج

أهيب عدّة السفر

كلّ خلجة بلادٍ والطرق مضيئة كأحشائي

نتعني نتوتر تتقابل تتقاطع تتحاذى

(أنا لباسٌ لكِ وأنتِ لباسٌ لي)

تتخمر العضلة

وتأخذ البشرة لونَ البنفسج وطعمَ البحر

حيثُ تومج الموجة وتبحر أطرافنا

تسمع أنينَ السرائر

تلمحُ عروقنا تتزيّا بالموت

تتقوسُ ونكبو

أه الماءُ المختلصُ الحبُّ

لماذا التعبُ الراحةُ يا نسيجاً أكثرَ تلاصقاً من الماءِ يا حباً؟

أعراسٌ أعراس

مبحرٌ آخرُ يقضيئنا لا الشمسُ

أعراسٌ أعراس

تفتحُ وجهنا على مدائن السّحر

تفتح نخومتنا على الجنس
والحلم أرضٌ تدور تحت أهدابنا
يَا لِلْحُبِّ الأخر في الحب
أيها البعدُ الذي يبدأ بعد الأبعاد .

كما خلقتكِ اشتهيتني
كما شئتكِ انسكبتِ في
تدخلين في إيقاعي
تذهنين ثديكِ بكلماتي وتغرقين في قرارة الحب
حيث أرفع مدينتي وأحيا
نحيا ، ومن أعماق الأشياء المحاذية نعلن الحب

تعلم أن أهدابنا محابر والتَّهَارُ كتابٌ مفتوح
أبعدَ من الحلم سرنا
أبعدَ من القلب أحببنا
قلنا لا نُسمِّنا لمن يُسمِّي واستيقظنا
أنتِ بحيرةٌ
وأنا جذع لفأح وملآنٌ بالأرض
أرسو في شواطئك وخصركِ مرساتي

أيُّ مدٍّ ينتظرنا؟

مغلّقٌ نَفْسِي كالمحارِ وأنتِ لؤلؤي وصيادي
وجهلك حاملٌ شراعي وبين حَبْنَا والسَّمَاءُ فضاءً لا يكفي
أكشفُ الوجهَ الثاني من النهار
ألمحُ الجهةَ الثانية من الليل
أصرخُ بالبحرِ: أيها الجامحُ انكسرِ كالقصبِ
وبالرعدِ: اسمعْ
أسألُ:

هل الحبُّ وحده مكانٌ لا يأتيه الموتُ؟
هل يقدرُ الفاني أن يتعلمَ الحبُّ؟
وماذا أسميتُك يا موتُ؟
بيني وبين نفسي مسافة
يرصدني فيها الحبُّ يرصدني الموتُ
والجسدُ عمادتي

من أعماق الأشياء الفانية أعلنُ الحبُّ
ليبير ليبيرا فالوس ...
- «كيف تزوّجتني؟»
- «كنتُ أميرٌ وحشيّاً ليس عندي ما أسكنُ إليه وأرتاحُ
فنمتُ نومةً واستيقظتُ
وإذا على وسادتي امرأةٌ
تذكرتُ حواءَ والضلعَ الأدميَّ وعرفتُ أنّك زوجتي .

يومها حلمت أن مسحايات رفعت لي
وناداني صوت : اختر ما شئت
فاخترتُ سحابةً سوداءً منها وسقيتكِ
وقلتُ

أيها الجسد انقبض وانبسط وانظر واختفِ
فانقبض وانبسط وظهر واختنفِ

ورأيت ثوبي يميل عني

والظلام يغشاني

وطلع مني العالم صارخاً كالحرية :

«اهبط عميقاً عميقاً في الظلمة»

وقعتُ في الظلمة

رأيتُ الحجر ضوئاً والرمل مياهاً تجري

والتقيتُ بك ورأيتُ نفسي

قلتُ :

سأبقى في الظلمة ولن أخرج

لكن

جاءت الشمس وهربتني

ورأيت كل شيء يدخل في الشمس . . .

وكيف تزوجتني؟

« كان جسدي هبوباً إليك

يتلون بالأرض هبوباً إليك » .

أمس ،

أغلقت بابَ غرفتي مع النجمة الأولى
أسدلتُ الستارة الوحيدة وتمتُّ مع رسائليها
وها وسادتي مبللة والكلمات حُيالي

أحلم -

أغسل الأرض حتى تصير مرآةً
أضرب عليها سوراً من الغيم سياجاً من النار
وأبني قبةً من الدمع أجلبها بيدي

ف ماذا أعددت هديةً أخيرة؟

ف قميصي الذي لفنا يوم تزوجنا .

وسأنزل معك

إلى القبر لأهون

عليك موت الحب ،

أمزجك بمائي وأسقيك للموت

أعطيك ملكي : القبر ومجانبة الموت .

مرةً وأيتها بحراً يعلو

عشقتُ الزبد

وأقسمتُ أن تكون الأمواج جارتني

أنزّه في ملحها همومي
وتقرأ عليّ أصداؤها

(ترى ما تحت الجلد . هل تريد ، إذن ، أن تكشف قارة الأعماق؟ اترك
غيرك أن يكتشف قارة الأعلى .)
الأعماق ...

(كنا حشداً كبيراً ، نساءً ورجالاً ، نسير في طريق النساء .
فجأة خرج علينا فهدّ قطع الطريق . قلت لرجل بجانبني :
- أليس هنا فارسٌ يرد عنا هذا الفهد؟
- لا أعرف لكن أعرف امرأة تردّه .
- أين هي؟
- سار وسرت معه إلى هودج قريب فنادى :
- نادا ، انزلي وردي عنا هذا الفهد .

قالت :

- أيعطيك قلبك أن ينظر إليّ وهو ذكر وأنا أنثى؟
قل له : نادا تحييك وتأمرك أن تفتح الطريق ،
فحنى الفهد رأسه وغاب .)

الأعماق

لماذا تستعجلن موتي أيتها الصديقات؟

اتركتني

أسمع في ذاكرتي أجراساً

أسمع في الأجراس أرضاً ثانية

تنقصني أرض ثانية لأضيف إلى لغتي كلمات جديدة

ينقصني

العوت

اتركتني

دعيتي صدقة قرأت شعرها عليّ ،

قرأت أيضاً صفحات من كتاب سمته «غرفة الصدقة» ،

كانت وهي تقرأ تكشف أسرارها :

رأيت فيلاً يخرج من قرن الحلزون

رأيت جمالاً وأحصنة في محارات بحجم القراشة

وُلد أمام عيني كائن نصفه حجرٌ ونصفه الآخر

حيوانٌ أشارت إليه هامةٌ : هذا هو المرأة

ثم وشوشتني :

«ضع أذنك بين أوراقِي» ..

سمعت إيقاعات الفصول

سمعت موسيقى بيت يتهدّم ، يكبر وهو يتهدّم وحين أذنت

برحيلي سمعت أصواتاً تردّد :

«سلامٌ للأصداف ، للمداخل اللولبية

سلامٌ لملك الجبال النائم هناك
سلامٌ لخطاطيفه الممغنفة . . .

أغلقني

جسدي غرفةً مغلقةً

جسدي غابةً وسدودَ وأقنيةً مغلقةً

أغلقني

جسدانا زواياً وأغطيةً ضيقةً

جسدانا رتاجٍ وسقايةً والممرُ إلينا

وكَلَّ في النَّباتِ المعرَّشِ في الفُسْحَةِ الضيِّقةِ

بين أفضادنا والعيون

وكَلَّ يفرز الجنونُ

أغلقني

كلَّ أصدافنا تظللُ ، وإن كُسرَتْ ، مغلقةً

أغلقني

أحكمي عقدة الجفون

لون أهدابنا ، حين نعري

ونلبس أحلامنا ، ونؤسوسُ ،

نخارطةً مغلقةً . . .

شمسُ العاشقِ تتدلَّى ويحنيها النوم
يلزم أن يأخذَ الغيبَ عظةَ الحصاد
أن يسبحَ وجهي في روح الدنيا
هل أمزق سفر الخروج
أنحني فوق صورتني وأقرأ رملها المزرد كالدرع؟
هل أهمس لثيابي :
تنقلي على عكازِ كمن يحلم واقفاً
تعلقني إشارات وبيارق
في أحراشِ الأصابعِ والرِّقبةِ حيثُ أسكر وأدوخ كدوار الشمس؟
هل أقول لهذا الكرسي :
أثبني ، وأبقَ وفيأ للتعب الذي تشرِّبته خلجةً خلجة؟
هل أذكر الموتَ بأوراقه التي نسيها عندي في زيارته الأخيرة؟
بين أصدافي وبينني قوس ألوانٍ ومسافات
تستطيع المدن أن تعبر تحته وتستريح
لأصدافي أيضاً شوارعها وأشجارها ، ولها عُرف نومٍ وأعياد
لو يتكلم السرطان لسأله أين يبیت الليلة
لو ينام البحر لفرشت له سريراً عندي . . .

1 - صوت :

«ترك رأسي خارج العهد

نمنح لكليهما عقاقيره وأشباحه
رأسك وسادة ، رأسي بركان يشتعل

ثم نكتب الوثيقة :

«المرأة بيت موقت للرجل البيت الموقت
«الرجل غد الرجل ، المرأة مستقبل المرأة»
مع ذلك نبدأ الصفحة التالية

تتجاوز بالأرجل
بحبر المسام وكلماتها
ونلهو في ممراتها المقنعة

فجأة

تجيء الحمام تومع الصاعقة
نستيقظ ويجري كلانا وراء رأسه
في حنين السكن والإقامة وأمواج الركض
وراء الوطن الأخر
الضائع الدائم . . .

2 - حوار :

- بيني وبينك حجاب ولن تريني

أنى لكِ المفاتيحة والكشف؟
وقع في قلبك الموتُ فاستنيري بالموت
ومن أين تحرقين العادة؟
تخبطين ، تخلطين ...
أحوالي لم تستحكم فيك ...
... أنا قرارك
طيبختك شمسي
لبستك خاتماً ختمت به على الدهر .

3 ... أغنية :

جَسَدُ الشَّاعِرِ
جَسَدُ الطُّفْلِ والغُرَابِ
جَسَدُ فِي الكِتَابِ
فِي هَشِيمِ السَّنَائِرِ فِي البَابِ فِي الحِجْرِ السَّاهِرِ
بَيْنَ عَيْنِي وَالكِتَابِ
جَسَدُ فِي الزَّوَايَا
فِي السَّرَابِ الَّذِي يَتَنَاسَلُ تَحْتَ المَرَايَا
جَسَدُ يَتَنَاهَى
حِجْرًا طَائِرًا يَتَلَقَّفُ أَوْ يَضْرِبُ السَّمَاءَ
جَسَدُ يَتَفَتِّحُ فِي الحِلْمِ ، يُغَلِّقُ فِي اللَّيْلِ ، يَمْتَدُّ بَيْنَ الحُرُوفِ

جَسَدٌ يتفهقر في أول الصَّفوفِ
جَسَدٌ يتراءى
كالطَّرِيقِ المعلقِ ، يفتح أوراقهُ ويستنطقُ الفَضَاءَ
حيثُ لا يعرف الصُّدى أدوارَهُ
حيثُ لا شيء فوق مسرحيَ المقبلِ غيرُ الصُّدى وغيرُ
الستارة ...

4 - أغنية :

أدعوكِ يا نهايةَ اللَّيلِ أنتشي وطولي
صيري على فراشي
ساحرةً ،
أدعوكِ أن تقولي
ماذا يقول الحبُّ للعاشقِ ،
في نهايةِ الفصولِ؟

5 - أغنية :

لم يزلَ شهرينِ
في السريرِ المسالمِ ، في العُرفةِ الوديعَةِ
في مرآيا النُّهازِ

سَاهِرًا يَحْرُسُ الْفَجِيعةَ
سَرَقَتْ وَجْهَهُ الْكَلِمَاتُ الْخَفِيعةَ
عَلِمَتْهُ السُّبَاتُ
فِي سَوَادِ الْبَحِيرَةِ فِي زُرْقَةِ الْحَصَاةِ
بَيْنَ أَنْقَاصِهِ الْأَلِيعةِ .

لَمْ يَزَلْ شَهْرِيَّارَ
حَامِلًا سَيْفَهُ لِلْحَصَادِ
حَاضِنًا جِرَّةَ الرِّيَّاحِ وَقَارورةَ الرَّمَادِ
نَسِيَتْ شَهْرَزَادِ
أَنْ تُضِيءَ الدُّرُوبَ الْخَفِيعةَ
فِي مَدَارِ العُرُوقِ
نَسِيَتْ أَنْ تُضِيءَ الشَّقُوقِ
بَيْنَ وَجْهِ الضَّحِيعةِ
وَنُخْطَى شَهْرِيَّارَ .

(بيروت ، 1962)

أقوالهم النهار والليل

تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزناً .

قرآن كريم

أه من قلة الزاد وبعد السفر ووحشة الطريق .

الإمام علي

وكنت لا أرى في النوم شيئاً إلا رأيتَه في اليقظة .

أبو القاسم الجنيد

www.alkottob.com

1- فصلك الحجر

1

... «سلام . ألك رفيق يونسك؟

... «نعم .

... «أين هو؟

... «أمامي وخلفي ، عن يميني وشمالي .

... «ومن أين تأكل؟

... «حين أحتاج إلى الطعام ، أسمع فوق رأسي صلصلة . أنظر فارى كاساً

تتلى

وشخصاً في الهواء يناولني رغيفاً .

... «ومن يزورك ويخدمك؟

... «الدنيا . تجيء إلي في شكل امرأة ضيقة الخاصرة .

... «هل ترافقني؟

... «إذا رأيتني مرة ثانية ، لا تكلمني .»

تعبيراً نأرزقاً في الجمجمة
تعبيراً في أوائل الهذب
حيث تنهض أرضي وتومع وتنحني -

أرضي!
صوتٌ طالعٌ من هنالك
عطرٌ يأتي
جبالاً تستيقظُ كأعناق الأطفال
سُعالاً يتهدج في حناجر الماء ،
وفي طبقات الورد والزُرقة
أشباحاً يأتون يروحون يكتسون بالبراعم
ويمسحون دموعهم بالأوراق .

أرضي . . .
امرأةٌ بخضرة اللهب
يتصاعد حنينها وسائد وسائد
تتعري المسافة
ويمتلئ وجه الليل بشامات الروح .
هكذا أزهي صائحاً : مَنْ يعرف مثلي الأسرار وقد نَفخت بين
شفتي الأرض؟
أتربع في الهواء

أُتدثرُ بالدُّنيا
أُتعبُ ، أُضربُ خيَمتي بينَ عيني ،
وحيثُ أعودُ
أُخلقُ بيتَ نفسي وأُشتغلُ بحالي .
أرضي أ
عالمةً كالجسد ، مليئةً كالجسد
كلُّ عضلةٍ فاتحة ،
كلُّ فاتحةٍ عتية :
أقرعُ أيها الزمن أقرعُ

ثمة سلاسل
مساميرُ
قُضبانُ
بشرٌ بأقدامٍ أربعٍ تصهلُ وعلى النِّجَامِ أحلامٌ وعطور
التَّقديسُ التَّصديقُ العَجزُ
السُّكوتُ الإمساكُ الكفُّ التَّسليمُ التَّسليمُ
ثمة أصواتٌ تتعالى
البدعة ، البدعة المحدث ، المحدث
نُبطلُ سنَّةً قديمةً
نُردُّ للإنسان اسمه
ونبدأ

أقرع أيها الزمن أقرع

يلزم صبر الحجر

تلزم شجاعة القبر .

أنهضُ نحرِكِ يا إبعادي

أرضاً

تطأير في هواء التاريخ

تتصَفُ غصناً غصناً .

انطقات نيران خيامها ومعسكراتها

انطقات شهواتها

أسمع فوق رأسها ناقوساً من العناكب

ألمح على قبرها غطاءً من الكلمات الشائبة ، -

نجمة تتقمصُ نعجةً لتعرف السماء وتشهد ،

غيمةً تذوب ،

تنفياً ظلَّ صخرةٍ وتنتظر الترابَ عشيقها الشيخ ،

ريحاً مسحورةً بخروم الإبر . . .

أرضاً

تتصَفُ غصناً غصناً ، -

تُدِي النملة يفرز حليبه ويغسل الاسكندر

الفرسُ جهاتٍ أربع ورغيف واحد

والطريق كالبيضة لا بداية له .

أنهض نحوك يا أبعادي

أرضاً -

جسراً كالطفل يرضع أعمدته

ورقاً تكأس فوقه الكلام

اللسان ينبت في الأقدام طويلاً حتى السرة

واللغة رماد يتكوم قرب العجيزة ؛

أرضاً

تتصّف غصناً غصناً ..

الجدار يصيرُ دمعاً والذمّع فسحكاً

النهار يكتهلُ حيناً إلى الموت

كل شيء يسافر تحت راية البراعم

براعم النشور والقبر

القش والمطر

الزّرع والحصاد

كلّ شيء زهراً أسود ،

الحوانيتُ غيومٌ حُبلى بالبرق

الشوارع قامات يكسوها الحلم

الحلم طائرٌ مليء المنخالب يُعششُ في سقف الأيام

رمحٌ يخرق الفارس والذرع

يجلسُ فوق الغنيمة ويشربُ النجيع كالخمر

نجيب اللؤلؤ والكنايب ،
الحروف المقدسة وأسرار الموائد والكراسي ...

أرضاً ، أرضاً ، أرضاً
ثمة رأسٌ كالصندوق يلبس حذاء النبوة
سرةٌ ترسم على جبين المقاهي
عرسٌ يدور تحت سراويل الموت
حجرٌ يتشاءب ،
ثمة وارثون خفاف كالريش يحملون العلمي والترسيات
ثمة نارٌ أجبين من الماء .
أنهضُ نحوك يا أبعادي
أرضاً
تتطاول خيمة خيمة :
ينتظرنني خوانُ الفتوى -
باقاتُ الكتب
فناجين الكلام
عطرٌ يتسلسلُ
من أردان امرأة يبست في الدنيا ونور نهداها في حدائق الآخرة ،
ينتظرُ مقعدٌ بحجم القفص -
أشهد مسرح النهايات ،
نهاية الشمس والهواء

الوثب والعلو برحمة الشهيقي والزفير
نهاية الثقب التي تربط النفس بخيط الأشياء المحبلى بالأشياء
ونهاية الجنين .

وتحت النحوان يجثم النهم
ويتكوم الفضاء جثة تسكر حولها مناقير الجوع
والعودة إلى أول

الدائرة ،
وراء الاجترار وخطوطه عرضاً وطولاً وإلى أسفل سافلين . . .

أنهض نحوك يا أبعادي
أرضاً
موجاً قائماً في الهواء
قرساً من المسك تنبت حوله أشجار الدفلى
أنهض نحوك -
الجبال عروقي وبين لحمي وجلدي ديبب النمل : أرتعش ،
يسقط من كل رعدة كتاب .

(هنا ،

طلع أمامي ثور بثلاثين قرناً وعشرين قائمة ، وبين أذنيه ياقوتة خضراء .
ورأيت دابة غريبة تمشي . تناولت حجراً ، فأسرعت هاربة إلى النهر ،

وسبحت على سفدعة إلى الجانب الآخر . تبعتها . نزلت عن ظهر
السفدعة وسارت . رأت رجلاً نائماً يهيم شعبان كبيراً يلذغه . عضته الدابة .
قتلته وغابت . فازددت تعجباً ، ثم أيقظت الرجل فقام ، ولما رأى الشعبان بدأ
يهرب . فقلت :

لا تخف ، وقصصت عليه القصة .

أنهضُ نحوكِ يا أبعادي
أترودُ بعصاي -

أشتهي الفاكهة

أغرسُ أشجاراً تورق وتثمر للحال ،

أظلمُ ، تصيرُ إبريقاً

أدخلُ مغارة الليل

يصير طرفها الأسفل ناراً والأعلى قمراً ،

وقبيل النوم ، تطيبيني وتحادثني ،

وحين تعرف أنني غاضبٌ تُصبح شيئاً آخر .

وتحرقُ ما تراه . . .

أنهضُ نحوكِ يا أبعادي

أصعدُ في الحجر والتمع

أصرخُ الهواءَ الهواءَ ، وأشفقُ على غيري من صراخي ،

أصعدُ ، أتعبُ ، أسقطُ في خدرٍ بلا لونٍ في عالمٍ لا يليقُ بي .

أرى رجلاً صالحاً يركب على جرادةٍ ويلبس خُفّاً أحمر
ويقول : الدنيا سِحْرٌ سِحْرٌ ...

— (أين أشاهدُ صديقنا الخضر؟)

— (عند الصخرة في كوةٍ على البحر ، وترى أثر جناحيه في الطين) .

ورأيتُ الخضرُ يُدخل جناحيه تحت المدينة ويقتلعها ...
المدينة!

(السراطينُ تخرج إليها كالليل ، تدخل البيوتَ بغتةً وتقفز بين الشفاه)

أصعدُ نحوكِ يا أبعادي وأدعو ما حولي ليشاركني الولادة :
أصيرُ شيئاً من المكان ... جدولاً ، أو سمندلاً ، أو خزامى ، أو غير هذا من
خلائق الربِّ سبحانه
تُولدُ آنذاك الشفافية
أدخلُ آنذاك في النسيج الكوني ،
أصعدُ أصعدُ أصعدُ
تهتُ

وقعتُ في بَرِيَّةٍ :

(هذه عجوزٌ جميلةٌ تركب على أسدٍ حوله سباعٌ كثيرة . طاش عقلي .
قدّمت لي كوزاً أحمر ما رأيتُ أشبهى من مائه .

... «مَنْ أَنْتِ وَمِنْ أَيْنِ؟»
... «قِيلَ لِي أَنْ أَسْقِيكَ وَأَدْنِكَ عَلَى الطَّرِيقِ.»
... «مَنْ قَالَ لَكَ؟»

ولم تجبني العجوز الجميلة وغابت عن عيني .
وصاح طائرٌ فسمعت صوتها يسألني :
... «أتعرف ما يقول؟»
... «...»

... «يقولُ : النَّهَارُ فِي ضَيْقٍ وَبَيْنَ جَنَاحِي يَسْتَطِيعُ أَنْ يُقِيمَ وَيَتَبَحَّثَ.» .
وحين ناداني نسرٌ سمعتها تضحك وهي توشوشني :
«يقول : في البعد عن الناس أنس.» .
وصاحت الشمس وهي تطلع فقالت :
... «أتعرف ما تقول؟»
... «...»

... «تقول : أنا قصدير الأرض ، يُجلى بي صدى العالم ، وبني تلحم أجزاءه.»

أصعد أصعد أصعد نحوك يا أبعادي
وحين تظهر غيمة أقول جاءت رساتي .

يلزمني الخروجُ من أسمائي -
 أسمائي غرفة مغلقة

جُبُّ غائب

علي أسبر علي أحمد سعيد علي سعيد علي أحمد أسبر علي أحمد
 سعيد أسبر

يصارع يتكسر كالبلور

وأدونيس يموت

والهواء شقائق وأعراس في جنازته

أورفيوس!

الرعاة يبحثون عن ذبيحة . قل لراسك أن يطفو مركب أغنيات على التهر ،
 وامنحهم نعمة أن يروك . الوباء جالس مقيم لا يطرده إلا صوتك - إلا
 دمك ، أورفيوس! أورفيوس ...

- اهدأ أيها البقر الوحشي اهدأ

لم يعد وراء جلده غير الإبر

والمحب هذه الليلة شيخ في العشرين ...

اهدأ أيها البقر المسكون بالزلازل

الجدران تتلوى كالخيزران

والرياح تتوافد أبراجاً أبراجاً . . .
اهدأ يا بقرأ محشواً باللَّيل
الضوء يفتح الشبايبك جارياً كالمهر
والشارع مياةً وأطفال . . .

يلزمني الخروج من أسمائي ، -
- هل يخرج من جلده ويمضي؟
يشجمني ويهتف بي هاتفاً :
حرك شفتيك بكلام لا يفهمه غيرك فيصفي
إليك الورق وجحيم الأغصان
تسمع من يجيب موشوشاً : تلزمك صحبة مع غير العالم -
تطلع بجوارحك الغيب ، وتحيا مطبوعاً على البدعة ،
وسوف اعتصم بجوعي ،
لن أشبع
لن أكل إلا موتي .
لماذا لا يأنس إلي غير الهواء والحجر؟
لماذا لا تُسرّ بي غير الأشياء؟
هل أنا وحش الحقيقة في هذه الخرائب حولي؟
ومتى ستفتح علي نهاويل الدنيا؟

شَبَّحَ يَتَغَلَّغُلُ بَيْنَ سَلَالِمِ الْوَقْتِ
 شَبَّحَ يَسِيرٌ فِي تَجَاوِيفِ لَيْئَةٍ
 يَحْمَلُ أَفْكَاراً تَفْرُخُ فِي رُؤُوسِ النَّخِيلِ وَرَمْلِ الشَّوَارِعِ
 يَحْمَلُ قَلُوباً أَحْنُ مِنْ الْعَصَافِيرِ ؛
 لِيَدْخُلُ هَذَا الضَّحِيحُ الطَّوِيلُ الْقَدَمِينَ الْآتِي بِاسْمِ آتٍ لَا أُنْتَظَرُهُ ،
 لَوْ اسْتَيْقَظَ مِثْلِي الطَّرِيقَ الَّذِي سَيَعْبُرُهُ لَتَنَاطَرُ أَثِيرًا مِنْ نَوْعٍ آخَرَ ،
 وَالتَّفُّ وَتَقْلُصُ وَارْتَدَّتْ نَهَايَاتُهُ ارْتِدَادَ الْمَوْجَةِ ، وَهَدَاتُ
 عِنْدَ قَدَمِي ،
 لِيَدْخُلُ ،

لَوْ كُنْتُ شَجَرَةً لَرَأَيْتُ أَهْدَابِي مَوْصُولَةً بِالْأَفْقِ
 وَالْأَفْقَ مَوْصُولًا بِغَيْرِهِ
 وَغَيْرَهُ مَوْصُولًا بِالنَّقْطَةِ الَّتِي تَجْذِبُنِي وَحَوْلَهَا أَتْرَعُ وَأُدُورُ ،
 لَوْ كُنْتُ ثَمْرَةً لَرَأَيْتُنِي
 أَسَافِرُ بِالْوَرَقِ وَغَيْرِ الْوَرَقِ
 بِالْبِرَاعِمِ وَالْفَصُورِ
 بِالْهَوَاءِ وَشِعَاعِ الشَّمْسِ
 ثُمَّ أَتْرَاجِعُ
 أَتَلْعَلِمُ
 أَتَجْمَعُ
 وَأَسْقُطُ فِي نَفْسِي نَاصِجًا وَعَمُودِيًّا ؛

لو بقيتُ حليماً
لو أبقى
لو البقاء حلمٌ
والحلمُ الأرض .

ليدخلُ ، -

كيف أمزجُ كالهواء وأعجنُ غير عجني الأول؟

ليدخلُ ، -

مَنْ لي بما يذكرُ ويشهي :

ذهب الاستطرافُ

ماتت الشهوة

وشبخ كل شيء .

ليدخلُ ، -

أعندَه البريَّاحُ التي تكبُّ الأفقُ؟

ليدخلُ ،

أفتحُ وأطلُّ

أسمعُ أن حولي أناساً يتناسلون ، يموتون

يحاربون ، يحلمون

ولا أراهم ،

مع ذلك ،

أعرف البشر كلهم

أذكر

قابلتهم في واحة بين أذني - قرب سريري ،

لكن لا تزاور بيننا ،

الأشياء وحدها أراها وتراني .

أسمع أصواتاً -

صوتاً يقول لي :

«تفارق نفسك وتمضي

منقينة نفسك في نفسك

بيتاً كالسحاب

ولا دعامة . . .»

حجراً يصبح هي :

«أنت غريبٌ أنا سريرك .»

أجنحة عابرة تناديني :

«النجوم فوقك زيد ثابت

والغيوم قبور تتحرك . . .»

٢- فصلك المواقف

1

«... وأوقفني في الرحمانية فقال : لا يستحق الرضا غيري ، فلا
ترض أنت فإن رضيت محقتك» .

التفري

(موقف العظمة)

2

وقال لي : النعيم كله لا يعرفني والعذاب كله لا يعرفني ، وقال
لي : معنك أقوى من السماء والأرض» .

التفري

(موقف المحضر والحرف)

- الزّمنُ فنخارَ والسّماء طحلبٌ . ماذا تفعل؟
 - أصيرُ الرّعدَ والماء والشّيء الحيّ .
 - وحين تفرغ المسافاتُ حتى من الظل؟
 - أملؤها بعينٍ تلبس الجهات الأربع ،
 أملؤها أشباحاً تخرج من الوجه والخاصرة
 وترشحُ بالحلم وذاكرة الشجر .
 - وحين لا تواتيك الدنيا؟
 - ألهم بعيني ليزدوج فيهما العالم
 أرى السّماء اثنتين
 الأرض اثنتين

إلا أنا -

أبقى واحداً .

- وحين لا يبقى غير الحجر صديقاً؟

- أهتفُ : يا صندفة! إنني جزؤك الرخوا

وأديرُ قرنيّ للشمس .

جَسَدِي يَحْوِمُ فَوْقِي خَفِيفاً كَالرَّوْحِ
 حَجْرٌ يَتَدَحْرَجُ وَرَائِي
 نَيْعٌ يَنْتَظِرُنِي ؛ -
 وَدَاعاً أَيُّهَا الْجَوْهَرُ الثَّقِيلُ يَا رِخَامَنَا الْبَشْرِيَّ
 وَكَيْبَاتِ الْعَايِرِ الْخَفِيفِ
 النَّهْرُ وَوَجْهَهُ
 الرِّيحُ وَأَطْفَالُهَا
 وَكُنُتَاتِ الْأَجْنَحَةِ الْعَلِيَّةِ بِالْغَيْمِ .

أغنية :

إِنَّهُ جَمْرَةُ الزَّمَنِ الْيَابِسِ ؛
 لِيَنْبُتَ وَيَضَعُ
 فِي نَسِيجِ خَلَايَاهُ فِي الْفَلَنِّ فِي الْهَاجِسِ ...

أغنية :

- جَاءَ فِي آخِرِ اللَّيْلِ فِي مَوْسَمِ الْكُهُولَةِ
 لَمْ يَنْمِ فِي سَرِيرِ الْأَسَاطِيرِ ،
 لَمْ يَعْرِفِ الْعُطْفُولَةَ .

تَنْهَضُ فِي جَسَدِي أَرْضٌ

تهمسُ لأَيامي أن تكون شبايبكها ،
تعلمُ خطواتي أن تصيرَ باسمها رسائلٌ وعصافير ،
هكذا أعبُرُ كالزجاج ، شفافاً ولا ظلُّ لي ،
في طريقٍ من الأجنحة .
أتحرّر ، أسجنُ أعضائي داخلَ أعضائي
أصيرُ كبريقِ اللؤلؤة :
أضربُ العيونَ وأعودُ إلى بؤرتي .

من يعطيني ورقةً أحملها أكداً من البخور والصندل أنتقلها
كالعروس وأجلوها
أقرأ عليها سورة مريم
أهز فوقها جذوعي من الشوق والحلم
وأرسلها إلى أحيابي
مليئةً كالتفاحة
خفيفةً وخضراء كمهرة الخضراء
وأنتم ،
يا من تكرهون التأقظ باسمي
تلصقونني بعيونكم حين تقرأون أخبار الوفيات
وتصرخون :
قسماً ، يسيرُ وفي كلِّ جيبٍ من جيوبه مدفعٌ
وامرأة عارية

أنتم أيها الملائكةُ

الأطهارُ

المنقذون

القواد

الحكماء ... الخ ،

أشمسُ منكم في هذه اللَّحظة معجزةً واحدة

أن تعرفوا كيف تقولون : وداعاً ، وار دال ألف عين ألف

معجزةً واحدة : وداعاً

بيننا بعدُ الروح

بيننا الأعماقُ والسَّفرُ في فضاء الأعماق .

برقية من بلاد نسيت اسمها :

البلادُ صغيرةٌ كعلبة الكبريت -

والشمسُ لا تُشرق هنا - هل تشرق

عندكم ، حقاً؟

مفكرة الشهر الماضي :

السَّهَر - والقهوة أحياناً . نقرُ وهمي

على الباب : نقرُ لا يهدأ . جمعية

جديدة اسمُها جمعية الحيوانات

الميتة والحية لِلفرق بالإنسان . لعب

الورق مع أرواد . الكلامُ أحياناً .

يومية بدون تاريخ :

حوار قديم :

الطفولة : العالمُ رجلٌ يُسرحُ حصانَه
في زيارةٍ إليك . سيدعوكَ إلى
صداقته .

أنا : صداقته؟ ليمتُ أولاً وليأت . بعد
هذا يأتي الكفن . بعده القبر . ثم
تأتي الصداقة .

نمتُ مرّةً ولم أكن متخماً

فرايتُ صديقاً يدخلُ ويخرجُ بين أصابعِ قدمي

أخرَ رجلٍ سيورُ حدائي ويلتفّ بها

ورأيتُ صديقاً يذبحني .

أسماءُ أسماء

أسماءُ تشغو ، تصبيء ، تلذغ وتصلّي

تجرحُ الجنينَ المهاجرَ بين البرعمِ والثمرةِ وتستضيءُ بالسُّوسِ ،

أسماءُ الخنقِ والحرقِ واحتضارِ الماءِ والأجنحةِ

أسماءُ اللكاعةِ

اللّهةِ

اللكاتِ

اللّهوقةِ

اللّقوةِ

لُقيا اللُغَاءِ وَاللُّقْسِ وَلِهَاتِ المَوْتِ
وداعاً ، دا دا دا
وداعاً .

أخنية :

من ثلاثين عاماً أضيغُ وأكتشفُ الآخرينُ
كان لي سفنٌ ومرايا
في مغاورٍ ، حتّى الصغارُ
يجهلونُ مفاتيحها ،
كان لي ساحرانُ
ينحطفان الهدايا

من كنوز البلاد البعيدة ، من حارسِ البحارِ ؛
وكأنّ الغصاءَ النخيلُ
كان لي فرساً للرهان
فرساً تتناولُ تباةً كالنخيلُ
تسبقُ حتّى الفراشات ، حتّى ضبابَ المكانِ ..

من ثلاثين عاماً
أضيغُ ، وأكتشفُ الآخرينُ
حيث أعطيتُ وجهي للغيم ، أعطيته للحقولِ الحزينةُ
حيث كنا ... أنا والصباحُ

عاشقين رطنا مسافاتنا بشباب المدينة
وملأنا حقائقنا بالرياح
وجعلنا الرياح
لغة وقصائد للآخرين .

من ثلاثين عاماً أصبح ، واكتشف الآخرين
أعرف أن للبكاء
رنة للحزين

أعرف أن العسافير شبابة ، والسماء
شفقة لا تُحاور غير الجنين
أعرف أن الطريق

لغة في شعوري ، لا في المكان
لغة في العروق وفي تبضها ، لغة في السريرة
حيث تأتي المسافات من أول الروح موصولة بالبريق
ببريق الفتوحات والكشف والعايرين
في التخوم الأخيرة .

أعرف أن الوجوه مرابيا ، وأن الصديق
حجر

كان وجه الحجر
حُلماً ، كان وجهاً يُضيء
ويُضيء على شفقيه الكلام

كان لي دفترًا أتوسدُ أوراقه وأناّم .
أعرفُ أن الصديق
فارسٌ في الضفاف القريبة لكنه لا يجيء .

وداعاً يا أنقاضي
دميةٌ تدخل بغتةً من النافذة ، تحمل الجدران الأربعة وتمضي ،
طفلٌ
يعلق أهدابه على الشجر كالمناديل
وفي الحجر يستريح ،
بيتٌ يحضن دفترًا ويركض حافياً إلى المدرسة ،
كتابٌ يضع نظارةً
يرى الأرناب ويدرب المصافير على المهن الحرة
وداعاً يا أنقاضي

أغنية :

ذاكرٌ ، ذاكرٌ شبابي :

جُزّ في يدي وفي قامتي

جُزّ في ثيابي

كنتُ بابَ الصدى والأغاني

في بلاد الكهوف العريقة

كانت الأرضُ لي زوجةً وصديقةً ؛

ذاكرٌ في الدروبِ الضريرة
شهقةً أيا تسينَ ينامونَ في الفجوة الصغيرة
بين أحلامهم والرصيفُ ،
ذاكرٌ كيف كان الرغيفُ
مُصحفاً ، وسماً كبيره .

أنقاضي !
امرأة تطلعُ من أحشاء النيلوفر
تتبرك بي
ثم تصيرُ وردةً في عروة الشيطان
وشجرةً على ضفة الجحيم ،
حالمٌ يقرأ كتاب الشوارع راسماً وجهه بنار الإسفلت
شاعرٌ يفضح المدينة ويرقد في سراويلها
مدنٌ تتحني ، أشجارٌ تتلاقى واسمي المكان والوعد
سلاماً يا أنقاضي !

أغنية :

كتبي يحرقها الطاغى هناك
هي ذرات من الغيم حزينة
فوق أشلاء المدينة

وغداً ، أو بعده تنهمرُ -
أيها الحجاج لم تحرق سواك
إن شعري لغة الأرض هناك
وأنا الريحُ هنا والمطرُ ؛ -

لكن الأرض سائبة ،
والرعبُ أت في الثوب والثور في البثور
في المعاز والحيوان التوام المسمى رجلاً وامرأة
أت في الحصاة والصبر والصباح
في الحرب وضير الحرب
في النهد والنوم
في اللبن واللبل
في الحبر والورق في الحروف أت أت
في الأمة الأمة الجهاد الجن والجرائم أت أت
ميشا ماشا ميلانو سانشو راجا سان جيرمان دوري ، باري سنشيا ،

أغنية :

أتهجلك يا لوحة الرعب ،
أقرأ صحراءك الطويلة

وغدي مائلٌ ، وعلى وجنتي
بُقِعَ من يدي
أتهجأك ، أوقف النَّارَ في وجهك ،
أستصرخ الحروفَ البخيله
أحضنُ الفهدَ والغرابُ
أحضنُ الميَّتينُ
الَّذين أفاقوا من العُشبِ كي يُبعثوا في الترابِ
نملةٌ أو كتابُ
أقبلُ أن أغسلَ الميَّتينُ
بغدي أو بأمسي
لاكونَ جديراً بنفسي ؛
أتحملُ ،
وأستحدثُ الآخرينُ .

3

في الأبار المحفورة بالصوت
في الصوتِ
في العدد بين الرقم والرقم
في النبض بين الحاسة وأختها
بين الوريد والعنق
أسافر

في قطار النوم واليقظة ،

في اختلاجه الذاهب نحو الموت أتياً من الطفولة ،

في الحركة التي تتسارع بين عجلاته وترتخي وتتشنج وتهبط وتعلو ، حركة
الجلد والامتاريس والحدود في مملكة الجلد ، حركة الرشق والذفع
والجذب ، حركة الهدم والزخم والتفجير ، حركة الفقاعة والموت قبيل
الموت بين الرعد والإشارة بين الكلمة والحنجرة أسافر خارج الصبيغ -
الشكل وتقيضه

الضفاف المزحومة بالأصداف

خارج الصدفة

أسافر

أصعد ، أتفجر

البس الهدير والتهديج

أتموج بالرعب

أتحزر من التوبة ، العظة ، العودة

أتحزر من الصبر

من دمي والتاريخ الرأقد فيه

أتجزأ وأعري وأوسوس نفسي ضد نفسي

أضع نفسي خارج كل شيء وأقول للجنون الرشيق أن

يسرق أهدابي كنسيم غربي

أقطع ، أنفصل ، أنفصم

أختبئ تحت شفتي

بعيداً بعيداً بعيداً

في الضوء في الظلام

في الصمت في الدهول

في لغة تغير الكلام

في مطر يغير الفصول

في الظمأ الجامح والسير بلا وصول

بعيداً بعيداً بعيداً

عن الثقيل والعائق

عما يحني ويربط ويحاصر

عما يوفق ويصالح ويعلم

عما يقنع وينضج ويرضى

بعيداً بعيداً

حيث أصير البرق والجنز العائم الجنز

أسافر

هنا

حيث الجدار والجدار الكرسي والجدار التبغ والجدار

في حوار دائم

حيث الساعة خرطوم والجريدة نورس أو إمامة ،

حيث الجسد بساط

والخيزُّ ساحرٌ بالآف الأقنعة
والجسدُ المحضورُ والمسرح

أسافر أسافر

هنا - في العشب اليابس بين العرق والعرق
في الكرسي المغطى بالليل

في كتبي هذه الشعوب المريضة التي تتعاقب وتنام حولي

أسافر

في الفراغ وهندسته - حيث أكتب وأقرأ : «هنا يرقد إقليدس . . .»

حيث قبر المتنبي في صوته

وعاش المعري تحت عينيه

حيث غلق العلاج على خشبة في خريطة الروح

حيث الرازي وجابر والسهروردي وأصدقاؤهم يتكفنون بأصواتهم

ويفرعونها أكفاناً ومقابر

هنا حيث الفراغ وهندسته -

ظل الضوء والظل الصوت الشرار

رومان لوباتشوفسكي

سِلاه سِلاه سِلاه

أغنية :

- رأس مهيار يعلو ، كأن الشجر

سُفْرٌ وَضِيْفٌ
وَكَأَنَّ الْمَطْرُ
لِغَةِ تَتَسَاقَطُ مِنْهُ ، كَأَنَّ الْكَلَامَ
أَرْضُهُ وَالْمَطَافُ
رَأْسٌ مَهْيَارٌ يَرْسِبُ ، يَطْفُو ، يَطُوفُ
ثَقِبَتْ وَجْهَهُ الْحُرُوفُ
رَأْسٌ مَهْيَارٌ يَكْبُو وَيَعْشَقُ سِحْرَ الْأَقَاصِي
رَأْسٌ مَهْيَارٌ يَدْمَى ، يَجْفَى ، وَيَنَآئِي . . . كَأَنَّ الْحَطَامَ
رَايَةً لِلْخِلَاصِ .

اكتشفتُ أنني مُقْعَدٌ وليس لي قَدَمَانِ
وَالْأَرْضُ أَمَامِي أَصْبِقُ مِنَ الْقَدَمِ
سَأَعْطِيهَا بِالْمَزَابِلِ كَمَا فِي سِفْرِ الْأَمْثَالِ الْمَخْبُوءِ فِي الْجِبَالِ بَيْنَ
الْتَدَاءِ الْعِجَائِزِ ،

لَعَلَّهَا تَكْبَرُ تَكْبِيرُ تَكْبِيرِ
وَأَنَا سَأَصُوبُ إِلَى نَفْسِي سَهَامَ الْفَضَاءِ وَأُرِيبُ أَطْرَافِي
بِشَلَالٍ

لَا جَنْزَلَهُ
أَوْ بِشِيَارٍ يَعْبُرُ كَالْفَاجِعَةِ
وَأَهْوِي ،
لَا بِسَاءِ قَامَةِ الْبَحْرِ وَالشَّوَاطِرِ فَاتِنًا كَشَلَالٍ ،

نحو النخفي المنكر - أخي وسيدي .

أترك هذا الصوت :

كان يستعجل النجوم ، يلاقيها
إلى مفرق الذروب الأمانة
مشقلاً بالحروف والحير ، مكتوباً
على دفتر السماء الحزينة .

أترك هذه العاشية :

قادر أن أصير وجهي بحيرة للبيج وأجعل أهدابي غابات ، وأصابني ربيعاً
وأعراساً . قادر أن أبعث أليعازر في كل خطوة أخطوها ،
لكن الفرح غائب ولم تحن ساعة الظهور .

أيضاً ، أترك هذا الحلم :

عرس . فاوست يتزوج الضفة الشرقية من المتوسط . الضفة امرأة تتزين
بالقارآت ، بالصنوبر والكوز . السنخور دافئة كالنساء ، ودبعة كالأعشاش ،
والشواطئ حُبلى بشواطئ لم تجع بعد . . .
وجه السماء الآخر ،
فوهة عصر يقترب . . .

أرضٌ تعرضُ نفسها عليّ ؛
تنهضُ في جسدي ، تومع وتتحني -
أجعلها مسطحةً ودونَ أطرافٍ كي لا يعودَ المسافر

ولا يهتدي

أُسقطُ فيها ، بين لحظةٍ ولحظةٍ ،
كوكباً خفيفاً كزفيرِ بلبلٍ يموت
ثم أسمح للأحلامِ ... غريبةً ومن كلِّ نوعٍ - أن تسقطُ فيه
ترصدُ البحرَ العائدَ من هجرته
تسمع الغضاء يقول للمبجع : أقبلني ضيفاً تحت ريشك ،

ليلةً واحدة

وبين غفوةٍ وغفوة
أهمسُ كي تغافلَ التاريخ ،
تسلُّ إلى مغاوره وكهوفه وأقبية التي يحرسها جلاّدون بعينٍ واحدة ورؤوسٍ
عديدة ، والتي تزخر بالسلاسل وأخواتها من أدوات التعذيب والقَتْل خنقاً أو
حرقاً أو مَزَقاً ، أو بوسائلٍ غير هذه يجهلها اللسان القصيح ، ثم أعطيها أن
تغافلَ الحراس أيضاً ...

هيا ، عَجَلِي ، ضعي اللغم ... أشعلي الفتيل

لكن ...

أه أيها الفتيلُ المبلل ،

والزمنُ رطبٌ

ولا جمر في الهواء

أرض تعرض نفسها عليّ

توحي بالبحث عن تراث تغذي مجاعة الحيوان

مثلاً - عن برج بابل من الجمال المجنحة

أو منارة من أنقاض الرأهيات

أو هرم من البكاء والملاريا

وتمنح لكل شيء - حتى للقبر والشاهدة والنعش ، قناعاً من وجوه
الأطفال .

أرض تعرض نفسها عليّ

تهتف أن أرض سحري ماء أزرق على غيرها من الأرض وأتركه في سبات
إلى آخر الدهر - أمين .

- والمدنيّة؟

أترك لها ، استثناءً ، تيوسها ، وطلائعها ورضادها من جواسيس وزعماء
وغيرهم . . .

- وهذه الأرض؟

أصبتها كالكرة ،

أقول لأصابي أن تصير سهاماً تحترقها

ثم أنقش عليها أسماء الشهور والسلاطين وأنواع النبات والنساء ، وأرفعها
على بساط سحري ، هدية إلى الأمير من عامله على مغارة الكنوز . . .

أرض تعرض نفسها عليّ

تنهض في جسدي ، تومض وتنحني ، -

طاقتي على التحول لا آخر لها . تعجز أن تنتهي ولا تعرف كيف

أترون هذا النسيج الأزرق

فوق

تحت القمر ، وراء ظهره

تلتف به خاصرة البحر ،

وبصير تاج الأفق وكرسي الموج

يسمح للسماء أن تنسله خيطاً خيطاً لتربط أصابع النجوم كي تتذكر النجمة

أختها دون أن تنسى الأرض -

هل يُعقل أن يكون هذا النسيج شخصاً آخر غيري؟

لا أصلق ، -

اسألوا التقمص إن كنتم في شك ...

مرة ، صرت لؤلؤة ،

تحيا مع اسمها

وحيدة ... ضمن العالم خارج العالم .

حينذاك عرفت كيف تعطي مجاناً كالشمس ،

وحين رأيتها عارية تبحت عن ثوب ضائع ترتديه

تعلمت كيف تكسو عري العالم .

وصحت أيها الآخرون أيها الأقنعة

إنني من طينة ثانية ، أعيش في وحدة اللؤلؤة ،

لهذا تبدون لي ، أنا الميت بينكم ، جثناً ،

وصحبتُ قبيلَ ذلكَ - تقدّمَ ، تقدّمَ يا عصراً يكون فيه الإنسانُ طقسَ نفسه :

السَّقُوطُ والله ، الأرضُ والجنّةُ ، القائمُ والقيومُ . . .

ومرّةً صرتُ

عاصفةً - مزماراً بألافِ الثقوبِ يعني لنفسه بين نفسه والفضاء

وتنتحبُ في ثقبه روحُ الدنيا ،

كنتُ وأنا أضني

أجعلُ الهواءَ آنيةً للبحورِ

والغيومَ أهداياً للأرضِ

والمطرَ أجراساً وخواتمَ .

أرضٌ تعرضُ نفسها عليّ ، تنهضُ في أحشائي ؛ -

أعرفُ الآنُ أن أجمعُ أشياءَ الأرضِ

أجعلُها في وسادةٍ أمّتها تحت خدّي

أعرفُ الآنُ

أين يكون الليلُ إذا جاء النهارُ ،

والنهارُ إذا جاء الليلُ ،

أعرفُ أن جنسَ الرّيوبيةِ يتأصلُ في أحشاءِ الأرضِ ويتناسلُ ،

أعرفُ الأرضَ بالأرضِ

والسّماءَ بنورِ الأرضِ .

هكذا أظهرُ في قميصي الجديد!

لكن ،

ما هذا الخوفُ؟ ما جئت لألقي الخوفَ بل التغييرَ .

حتى كورنيش البحر يختبئ
وبيروت كالخيوط ،
حتى أصدقائي صاروا كالخيوط
شجرة وحيدة تعانق الجمر وهي تفتح إنجيل الفضاء فتحت أغصانها
وفياتني
أه يا صديقتي ،
وشكراً .

5

1 - أصوات :

الحلم المكان ورقاص الوقت
يجيء

يلغ العتبة

يدخل ويقبل المحضور

يجلس

في القلم والورق

في تفاعيل الحياة ونشرها

في الكلام والنحيز .

2 - قداس :

رجع دفتر الشمس السوداء وعادت أيامه
رجع الحبر الأبيض كالدمع
وانفتح الباب الآخر
البريء جنازة كل يوم
والبراة الكفن .

3 - جرس :

الضوء الضوء
النفس الأرضي الأجنبي بين الأشجار
يتراجع محمولاً على الهواء
يتراجع ساقطاً في مداراته
يفصل أيامه
يعتزل مع شمسه بين الرداء والجسد
تحت البشرة ما وراءها
والخبر أن شمسه حبلى .

4 - شجرة :

لماذا الإنسان حين لا يكون للإنسان اسم ولا هوية؟
لماذا المكان حين يكون مقفلاً ، مليئاً كالطبل؟

5 - فراشة :

ستموت وتسكن مثلي في الظل تحت الفصول
حيث لا جاز إلا صدانا
في القبار وفي العشب حين عبّرنا
مرة ورسمنا خطانا
في كتاب الشهور
وسنبقى هنا أثراً لسوانا
أثراً للتغيؤ في الظل تحت الفصول
حينما يسقطون ويُقويهم صدانا .

6 - أصوات :

رأس مهيار سحر
كان المكان
طبق تحته يدار
رأس مهيار بروج وقارورة للدخان
رأس مهيار نجم
كان الليالي
طرق حوله ونار
رأس مهيار يعلو
يضيء الأعالى .

7 - أغنية :

لو دَعَوْتُ الرِّيحَ وَأَزْهَمْتُهَا

لو حَلَمْتُ

أَنْ لِي عَالَمًا لَا يُعَلِّدُ بِالْأَرْضِ ، بِلِ بِالرِّيحِ

أَنْ لِي رَايَةً فِي الضَّمَيَاءِ وَمَمْلَكَةً فِي الْجَنَاحِ

لَوْ دَعَوْتُ الرِّيحَ

وَأَخَلَّتْ مِفَاتِيحَهَا وَاخْتَبَأَتْ ،

غَيْرَ أَنَّ الرِّيحَ

دَخَلَتْ فِي الصَّبَاحِ

حِينَمَا لَقَّنِي النَّعَاسَ وَعَانَقَتْهَا وَحَلَمْتُ ...

(بيروت ، آذار 1962)

قبر من أجل نيويورك

www.alkottob.com

www.alkottob.com

١

حتى الآن ، ترسم الأرض إجابةً
أعني ثدياً

لكن ، ليس بين الثدي والشاهدة إلا حيلة هندسية :

نيويورك ،

حصارة بأربع أرجل . كل جهة قتل وطريق إلى القتل ،

وفي المسافات أنين الفرقى .

نيويورك ،

امرأة - تمثال امرأة

في يد ترفع نخرةً يسميها الحرية ورقاً نسميه التاريخ

وفي يد تختق طفلة اسمها الأرض

نيويورك ،

جسد بلون الإسفلت . حول خاصرتها وتناز رطب ، وجهها شبك مغلق . . .

قلت : يفتحه وولت ويتمان - «أقول كلمة السر الأصلية» - لكن لم يسمعها

غير إله لم يعد في مكانه . السجناء ، المبيد ، البائسون ، اللصوص ،
المرضى يتدفقون من حنجرته ، ولا فتحة ، لا طريق . وقلت جسر بروكلين!
لكنه الجسر الذي يصل بين ويتمان و وول ستريت ، بين الورقة - العشب
والورقة - الدولار . . .

نيويورك - هارلم ،

من الأتي في مقصلة حديد ، من الذاهب في قبر بطول الهنسون؟ انفجر
ياطقس الدمع ، تلاحمي يا أشياء التعب . زرقة ، صفرة ، ورد ، ياسمين
والضوء يسن دبايسه ، وفي الوخز تولد الشمس . هل اشتعلت أيها الجرح
المحتجب بين الفخذ والفخذ؟ هل جاءك طائر الموت وسمعت آخر
الحشرة؟ حبل ، والعنق يجدل الكأبة وفي الدم سويداء الساعة . . .

نيويورك - ماديسون - بارك افينيو - هارلم ،

كسل يشبه العمل ، عمل يشبه الكسل . القلوب محشوة إسفنجاً والأيدي
منفوخة قصباً . ومن أكذاس القذارة وأقنعة الامبايرستيت ، يعاود التاريخ
روائع تتلئ صفائح صفائح :

ليس البصر أعمى بل الرأس ،
ليس الكلام أجرد بل اللسان .

نيويورك - وول ستريت - الشارع ١٢٥ - الشارع الخامس

شيخ ميلوزي يرتفع بين الكتف والكتف . سوق العبيد من كل جنس . بشر

يحيون كالنبات في الحدائق الزجاجية . باثسون غير منظورين يتغفلون
كالغبار في نسيج الفضاء - ضحايا لولبية ،

الشمس مائمه
والنهار طيل أسود .

هنا ،

في الجهة الطحلبية من صحرة العالم ، لا يراني إلا زنجي يكاد أن يُقتل أو
عصفورٌ يكاد أن يموت ، فكّرت :

نبته تسكن في أصيصٍ أحمر كانت تتحول وأنا أبتعد عن العتبة ، وقرأت :
عن فتران في بيروت وغيرها ترفل في حرير بيت أبيض ، تنسلح بالورق
وتقرض البشر ،

عن بقايا خنازير في بستان الأجدية تدوس الشعر ،
ورأيت :

أينما كنت _

بثسبورغ (أنتيرناشينال بويتري فورم) ، جون
هويكنز (واشنطن) ، هارفارد (كسامبروج ،
بوسطن) ، أن آربر (ميشيفن ، ديترويت) ، نادي
الصحافة الأجنبية ، النادي العربي في مقر
الأمم المتحدة (نيويورك) ، برنستون ، تمبل
(فيلادلفيا) ،

رأيتُ

الخريطة العربية فرساً تجرجر خطواتها والزمن يتهدل كالخروج نحو القبر أو
نحو الظل الأكثر عتمة ، نحو النار المنطفئة أو نحو نار تنطفئ ؛ تكتشف

كيمياء البعد الآخر في كركوك الظهران وما تبقى من هذه القلاع في أفراسيا العربية . وما هو العالم يتضح بين أيدينا . ههنا نهيى الحرب الثالثة ، ونقيم المكاتب الأولى والثانية والثالثة والرابعة لتأكد :

- 1 - في تلك الناحية حفلة جاز ،
- 2 - في هذا البيت شخص لا يملك غير الحجر ،
- 3 - في هذه الشجرة عصفور يغني .

ولنعلم :

- 1 - الفضاء يقاس بالقفص أو بالجدار ،
- 2 - الزمن يقاس بالحبل أو بالسوط ،
- 3 - النظام الذي بيني العالم هو الذي يبدأ بقتل الأخ ،
- 4 - القمر والشمس درهماً يلعبان تحت كرسي السلطان ،

ورأيتُ

أسماء عربية في سعة الأرض أكثر حنواً من العين ، تُضيء لكن كما يضيء كوكبٌ مشردٌ «لا أسلاف له وفي خطواته جذوره . . .» .

هنا ،

في الجهة الطحلبية من صحرة العالم أعرف ، أتعرف . أذكر نبتة أسميها الحياة أو بلادي ، الموت أو بلادي - ريحاً تجمد كالملاءة ، وجهها يقتل اللعب ، عيناً تطرد الضوء ، وأبتكر ضدك يا بلادي ،

أهبط في جحيمك وأصرخ :
أقتر لك إكسيراً ساماً وأحييك ،
وأعترف : نيويورك ، لك في بلادي الرّواق والسريير ، الكرسي والرأس . وكل
شيء للبيع : النهار والليل ، حجر مكة وماء دجلة . وأعلن : مع ذلك تلهشين
- تسابقين في فلسطين ، في هاتوي ، في الشمال والجنوب ، الشرق
والغرب ، أشخاصاً لا تاريخ لهم غير النار ،
وأقول : منذ يوحنا المعمدان ، يحمل كلُّ منا رأسه المقطوع في صحن
وينتظر الولادة الثانية .

تفتتي يا تماثيل الحرية ، أيتها المسامير المفروسة في الصدور بحكمة تقلد
حكمة الورد . الريح تهبّ ثانية من الشرق ، تقتلع النخيل وناطحات
السحاب . وثمة جناحان يكتبان :

أبجدية ثانية تطلع في تضاريس المغرب ،
والشمسُ ابنةُ شجرةٍ في بستان القدس .
هكذا أضرمُ لهبي . أبداً من جديد ، أشكل وأحند :

نيويورك ،

امرأة من القشّ والسرير يتأرجح بين الفراغ والفراغ ، وها هو السقف يهترئ :
كل كلمة إشارة سقوط ، كل حركة رفش أو فأس . وفي اليمين واليسار
أجساد تحب أن تغير الحبّ النظر السمع الشمّ اللمس والتغير . تفتح الزمن
كبوابة تكسرهما وترتجل الساعات الباقية .

الجنس الشعر الأخلاق العطش القول الصمت وتنفي الأقفال . قلت : أغري
بيروت ،

... «بحث عن الفعل . ماتت الكلمة» ، يقول آخرون . الكلمة ماتت لأن
أستكم تركت عادة الكلام إلى عادة المؤمأة .

الكلمة؟ تريدون أن تكتشفوا ناراها؟ إذن ، اكتبوا . أقول اكتبوا ، ولا أقول
مؤمأوا ، ولا أقول انسخوا . اكتبوا ... من المحيط إلى الخليج لا أسمع لساناً ،

لا أقرأ كلمة . أسمع تصويهاً . لذلك لا ألمح من يلقي ناراً .
الكلمة أنفثَ شيءٍ وتحمل كل شيء . الفعل جهةً ولحظةً ، والكلمة
الجهات كلها الوقتُ كله . الكلمة - اليد ، اليد - الحلم
أكتشفك أيتها النار يا عاصمتي ،
أكتشفك أيها الشعر ،
وأغري بيروت . تلبسني وألبسها . نشرد كالشعاع ونسأل : من يقرأ ، من
يرى ؟ الفانتوم لدايان والنقط يجري إلى مستقره . صدق الله ، ولم يخطئ
ماو : «السلاح عاملٌ مهمٌ جداً في الحرب ، لكنه غير حاسم . الإنسان ، لا
السلاح ، هو العامل الحاسم» ، وليس هناك نصرٌ نهائي ولا هزيمة نهائية .

رَدَدَتْ هذه الأمثال والحكم ، كما يفعل العربي ، في وول مشرب ، حيث
تصب أنهار الذهب من كل لونٍ آتيةً من الينابيع . ورأيت بينها الأنهار
العربية تحمل ملايين الأشلاء ضحايا وتقدمات إلى الوثن السيد . وبين
الضحية والضحية يفقه البحارة فيما يتدحرجون من كرز لر بيلدنغ ، ليعودوا
إلى الينابيع .

هكذا أضرم لهبي ،

نسكن في الصخب الأسود لتمتلئ رئاتنا بهواء التاريخ ،
نطلع في العيون السوداء المسيجة كالمقابر لنغلب الكسوف ،
نسافر في الرأس الأسود لنواكب الشمس الآتية .

نيويورك ، أيتها المرأة الجالسة في قوس الريح ،

شكلاً أبعد من الذرة ،

نقطة تهرول في فضاء الأرقام ،

فخذاً في السماء وفخذاً في الماء ،

قولي أين نجمك؟ المعركة آتية بين العشب والأدمغة الالكترونية . العمر

كله معلق على جدار ، وما هو النزيف . في الأعلى رأسٌ يجمع بين القطب

والقطب ، في الوسط آسيا وفي الأسفل قدمان لجسد غير منظور . أعرفك

أيتها الجثة السابحة في مسك الخشخاش ، أعرفك يا لعبة الشدي والتدي .

أنظر إليك وأحلم بالثلج ، أنظر إليك وأنتظر الخريف .

ثلجك يحمل الليل ، ليلك يحمل الناس خفافيش تموت . كل جدار فيك

مقبرة . كل نهار حفارٌ أسود

يحمل رغيماً أسود صحناً أسود

ويخطط بهما تاريخ البيت الأبيض :

أ -

ثمة كلابٌ تترايط كالعقيد . ثمة قطعاً تلد خوذاً وسلاسل . وفي الأزقة

المتسللة على ظهور الجرذان ، يتناسل الحرس الأبيض كالقطر .

ب -

امرأة تتقدم وراء كليها المسرج كالحصان . للكلب خطوات الملك ، وحوله

تزحف المدينة جيئشاً من الدمع . وحيث يتكدس الأطفال والشيوخ الذين يغطيهم الجلد الأسود ، تنمو براءة الرصاص كالزروع ، ويضرب الهلع صدر المدينة .

ج -

هارلم ... بدفورده ستويفتسنت : رملٌ من البشر يتكاثف بروجاً بروجاً . وجوه تتسج الأزمنة . التفائيات ولائم للأطفال ، الأطلاق ولائم للمجرذان . . . في العيد الدائم لثالوثٍ آخر : الجايبي ، الشرطي ، القاضي - سلعة الفتك ، سيف الإبادة .

د -

هارلم (الأسود يكره اليهودي) ،

هارلم (الأسود لا يحب العربي حين يذكر تجارة الرقيق) ،

هارلم ... برودواي (البشر يدخلون وخويات في أنابيب الكحول والمخدرات) .
برودواي - هارلم ، مهرجان سلاسل وعصي ، والشرطة جرثومة الزمن . طلقة واحدة ، عشر حمامات . العيون صناديق تموج بثلاج أحمر ، والزمن عكاز يصرح . إلى التعب أيها الزنجي الشيخ ، الزنجي الطفل . إلى التعب أيضاً وأيضاً .

هارلم ،

لست أتياً من الخارج : أعرف غضبك ، أعرف خبزه العليب . ليس للمجاعة

غير الرعد المفاجئ ، ليس للمسجون غير صاعقة العنف . ألمح نارك تتقدم
تحت الإسفلت في خراطيمٍ وأفتحة ، في أكياسٍ من النفايات يحضنها
عرش الهواء البارد ، في خطوات منبوذة تتعمل تاريخ الريح .

هارلم ،

الزمن يُحتضِر وأنت الساعة :

أسمع دموعاً تهذر كالبراكين ،

ألمح أشداقاً تأكل البشر كما تأكل الخبز

أنت الممحة لتمحو وجه نيويورك ،

أنت العاصف لتأخذها كالورقة وترميها .

نيويورك = SUBWAY + I.B.M آتياً من الوحل والجريمة ذاهباً إلى الوحل
والجريمة .

نيويورك = ثقباً في الغلاف الأرضي ينبجس منه الجنون أنهاراً أنهاراً .
هارلم ، نيويورك تُحتضِر وأنت الساعة .

بين هارلم ولنكولن سنتر ،

أتقدم رقماً تائهاً في صحراء تغطيها أسنان فجرٍ أسود . لم يكن للبحر ، لم تكن ريح . كنت كمن يتبع شبحاً (ليس الوجه وجهاً بل جرح أو دمع ، ليست القامة قامة بل وردة يابسة) ، شبحاً - (هل هو امرأة؟ رجل؟ هل هو امرأة - رجل؟) يحمل في صدره أقواساً ويكمن للفضاء . مرّت غزاة ناداها الأرض . ظهر عصفور ناداه القمر . وعرفت أنه يركض ليشهد بعث الهندي الأحمر . . . في فلسطين وأخواتها ،

والفضاء شريط رصاص ،

والأرض شاشة قتلى .

وشعرت أنني ذرة تتموّج في كتلة تتموّج نحو الأفق الأفق الأفق . وهبطت أودية تتطاول وتتوازي ، وخطرت لي أن أشك في استدارة الأرض . . . وفي البيت كانت يارا ،

يارا طرف أرض ثانية ونيزار طرف آخر .

وضعت نيويورك بين قوسين وسرت في مدينة موازية . قدمائي تمتلئان بالشوارع ، والسماء بحيرة تسبح فيها أسماك العين والظنّ وحيوانات الغيم . وكان الهدسون يرفرف غراباً يلبس جسد البلبل . وتقدّم نحوي الفجر طقلاً يتأوه ويشير إلى جراحه . وناديت الليل فلم يجب . حمل سريريه واستسلم للرصيف . ثم رأيتّه يتسغطى بريح لم أجد أرق منها غير الجسدان والأعمدة . . . صرخة ، صرختان ، ثلاث . . . وأجفلت نيويورك كصفدع

نصف جامد يقفز في حوض بلا ماء .

لنكولن ،

تلك هي نيويورك : تتكئ على عكاز الشيخوخة وتتنزه في حدائق الذاكرة ،
والأشياء كلها تميل إلى الزهر المصنوع . وفيما أنظر إليك ، بين المرمر في
واشنطن ، وأرى من يشبهك في هارلم ، أفكر : متى تحين ثورتك الآتية؟
ويعلو صوتي : حرروا لنكولن من بياض المرمر ، من نيكسون ، وكلاب
الحراسة والصيد . اتركوا له أن يقرأ بعين جديدة صاحب الزنج علي ابن
محمد ، وأن يقرأ الأفق الذي قرأه ماركس ولينين وماو تسي تونغ ،
والثوري ، ذلك المجنون السماوي الذي أنحل الأرض وسمح لها أن تسكن
بين الكلمة والإشارة . وأن يقرأ ما كان يود أن يقرأ هوشي منه ، عروة ابن
الورد : «أقسم جسمي في جسيم كثيرة . . .» ، ولم يعرف عروة بغداد ، وربما
رفض أن يزور دمشق . بقي حيث الصحراء كتفأ ثانية تشاركه حمل
الموت . وترك لمن يحب المستقبل جزءاً من الشمس منقوعاً في دم غزاة
كان يناديها : حبيبتي! واتفق مع الأفق ليكون بيته الأخير .

لنكولن ،

تلك هي نيويورك : مرآة لا تعكس إلا واشنطن . وهذه واشنطن : مرآة تعكس
وجهين - نيكسون وبكاء العالم . ادخل في رقصة البكاء ، انهض لا يزال
ثمة مكان ، لا يزال دور . . . أعشق رقصة البكاء الذي يتحول إلى حمامة
تتحول إلى طوفان . «الأرض للطوفان محتاجة . . .» .

قلت البكاء وعنيت الغضب . عنيت كذلك الأمثلة كيف أفتح المعرفة بأبي
العلاء؟ سهولَ الفرات بالفرات؟ كيف أبدلَ النخوةَ بالسنبلة؟ (لا بدَّ من
الجرأة لطرح أمثلة أخرى على النبي والمصحف) ، أقول والمخ غيمةٌ تتقلد
النار؛ أقول والمخ بشراً يسيلون كالدمع .

نيويورك ،

أحصركِ بين الكلمة والكلمة ، أقبض عليك ، أخرجكِ ، أكتبكِ وأمحوككِ .
حارة باردة ، بين بين . مستيقظة ، نائمة ، بين بين . أجلس فوقك وأنتهد .
أتقدمك وأعلمك السير ورأني . سحقتك بعيني ، أنت المسحوقة بالرعب .
حاولت أن أمر سوارحك : امستلقي بين فتحتي لأمنحك مدى آخر ؛
وأشيائك : اغتسلي لأعطيك أسماء جديدة .

كنت لا أجد فرقاً بين جسد برأس يحمل أغصاناً نسميه شجرة ، وجسد
برأس يحمل خيوطاً رفيعة نسميه إنساناً . واختلطت عليّ الحجرة والسيارة ،
وبدا الحذاء في الواجهات خوذة شرطي والرفيفُ صفيحة توتياء .

مع ذلك ، ليست نيويورك لغواً بل كلمة . لكن حين أكتب : دمشق ، لا
أكتب كلمة بل أقلد لغواً . دال ميم شين قاف . . . لا تزال صوتاً ، أعني شيئاً
من الريح . خرجت مرة من الحبر ولم تعد . الزمن واقف حارساً على العتبة
يسأل : متى تعود ، متى تدخل ؟ كذلك بيروت القاهرة بغداد لغواً شامل
كهباء الشمس . . .

شمس ، شمسان ، ثلاث ، مئة . . .

(استيقظ فلان وفي عينيه اطمئنانٌ يمتزج بالقلق . يترك زوجته وأبنائه
ويخرج حاملاً بندقيته . شمس ، شمسان ، ثلاث ، مئة . . . ها هو كالخيط

مهزوماً ينزوي تحت نفسه . يجلس في المقهى . المقهى يمتلئ بحجارة
ودُعىُ نسميها رجالاً ، بصفادعٍ تنقياً الكلام وتوسخ المقاعد . كيف يستطيع
فلان أن يثور وعقله مليءٌ بدمه ، ودمه مليءٌ بالسلاسل؟
اسألك ، أنت من تقول لي :
أجهل العلم وأتخصّص بكيمايا العرب .

السيدة بروينج ، يونانية في نيويورك . بيتها صفحة من كتاب المتوسط .
الشرق . ميرين ، نعمة الله ، ايف بوتفوا . . . وأنا كمن يضيع ويقول أشياء لا
تقال . كانت القاهرة تتناثر بيننا ورداً يجهل الأزمنة ، وكانت الاسكندرية
تختلط بصوت كفاي وسيفيريس . «هذه أيقونة بيزنطية . . .» ، قالت والزمن
يلتصق على شفتيها عطراً أحمر . كان الوقت يحدودب والثلاج يتكوى ،
(منتصف ليلة ٦ نيسان ١٩٧١) .

ونهدت في الصباح صارخاً

قبل ساعة العودة : نيويورك!

تمزجين الأطفال بالثلج وتصنعين كحكة العصر . صوتك إكسيد ، سمّ مما
بعد الكيمياء ، واسمك الأرق والاحتناق . سنترال يارك تولم لضحاياها ،
وتحت الشجر أشباح جثث وخناجر . ليس للريح غير الأغصان العارية ،
ليس للمسافر إلا طريق مسدود .

ونهدت في الصباح صارخاً : نيكسون ، كم طفلاً قتلت اليوم؟

— «لا أهمية لهذه المسألة!» (كالي)

— «صحيح أن هذه مشكلة . لكن أليس صحيحاً كذلك أن هذا ينقص عدد
العدو؟» (جنرال أميركي) .

كيف أعطي لقلب نيويورك حجماً آخر؟ هل القلب هو كذلك يوسع حدوده؟
نيويورك — جنرال موتورز الموت ،

«سنبذل الرجال بالنارا» (مكنمارا) — يجفّفون البحر الذي يسبح فيه الثوار ،

«حيث يجعلون من الأرض صحراء ، يسمون ذلك سلاماً» (تاسيت) .
ونهضت قبل الصباح ، وأيقظت وثمان .

وولت ويتمان ،

أجمع رسائل إليك تتطير في شوارع منهاتن . كل رسالة عربية مملأى بالقطط
والكلاب . للقطط والكلاب القرن الواحد والعشرون ، وللبشر الإبادة :

هذا هو العصر الأميركي!

ويتمان ،

لم أرك في منهاتن ورأيت كل شيء . القمر قشرة تُفلف من النوافذ ،
والشمس برتقالة كهربائية . وسحين قفز من هارلم طريق أسود في استدارة
قصر يتوكأ على أهدابه ، كان وراء الطريق ضوء يتبعثر على مدى الإسفلت ،
ويغور كالزراع بعد أن يصل إلى غرينيش فيليبج ، ذلك الحي اللاتيني الآخر ،
أعني الكلمة التي تصل إليها بعد أن تأخذ كلمة حُب وتضع نقطة تحت
الحاء . (أذكر أنني كتبت ذلك في مطعم فايسروي بلندن ، ولم يكن معي
غير الحبر . وكان الليل ينمو كزغب العصافير) .

ويتمان ،

«الساعة تعلن الوقت» (نيويورك - المرأة قمامة ، والقمامة زمن يتجه إلى
الرماد) .

«الساعة تعلن الوقت» (نيسويورك - النظام بافلوف ، والناس كسلاّب
التجارب . . . حيث الحرب الحرب الحرب) . «الساعة تعلن الوقت»
(رسالة آتية من الشرق . طفل كتبها بشرياته . اقرأها : الدمية لم تعد
حمامة . الدمية مدفع ، رشاش ، بندقية . . . جثث في طرقات من الضوء

تصل بين هانوي والقدس ، بين القدس والنيل) .

ويتمان ،

«الساعة تعلن الوقت» وأنا

«أرى ما لم تره وأعرف ما لم تعرفه» ،

أتحرك في مساحة شاسعة من علب تتجاور
كسراطين صفراء في محيط من ملايين العجز
... الأشخاص ؛ كل واحدة عمود بيدين
وقلمين ورأس مكسور . وأنت

«أيها المعجزة ، المنفي» ، المهاجر»

لم تعد إلا قبعة تلبسها عسافير لا تعرفها سماء أميركا
ويتمان ، ليكن دورنا الآن . أصبح من نظراتي سلماً . أنسج خطواتي وسادة ،
وسوف ننتظر . الإنسان يموت ، لكنه أبقى من القبر . ليكن دورنا ، الآن .
أنتظر أن يجري الفولغا بين منهاتن وكوينز ؛ أنتظر أن يصب هوانغ هو حيث
يصب الهدسون . تستغرب؟ ألم يكن العاصي يصب في التيبر؟ ليكن دورنا
الآن . أسمع رجّة وقصفاً . وول ستريت وهارلم يلتقيان ... يلتقي الورق
والرعد ، الغبار والعصف . ليكن دورنا ، الآن . المحار يبني أعشاشه في موج
التاريخ . الشجرة تعرف اسمها . وثمة ثقب في جلد العالم ، شمس تغير
القناع والنهاية وتنتحب في عين سوداء . ليكن دورنا ، الآن نقدر أن ندور
أسرع من الدولاب ، أن نحطم الليرة ونسبح في دماغ إلكتروني باهت أو
متلاكي ، فارغ أو مليء ، وأن نتخذ من العصفور وطناً . ليكن دورنا ، الآن .

ثمة كتاب أحمر صغير يصعد . لا الخشبة التي اهترأت تحت الكلمات بل
هذه التي تتسع وتنمو ، خشبة الجنون الحكيم ، والمطر الذي يصبحو لكي
يرث الشمس . ليكن دورنا ، الآن . نيويورك صنخرة تتدحرج فوق جبين
العالم . صوتها في ثيابك وثيابي ، فحمها يصبح أطرافك وأطرافي ...
أستطيع أن أرى النهاية ، لكن كيف أقتع الزمن لكي يسقيني حتى أرى ؟
ليكن دورنا ، الآن . وليسج الزمن في ماء هذه المعادلة :
نيويورك + نيويورك = القبر أو أي شيء يجيء من القبر ،
نيويورك - نيويورك = الشمس .

في الثمانين أبدأ الثامنة عشرة . قلت هذا أقول وأكرر ولم تسمع بيروت .
 جثة هذه التي توحد بين البشرة والثوب
 جثة هذه المستلقية كتاباً لا حبراً
 جثة هذه التي لا تسكن في صرف الجسد ونحوه
 جثة هذه التي تقرأ الأرض حجراً لا نهراً
 (نعم أحب الأمثال والحكمة ، أحياناً)

إن لم تكن مُهيماً ، تكن جثة!

أقول وأكرر ،

شعري شجرة وليس بين الغصن والغصن ، الورقة والورقة إلا أمومة الجذع
 أقول وأكرر ،

الشعر ورده الرياح . لا الريح ، بل المهب ، لا الدورة بل المدار . هكذا أبطل
 القاعدة ، وأقيم لكل لحظة قاعدة . هكذا أترب ولا أخرج . أخرج ولا أعود .
 وأتجه نحو أيلول والموج .

هكذا ، أحمل كوباً على كتفي وأسأل في نيويورك : متى يصل كاسترو؟
 وبين القاهرة ودمشق أنتظر على الطريق المؤدي ...

... التقى ضيفارا بالحرية . تغلغل معها

في فراش الزمن وناما . وحين

استيقظ لم يجدها . ترك النوم

ودخل في الحلم ،

في بيركلي ، في بيروت وبقية الخلايا ، حيث يتهبأ كل شيء ليصير كل شيء .

هكذا ،

بين وجهٍ يعيل إلى الماريجوانا تحمله شاشة الليل ،
ووجه يعيل إلى الأبي بي إم تحمله شمس باردة ،
أجريت لبنان نهراً من الغضب ، وطلع جبران في ضفة وطلع أدونيس في
الضفة الثانية .

وخرجت من نيويورك ، كما أخرج من سرير :
المرأة نجمة عطفأة والسرير ينكسر أشجاراً بلا فضاء ، هواء يعرج ، صليباً لا
يتذكر الشوك
والآن ،

في عربة الماء الأول ، عربة الصور التي تجرح أرسطو وديكارت أتوزع بين
الأشرفية ومكتبة رأس بيروت ، بين زهرة الإحسان ومطبعة حايك وكمال ،
حيث تتحول الكتابة إلى نخلة والنخلة إلى يمامة .

حيث تتناسل ألف ليلة وليلة وتختفي بشينة وليلى
حيث يسافر جميل بين الحجر والحجر ، وما من أحد يحظى بقيس .
لكن ،

سلام لوردة القلام والرمل

سلام لبيروت .

(نيويورك 25 آذار - بكفيا 15 أيار 1971)

www.alkottob.com

تدائس بلا قصد،

خلیل احتمالات...

www.alkottob.com

... «هل ترين حرجاً إذا أهديتك
قصيدة؟»
... «على العكس ، هذا مجرد لي» .

I

... إذن ، كانت قدّاساً بلا قصدٍ ، خليطاً احتمالات
وكان يتبدّد في ما يشبه الدروب
في زقاق
في حارة النقاشات
أو في القصاع
يقرا جذوع التاريخ في اتجاه امرأة تقرأ الغصون .
... «هذه لها» /

وبدا صاحب البيت كأنه قوس قزح رآه في غابةٍ ما .
... «غداً تأتي» /

سلامٌ لتلك البيت ، جرساً صامتاً ، يتغلغل في أحضان الليل . أهلاً
بهذا الشاعر يتلألاً ضليلاً ، كمثل كوكب يكاد أن يسقط .

من زمن ،
يقول الغبطة ويقول اليأس .
حظاً آخر أن يتعلمها ،
تحفزاً آخر أن تحاصره ، ...
يتموج فيها ويستشرف :
« هل أنت من هاويتي وفوضاي ؟ »
- « إليّ ، إليّ مسرحي ، أيها المبعثر
أنا من تفاجتلك
أنت من يغلب أحشائي
وكلانا حربٌ غير هذه الحرب . »

لكن ، لماذا لا يملؤه إلا حُبٌ ينتظره ؟
لكن ، لماذا لم يجمع هذا الحُبُّ ؟

... في حُبٍّ لم يجمع بعد ، يرسم وجهه على الغيم
ويمنح جسده لأفياء الذاكرة /
الحياة نايٌّ من الغبار
وصفصاف الحزن وارفٌ حتى الأفق .

وها هي النجوم فوق الحميدة تهتدي بشرفات
المهاجرين . تمدّ أيديها إلى قاسيون ، وتترك أفخاذها في أسرة غامضة .

إنها المدينة - جندي من القلج
في خاصرته اليسرى ثقب ، والبقية لنا .
إنه التاريخ - حصان عليل يقطر من قوائمه
ماء أسن .
أثبت في الجراح ، أيها الملح ، كقرون الأياثل /
الجوع ميلاد ،
والأرض ضيقة على الأرض ، -

كيف يقرؤك ، أيتها المرأة / كيف يقرؤك ،
أيتها المدينة ؟
- ما نوايا ، ما هدفه ؟
- هدفه الرعد ، نوايا الطوفان .

كان الهواء يضبط على الشاعر كلاماً لم يفهمه
كان الشاعر يتمنئ ويصير للمدينة عوداً رطباً
كان الأفق يتنسمه ويستريح إليه ، -
شمسك جديدة ، أيها النهار
الظل ينسط ويتنل
الأعشاب تزين وتخصب ، -
شيخ الربيع ، زهرة الحواشي ،
السماء تتحدث والهواء ممشوق /

صمتاً ، -
لا نسمع إلا صوت الرنة :

- «ممتزجاً بك ،
أتهديك
أكتبك في كل خلية من خلاياي
أتكلمك ،
وأستسلم ، يا لغتي ، إليك» .

- «قصبة تنحني إليك ، عشباً تسكر بك
أثرتني في تقاطيعك ،
أنغرس فيك وأقول لجسدي محروث أنت بجسده
تتحول إلى حقل واحد وأقول
انتظرنني في الطرف الأقصى من الحصاد
كن خريفي -
الربيع تمهيد ،
الصيف عطش ،
الشتاء انتظار ، -

وأنصحجني ، أيها الخريف الشاعر ،
حيث أجرف الزمن كنهري وحشي ، وأصرخ

أنا الحياة ،

تطوّخ فيّ ،

اشتعلت ،

أيها الطالع بين عينيّ

ندشّن مملكة جسدنا ... وأعلن /

أحبك وأزحزح تفحوم الجسد ،

أحبك وأطلع فيك نبتة مسحورة ،

أحبك وأقول حبك يتجاوزني ،

أحبك وأقول : «حبيّ الشهر»

ولن تعبر الشهرَ مرتين . . .

II

... إذن ،

كان برجاً من الضوء وله قامة الأفق ، يملأ المكانَ

بالمكان ، يربط

الوقت بالوقت .

هكذا سمّته الحبيب الذي نفاها إليه . هكذا

وشوّشت نفسها :

«تزيّني به / إنه البرق

تعرّضني له

زاحميه

وأبّيتي وتنوّعي . . .

بعضنا ذبيحة بعضنا ، وكلانا قدّاس الآخر . . .

... أهّني للاتّصال بك ،

أعضائي طافحة سُكراً

وظنّي أنك آخر أفق يحوشني .

... ظنّي أنك آخر جسدٍ أحوشه ،

لذلك يحضرنني خوفاً منك -

لكن ،

خُذيتني إليك

يا بيتَ الفتنة ، وبيتَ الرّغبة ، وبيتَ النّشوة .

ناغيني بفريقك ،

ادمجيني فيك ، أدرجيني معك ،

خوّضيني في القلق ،

وموّجني عليّ الخوف .

III

أَصْفَى إِلَى جَسَدِهَا (جَسَدِهَا لَفْتَهُ وَبِهِ يَتَكَلَّمُ)

يَتَكَلَّمُ عَلَى السَّفَرِ بَيْنَ الْحَبْرِ وَالْوَرَقِ ،

بَيْنَ الْعَضْوِ وَالْعَضْوِ ،

يَتَكَلَّمُ ضِدًّا . . . /

يَتَكَلَّمُ عَلَى انْقِلَابِ الْجَسَدِ وَيَنْشِئُ سُلْطَتَهُ

يَتَكَلَّمُ لِيَقِيمَ نِظَامَ الدَّمِ بَيْنَ جَسَدَيْهِمَا

يَتَكَلَّمُ لِيَنْشِئَ كِتَابَةً سِوَاهُ كَجَسَدِهَا

لِيَقْلَلَ عَالِيًا فِي سَوِيَّةِ الْمَوْتِ

يُظَنُّ أَنَّ . . . /

أَلْهَذَا يَقُولُ الشَّاعِرُ :

أَخْلَقُ / لَا أَخْلَقُ إِلَّا شَقِيقًا وَأَنْصِدَاعَاتٍ؟

أَلْهَذَا يَقُولُ لِلْمَرْأَةِ / الْمَدِينَةَ :

أَكْتُبِ لَا كُونَ لَكَ ، وَجْهِي تَبِيْزُكَ وَأَنْتِ الْفَضَاءُ؟

... وتساءل جسدها : هل أنا تورية لمعرفته؟ هل هو معناه يتكوكب

حولِي ، أم هي صورته؟

وكتب جسدها :

قل تحوّل وجهه إلى ندى يقطر على الشرفات

قل خرج وجهه يرافق الزمن

وها هي قبائل العشب
ترتجل معه غزو المسافات .

... هكذا أعلننا :

نحن الجسمان الأولان ، والموت جسمنا الثالث .

هكذا كانت تكتب :

«الزمن اثنان - صامت وناطق

الناطق الجسد ، الصامت الموت» ،

هكذا كان يقرأ :

«أيها الخياط ، عندي حبٌ مفتوقٌ هل تخيطه؟»

«إن كان عندك خيوطٌ من ريب» .

... إذن ،

يبقى أن نعشقَ ولا نعرفَ لماذا

يبقى ما لا يقدر نظامٌ أن يمنحه

يبقى ما لا تقدر سلطةٌ أن تمنعه

تبقى حريةٌ أن أقبلكِ وحريةٌ أن تستسلمي

أتقمص قميصكِ وألهج بكِ

تتقمصين قميصي وتلهجين بي -

نجمل قشرة الأرض

ونجسُن الكون .

IV

... استرسل الشاعر يقرأ طالع المدينة ، حيث يهبط

نجمها على أوراقه /

يكتب إليك ، أيها النجم ، يقول إنه من مُشَاتِكَ في معسكر

الرغبة ويستنفر العناصر /

لكن ، كيف يقرؤك ، أيتها المدينة ، كيف يخرج

من حوضك الأخضر

الطافح بأوبئة لها طعم الترياق وبراءة الياسمين؟

حقاً ، أنت

السرة وفيك مهبل الأرض -

كيف أقرؤك ، أيتها المدينة / المرأة؟

بعذوبة ، تقطعين جسدي عرقاً عرقاً ،

وليس لي أن أقدم

غير القليل من الفرح

غير الكثير من الحزن .

لكنني أمنح أطفالك غضبي كله وقوتي كلها -

حيث أعلم حياتي أن تكون طريقاً واحداً : الجسد ،

وأقول للفتي أن تكون كلمة واحدة : الحرية .

... في اللغة التي تتعلم لتكون الحرية ،

سأل الشاعر بردى :

... « بردى ،

هل بقي وجهٌ ، وجه واحدٌ

يعبس حقاً حين يعبس

يبسم حقاً حين يبسم ،

وجهٌ واحدٌ

تبادل معه فطرة الحجر وصدق الريح؟ »

... بفطرة الحجر وصدق الريح ،

صنّع الليل ، وهو ينظر إلى الشاعر ،

نجمةً من سلاية أخرى ، كان فيها ما يشبه البنفسج ،

وما يشبه امرأة عاشقة /

التصق بها -

نفسه تكره الحرب ،

لكنّ جسده يعشق الخراب ،

وكان يتمتم لنفسه :

السّماء للنجوم ،

الأرض للحجر ،

أين مكانك ، يا شبيهي

يا من سمّوه الإنسان؟

... ذلك أن التاريخ يفكر بقدميه ،
وها هو يجاهد عائماً بين الحجر والحجر ،
وها هو يتطوح ، طيوراً مصعوقاً
تصفر حول نوافذ لا تفتح ،
وتهذي وتتلاشى .

... ذلك أن المدينة تُتلج الفناظاً ، وكل بيت يرحل
في اتجاه
ولكل لحظة شهادة

تعلو في انصداع جليدي يحرسه الطحلب ، والزمن بين الأرجل
يـ... شـ... قـ... قـ... قـ .
أنذر الشاعر ورق يتساقط ، توعد أنسامه
ريف أجرد .

... ذلك أن للحقول أردافاً تتزخرف بحجر الدم ،
... ذلك أن التربة الزكية تفضي ،
وأعضاؤها حديد هالك .

وسأل الشاعر :

— أيتها الريح التي تغتاب العطر ،
ما الذي يلتبس عليك في شهقة الورد؟

VI

... في مثل شهقة الورد ، خرجت من حوض الوله

إلى مصيرها . تنسحق

مسكاً بين شفتين ، وتقتَر في بقايا أعضائها .

ما أغرب هذه العاشقة : جذع شجرة ينقصف أمامها ،

تُوَيِّج زهرة يستحوذ عليها /

ها هو يشتعل ثانية ، ويضرم أحشاءه .

وها هي أعضاؤه

تتفرع أدغالاً أدغالاً .

ما أغرب هذا العاشق : جذع شجرة ينقصف أمامه ،

تُوَيِّج زهرة يستحوذ عليه /

... يجازف بطوقه ،

وبين ما بقي منه امرؤ القيس ، وصاحباً يأخذ درته

إلى التفري ، ويقدم له طاسة السكر ، ...

يمكن أن تكون للهديان هالة ،

وللدمع دائرة موج - سرير يحملنا ،

أو سقينة تقطر جسدنا .

يمكن أن تنقلب نكهة الجسدين إلى أسراب طيور تصرف

أمور الهواء

يمكن أن تتفارق ولا يكون بيننا وبين جسدنا غير

جسدنا .

... ذلك أن هذا ذابُّ جوارحه ،
يا مَنْ سمّاها حبيبتَه ،
وأنتِ عادةً أهدأ بهِ ، -
وبعد ذلك ، وإلّا ، ومهما يكنُ ...

VII

... بعد ذلك ، وإلّا ، ومهما يكنُ ...
شهوة البَشْرَةِ ، مباحج
العَضَلِ /

وأخذ نجمها يهبط على أوراقه :

هل الشمس ، هذه السنّة ، خيرٌ منها في السنّة
الماضية ، أيها النجم؟
وهل الغيم أكثر تناسلاً؟

لكنّ الغموضَ يصاهر الرّمادَ ، والمصادفةَ عصيّةً
حتى على التّرد .

... كان جسده فوق ما يقدر أن يتكلّم ،
كان عمله فوق ما يقدر أن يتحيّل ،

يطارده زهاء لاهوتٍ أو أكثر
يحضنه زهاء هرطقةٍ أو أكثر ، ...
شعبيذ أدلتك ، يا هذا الوقت ، أيها الصنوبر المقفى
بماء الضراعة ،

أنت حزمة الحطب ، وأنت شرعة الحرق ،
أنت العاهة ، وأنت البريء ،
ولست الركيبك ، ولست الخافت .

يهبط فيك ، يا هذا الوقت ، تقوده الشرفات ، ...
حدث ، مرة ، أن تناول الشوارع كما يتناول الجرائد
رأى إليها ترسم كالحروف
ورأى إلى الحروف تسمن وتمتلح دسماً ودهناً ،
ثم تتحوّل إلى شباكٍ ولافئات / ...

ويكون لأشعة الشمس أن
تلتقط جسداً امرأة وتسال :

كم جيلاً عمق جرحك أيها الجسد؟

ويكون للأرصفة أن تحتضن النساء

غابات غابات ، وتترك للطريد أن يكمن لرحيل الأنداء .

... واخذ الشاعر يصرخ كأنه يتمضمض بأحشائه :

انكسر صلبك ، يا هذه المدينة المشطرجة ، وتلطخت برشاشك . تشظي

وتعثريني في اتجاهاتك
صحو أن أغيم فيك . سطوع أن تُعتمى دروي ، -
أهلاً ، أيها الجسد القربان ، أيها
الهامش الطيب في متن رصد يتسلط ويوسوس ، -
سلاماً ، أيها للتاريخ الجنسي .
... وكان الليل ينسحب كخشخاش صوفي ،
ويدخل غابة الجوارح .

VIII

... لحظة شهوة ، لحظة انخراط ،
والزمن الشروب يسكر باسمك ، أيتها المرأة / المدينة .
لكن عطشي قرن شمسي ، وليس لعينيك أختان ،
أيتها الهاوية التي تخالطني ، -
يعطيها تولهي لعيني ،
وتنهبها منهما أعضائي -
وأنا الأفق الذي يتزين بشهواتك .

... وفي الليل الذي ينسحب كخشخاش صوفي
ويدخل غابة
الجوارح ، كنا - أنت وأنا ، نسمع وشوشة
أشجار ، زفير

أقيية :

/ الأرزقة خلايا من الجمر النقيء ، -

ثمة زمن يتخنث في رقص تنكري ،

ثمة استرجال يرشح من الزهر .

/ لك هذه الآفة الشافية الملقحة بليتك ولقأح .

/ لك هذه العضلة المنتممة بتخاريم الوقت

/ وأنت مسبك المحرم .

/ وأنت خابية الملذات .

/ ... تسلسل ، أيها الترنيم الباهي في توحش أملس

كشمام أخضر ، وأنت أيها الخط الثلث ، تغفل بين

الكوفي والديواني ، في واجهات تؤرخ لأعاديذ الرغبة ..

... وكنا ، أنت وأنا ، نتمتم :

اليهار يحتمم

الشوك يتورد

يلزمنا أن نقيم في جسد آخر ، وتعلم حصادنا ،

يلزمنا أن ننتهك مدنية اللغة ، ونصرخ :

نحن للوحشان الأخضران ،

ونهدر كلطف من البحر ...

... كمثل أعصاب ناقلة ، كانت كلماتنا تنتشر

بين قاسيون وجرمانا . الوقت في جسدنا
أرضٌ شامسة تلتهبُ ، وللكآبة في تقاطيعنا جبالٌ وبحيرات .
لكن ، كانت الأرض تتنوع ، وكان الحرثُ يتعمق ، -
هكذا ، تحت سُلطة الشجر تقدمنا .
وكان وسيطٌ لوشي وجهينا يستطلع لنا ويلبس أشكالَ
الليل . ورأيتُ إلى مزاجك الهادئ يدخل في خرابه
الجميل / أكرر :

في الكآبة أعطيك اسمي
في المنفى أنبتُ فيك ،
تَهْدَبُ فوقنا ، أيها الشجر ،
املأنا ، لا تخفُ ، أيها الغيب .

IX

... وأضئناك ، أيها الليل الآخر الذي يتلنى كالجلجل
في أعناق الشوارع .
وأنعشناك ، أيها السهرُ الآخر الذي يعرش على أنحائنا .
وأخذَ
يؤخنا ينسط ويتشعب ، كأنه يعادينا ويصادق القضاء
وكنت أرى كيف تخدمك في غاباتي المتنقلة ، نبتةً
ما ، وكيف
ينتسب شيخ الربيع إلى فصيلة زهرك المركب ... /

مَسُّ شَبَقِي
وانجرافاً خلايا -
أستثنيك من
كيفَ ولمَ وأين ،
وأمارس إعجازي .

زَعْبٌ بِيئِي
وأضيف كحولي إلى خمرك ،
وأنتجه معك نحو لجةٍ تشربُ أنحائي .

/ املاهما ، لا تخف ، أيها الغيب .
من جديد ، تغطيك ، أيها الشاعر ،
غيومٌ عرافاتٌ ينقطعن للمطر
ويتنبأن :
سيتزوج متحابةً
لكي لا يعرف بمن يلوذ ، -
وقل بيته بيتك ، أيها الرعد .

X

... قل بيته بيتك ، أيها الرعد ، واختر اسمك :
دمشق / لاتزال تنقش في ذاكرة أيامه رحي فتكك

لا تزال ترتسم أصواتٌ تحمل سطوة الجنائز .
لكن ، ها هو اسمك يزدوج الآن ،
لكن ، بمجد اسمك الآخر ، هو الآن
الشعر الذي يعيدُ سبكك
حرفاً حرفاً ،
لتكوني على مرمى الخلق ،
لتكوني قريبة على مدى الشعر .

بالغضب ، غطى جرحه إليها مرآتٍ ولم يلتئم ،
في جزرها ، انحسر مرآتٍ ولم ينكسر ،
في شحها وفتورها ، حفر ، نقر كثيراً كثيراً ،
ولم يتقهقر .

/ من أين لك أن تمتنعي علي؟

يقول الشاعر

أنتِ الشعاعُ وهو انعكاسك ، أنتِ الجهاتُ والسفرُ
كله إليك .

جسدك بستانٌ أميريٌّ مثقلٌ بالضرائب ،
ولقلبه نعمة الجباية .

وأنتِ خميرة الطُرق إلى الولدِ وأطرافِ الأبهة ،
وأنتِ الفتنة .

من أين لك أن تمتنعي علي ، يقول الشاعر

من أين لنا أن نتأفراً؟

هيئات ، هيئات ...

مَسْكُونٌ إِلَيْكَ ،

تَأْتُهُ إِلَيْكَ ،

وإِلَيْكَ فَوَضَعْتَنِي الرِّيحَ .

(دمشق ، كانون الثاني ، 1976 /

بيروت ، آب ، 1978)

**مراكش - فاس
والفضاء ينسج التأويل**

www.alkottob.com

قل الوقتُ يَشْطَحُ
في ضبابٍ يتهدل ويشفّ
لا من البخار لا من الغبار
بل من أنفاس البشر؛

قل التاريخُ قروحٌ وأنقاض
وللمحاضر نكهة القش؛

قل الملكُ للممالك
وقل ها هي الأيام تتوشى بالقتل .

بلى! حضارة ما ، تُحتضر في هذا الإصطيل المتمذّن ، -
وبين «الصيافين» و«طريق المسبيين»

أقاليم تسوك
تتجمهر فيها أمجاد عمائم وقناديل
وتتطوح في سراويل الألق .

بلى شيء ما يقذفه «باب العصا» ، يتوتر على
«باب البحر» ، ويكاد أن يتفجر في «باب البارود» -
هواجس تلتهم المسافات /
كيف تفتح الثقوب ليهب الهواء؟
لو تفيض هذه السدود ، لو تجنح هذه الشواطئ -
إنها طنجة ، المدى الذي يحارب القلب
ولا يسالم العين .

إذن ، سنسبل أحلامك في أصيلة ،
وامتشرفت مراكش وفاس .
إذن ، إلي ، أيتها التباريحُ
أجنحة كأطراف الكون ،
وتوهجي نبوءة ورمزاً .

II

طفلاً ،
تدخل إلى مراكش ، في حاشية من توابع الشجر والعشب
تحريك طلائع النخيل ، وكل غصن تاج من النار /

لا تُنكرَ

الخريف جمرِكَ أيها الرِّبيع
الرِّبيع ماؤِكَ أيها الخريف ، -

فجأة ،

تهيَّبَ المطرَ أمامَ نخلةٍ تتوجع
وأخذ يتجرَّع أوائلَ العطش ، -

قلَّقَ في الشَّوَّيجِ
طمأنينةً في الجَدْرِ ،

وأسمع ما يشبه الكلام : اليوم ، ينزل القمر إلى المدينة ،
ويزور أصدقاءه الفقراء .

III

ياخذك نحاسُ الوجوه
تأخذك فاقةٌ تعرّش على الخواصر
تأخذك أصواتٌ تملأ الشوارعَ بُسْطاً تثقبها أظافر الهجير ، -
وماذا يقول

ماسحُ الأحذية لهذا القفطان المذهب؟ وماذا يوسوس
بائع اللّين لتلك الناطحة من الإسمنت؟ وما لهذه
الأرصفة كأنها خيولٌ أرهقت ، تنكس البيارق؟

وحين توى إلى الشمس تغرباً ، يتجاذبها الأطلس
والمتمسط ، يُحيل إليك ، في الحق ، أنها جسد امرأة
يتخطفها سريران عاشقان .

IV

«جامع الفناء» / فجرٌ في أول الليل ،
أم هباء أقدام تلطمم بالعسق؟ -
نصٌ يتناسل في نصوص :

أ - المتن - «قصر البديع» / بوابات تفتح أو تغلق
احتفاءً بالأسرى
أو احتفاءً بالتائبين ،

ولسانك خنجرٌ ، أيها الشاهد . وبين يديك ، يخنق الصدق ،
في أروقةٍ ودعاليذٍ
في زقاناتٍ ومقاصيرٍ
لا تزال ترسم عليها حشرجات القتلى .

ب - الهامش - المحيط / انجذاباتٌ في أعيادٍ شبه منطفئة ، -
حلقاتٌ تتواترٌ ، أشكالٌ تلغو ، والرموز تتناثر صورةً صورة .

قدّموا سلامكم لعميان
يتحدون في الظلام
ويتسولون أنحناءً للثور ، -
قولوا إنها المادة تترقق في ماء المحفظات ،
قولوا إنها الروح تصالح الريح .

أنظر كيف يستقبل الليل خطوات الغبار
أنظر كيف يتلوى الخرز الأحمر الأبيض الأزرق
من عباكات الفضاء

أنظر إلى الوجوه تغترش التراب وتشتقيف السماء

هذا النجم ترس ، ذلك مائلة
هذا طبل ، ذلك أسطوانة
والمناخ قفطان
أنظر / ملائكة يهبط من الزهرة
أنظر / غزال مزوم بسلاسل من الظلمة
والظلمة على التراب
واليك ، أيها التراب ، ينتهي العلم .

تخاييلٌ أوهايمٌ خطراتٌ

ما السؤال الساقط السؤال اللازم
الجواب الجائز الجواب العادل
وكيف نغتسل من عشق عادة الإلف؟

حاس وأشك في هيئة المحسوس
مضطربٌ بيديها العقل ولست أتيقن ، -
قولي ينكسر /

هوذا الثلج حارٌ ، هي ذي النار باردة
هوذا المعلوم ساكنٌ وهو في نفسه متحركٌ ،
غامضٌ وهو في نفسه الواضح ، -

هل أقول فسد الاعتقاد وساخ لكل قائل ما أراد
هل أقول سلامٌ لهواي سلامٌ لطبيعي
أستحسنُ ثم أستقبح
أستصوبُ ثم أستخطئ
أستحلي المرّ أستمرّ الحلو
وأجد الشيء على خلاف ما هو /

سلمت يا أخلاطي .

جامع القنا /

كونَ مشحونٌ بكهرباءِ الذكري ، - أجسامٌ تُرسِلُ ،
أجسامٌ تلتقطُ في سحرٍ يتقلَّسُ وخرافةٍ تُرضع
بنتها السماء .

هل تتمايلُ الفضةُ سُكراً بالمشذنة؟
هل يترنحُ الذهبُ انتشاءً بالأذان؟ -
في امتدادٍ يرقشُ التعاشيبِ
يتنسمُ تراباً يتنسمُ الله /

احمرارٌ صفرةٌ بياضٌ
وها هو الزهرُ يترنحُ ، -
وأنتُ ، أيها العابرُ ،
هل استطلعتَ درجاتِ الضوءِ ،
وقستَ سلالِمَ اللونِ؟
هل أنسللتَ في حشودِ كرويةِ
مستطيلةٍ مثلثةٍ تتناوبُ رصدَ الأفلاكِ؟

قَبْلَ المِيلادِ قَبْلَ الهِجْرَةِ
بَعْدَ المِيلادِ بَعْدَ الهِجْرَةِ

سنواتٌ تترادفُ ، تغدو وتروحُ في عباياتٍ من وِترِ السلاطينِ .
مطابقاتٌ بشرٍ وتاريخٍ . أسوارٌ تتداخلُ أو تتوازي ، -

سحابة واحدة / ماء واحد
استطالات تتردد ، - ألن ينكسر مكوك هذا النسيج؟

ماذا فعل ميم ، ذات مساء ، من نشوء العالم؟
أكل ولعب ونام وربما ...
ماذا فعل سين ، ذات مساء ، من تاريخ العالم؟
أكل ولعب ونام وربما ... /
جنس يُلْتهم الجنس .

- كرر أيها اللرويش الأعمى
- لا بد من تحولك ليسمن الموت . لا بد ، لكي يحضر ، من أن تغيب .

عادي وخارق هذا القدر الذي تُشاطئه
ولا تزال تُسبح للعب هذه المسافة بين الآن وهنا /

لكن ، ماذا يجدي أن أهرب إلى حريك ، أيتها الدنيا؟
لكن ، محتاج لكي أموت ، إلى سؤالٍ أطرحه على الغيب ،
ولا وسيط لي ، وما أشقى أن أموت كأبي حيوان إلهي .

ما لهذه اللغة ، -

بابٌ يخرج منه الكلام شاهداً ولا يعود إلا مقتولاً .

ما لهذا الدرويش الأعمى ، -
التباسٌ بين الروح والريح
وأحازُ : أيهما الصورة ، أيهما المعنى ؟
أهو التباسُ إيقاعٍ أم اشتقاق ؟

وما هذه الشهادة ، -

هل بدأ العالم هل يبدأ
لنقول إنه ينتهي ؟
وأنت ، أيها الإيقاع المتكبر ، تواضع ، -
هل يمكن العالم حقاً
أن يدخل إلى بيت اللغة ؟

أه ، كم أفضلُ عكراً ما يجيء على صفاء ما جاء

V

«تستطيع أن تمسك الشمس بيديك» ، قالت وأخذت تركض وراء طفولتها
بين عربات النخيل التي خُيِّلت إلينا نخيلاً آخرَ يخبُّ على الأرض . وتلك
هي بساتين الزيتون ، تحتضن أوراقاً خرجت ، مرةً ، من أنحاء الشَّام ،
واستسلمت لحبِّبٍ آخر / أهلاً ، أيها الحبير ، وعهداً أن نمتزج بك ، -
... وحين تعبرُ إيفران ولِيموزار لتضع وجهك على وجه فاس ، تتخطُّ في
كتاب تكتبه النباتات ، وزلاً ونخزاسي ، ويتنافسُ الشجر في إملاته .

بَعْتَةٌ ،

عَسَسَ يَطْوِقُ الهَوَاءَ وَيَكْبِجُ هَدِيلَ النَّرْوَبِ
عَسَسَ يَكْسِرُ أَعْنَاقَ الشَّجَرِ وَيُدَاهِمُ الْوَرْدَ /

– من أي شيء تخافون؟

– من كل شيء . من الكتاب والكيف ، الحشيش والحجر ، الذكر والأنثى ،
النهار والليل ...

لكن ،

ها هي شمسٌ ما ، تتهادى معنا في هذه البطائح .
بخارٌ ينهض وراءها . غيمٌ ينهض من البخار /
ينعصر وها هو يتحدر .
وما أنصرتك السحابات –
غرابيلٌ للمطر ، وتخاريمٌ للفضاء .

وأنت ، ما أضيقتك – اتسع يا حقل الإشارات
بين طبعي والطبيعة رؤى ومكاشفات ، – نشوة واحدة /
رعشة واحدة . في أخوة خفية – عتمة بلورية!
إنه الانحطاف تلغزه السريرة . إنه الرصد البصائري
في وهم يطوف بين العناصر كأنه اليقين .

وأنتِ ، أيها الذاهب سَعْدًا في منارات سقراط ،
هل تلمح جثةَ الحلاج ، والذبابَ الذي يحوم؟
ترأف ، وأكب هذه الفراشة ،
تمهل استبصرْ تحلب هذه النملة ، -
وفاءً للشمس ، تلك البغي المقلمة
حيث الأعراسُ :
ينشأ دخانُ التكوينِ
يحدث الفتقُ
ويستط قميصُ الأشياء .

هكذا ،

حين تضعُ وجهك على وجه فاس ، تستسيحُ رائحة العفن ، حيث تتكوكبُ
نساءً لهنَّ لونُ الغسلين ، ويسير أطفالُ شظايا كوكبية .

... بالكأ Attention!

إنه الحمار السيد ، يتدثر بكأبة العفولة
ويعبّر مثقلاً بأنواع الملائكة
من الخضار والفواكه والبقول .

ما أجمل صبرك ، آيتها الأميرة الأتان!

قاس /

هوذا التاريخ ينز من الجدران ، يطلع من النوافذ ، يمسكنا بأيدينا ويسير
أمامنا ، -

تقدموا في هذه الزنقة ، أبواب تطبق على السر الذي يمكن أن يُسمى
الجهر - وذلك المحو يرشدكم . الخطوة تسرشد بالخطوة ، لكن القدم
تمحو القدم . ولطين كتب وقراءات ، وللفتحار أقلامه وصحائفه - «نساء
/ الخواصر نحاس ، والفحلان يمامتان . في بيوتات الورد يراهقن ، تحت
خيمة العطر يتزوجن» .

- كيف تجرؤ خطوط الكهرباء أن تغطى فوق أرداف هذه الأتان؟
- «أسرعني ليغظك الله العذاب والمحنة» ، يقول لأتانه ، ويذلف إلينا
قنديلاً يتلّى بلا سقف وها هو يتدحرج ويغيب في «وادي الشرفاء» في
دم يتحول إلى حصى ،
في حصى يلون الأزمنة .

وعند «جامع القرويين» ، تتكوم الأشياء رؤوساً وأضغاث أحلام ، -

ما أطيب أن يمتزج كل شيء بكل شيء

رغيفاً بدفتي كتاب ،

«مختارات ليتين» بـ«الروض العاطر» -

ما أبهى أن تجد امرأة تتخلل الجزر والنعناع

أو امرأة تصرخ بك : أشتريك ، ما أجملك!

ما أشهى أن تنظر إلى محرابٍ كأنك تنظر إلى جسد ،
وأن يختلط عليك ما تشهد : أهذا هو الترابُ أم التبرُّ؟
أصغوا ، هيئمةً فقيه .

أدخلوا / كلاً .

واسعةً هي أبوابُ الله ، ضيقةٌ هي أبوابُ الدنيا ، ...
من أين لك أن تدخل ، أيها الزائل؟

عاشقان / زاوية

غانية بلثام أخضر ، ...

كريمٌ وخيرٌ ، أيها الجامعُ الذي يتوسط سوقَ الطيِّمة وسوقَ الطَّبَع ،
أنتِ السُّرَّةُ ، حقاً .

وما أبرُّ هذا التجاذبُ / التناؤدُ

بين الجحيم والجنة!

VII

أدونيس ، ...

إنها اللحظةُ إيَّها تتسربُ إليه ، وترفعُ أحزانه جبالاً ، يتدورُّ على حناياه
وينكسرُ في زحامٍ يتهودجُ أعراساً أعراساً ، ...
ماذا ستفعل ، أيها الشعرُ ، ما بذارك الجديد؟

في بلدانٍ تزدهي بجديها
في لغاتٍ تفرز الأويشة ...
هل يكفي أن تتطوفن وأن تتبركن؟
إذن ، قل أنا الطاغية وأعلن جمهورية الهدم .

حقاً أنا الطاغية وأعلن جمهورية الهدم /
ألا ، فلنكن شغلك الرئيس ، أيها الانشقاق ، وليهتز تحت حواسنا عرش
الأشياء ، ولتزلزل دولة الموازين ، ...
قولوا لأحلامكم أن تأخذ مكان النجوم وتتلئس ،
قولوا لأفكاركم أن تأخذ مكان الشجر وتتأصل ،
احتضننا ، يا جنس الوله ، ... ما بعد الملاك ما قبل الشيطان ،
والنقي لك ، أيها الرضى!

VIII

حركاتٌ وهيئاتٌ تنموسقُ بين البصيرة والبصر . للغضب تقاطيع الراحة .
للكابة رنة التشيد . للآلم غنة الأذان . وللملامح السطوة ، ...

انزواءً تقول إنه يوسوس لك
الشهوة آية القلب
وقل لكل امرأة أنتِ الأخيرة وأنتِ الأولى .

هكذا ، تيسر لفاش أن تنظّم لذاتها وأن تستتفرّ جيوش الرّغبة
في نقوش حلقات
في طرر مناجيات
ولك الأبهة ، أيها الخطّ الكوفي!

لا مجدّ الغزو ، بل مجدّ الاستقبال
لا فرحة أن تغلب ، بل فرحة أن تحيا
لا توحش العُنف ، بل أنس مكر كآته من مكر الله /
سلاماً لعلم البصيرة في هذا الهيكل الادمي الذي يعمل
لا ليملك ، بل ليكون
في طقس التحول
طقس ما لا يتأمّس
طقس ما يتناقض وينقض
طقس الرّقة والحاسة ، -

اقتربي ، أيتها الطالعة المحجبة ، أما قرأت : «أول المحبة معنى أبداء الله
سماء حسناً . ثم أبدى شخصاً ألبسه ذلك المعنى ، وسماه حسناً . ثم
قابل الحسن بالحب ، والمُسْتَحْسِنَ بالمحب ، والمُسْتَحْسِنَ
بالمحبيب؟» .

اقتربي ، أمتحسنيك وألقي عليك محبتي ، ولن أعطي وجهي مخافة

الافتتان / قرأت أنه قيل :
«ثلاث يزدن في قوة البصر
النظر إلى الخضرة
والنظر إلى الوجه الحسن
والنظر إلى الماء الجاري» /

هكذا ، يطلع حسنك طلوع النور الناطق على بنية الطبيعة ، ...

اقتربي - جالسة ، قائمة ، عاملة ،
نومومي التفكك ، تحية لهذا الجسد
المتهاك ، الوفي
الذي يهيم على فثائه ، كأنه يسأل الموت :
لماذا تتلثم ، أيها العفل ؟

IX

لا «جامع الفناء» ، لا «جامع القرويين» ، بل لجة البشر ، بل المحيط والدخول
في حالات ، ...

حالة التصدف / كل شيء مَرَجاً
حالة الانجلاء / بداية ما
حالة الوسوسة / مَرَحِي للمنعزل المتضامن
حالة اللحظة / إليك أحشائي يا صديقي الوقت ،

أتبعثرُ في المنقطع
أتواصلُ في التبعر
والوجودُ صخرةٌ يعبرُ أمامها النهارُ طيراً شبيهةً مخنوق ،
والدنيا بقامةِ الفأر ، -

استبصر واتساءل : أيهما الأفضل - أن تتمنَّج أو أن تتفوضي ؟
ذلك أن فوضاي قطاراً للحواس ، مراكب للأعضاء
ذلك أنها وسائلٌ للمضلات وأراجيح
ذلك أنها شرفات
ذلك أنها معاول وثقوبٌ في إسمنت الحصار
ذلك أنها وعدٌ ما -

«جبل زالاغ» / ذكريني يا أشجار الزيتون ، -

وحي

من

هذه

الجهة :

مني نبوةٌ يبارك أحشاء السهول!

«جنان ابن حيون» / أنسحوا لابن عربي ، -

في جسدي نازٌ أسمعها تقول أكل بعضي بعضاً

في جسدي نازٌ كأن لها نفسين ، نفساً في النهار ونفساً في الليل

في جسدي نازٌ بعلوِّ الهواءِ ولا تطاولني
في جسدي نازٌ تأكل وتُشرب ونازٌ لا تأكل ولا تُشرب ، -
ووجهي أشعدي أرقٍ والشرائع تخليط
وها قامتي منكسة في ماء الكشف
وأرى كلَّ شيء بخلاف ما هو /
لكن ، ما أشف أن يلتبس علمُ الطريق في مواسم الوحدة

بين اليد والقلب

العمل واللغة

الكلام والصوت ، -

الغناء الغناء!

ما أصبح «ملحنك» ، أيها المُسمع

ما أرق «عروبياتك»! -

الكلماتُ تشكّل محراباً محراباً

والفضاءُ ينسجُ التأويل .

X

بين هذا الفخارِ النَّازِفِ حيناً كأنه يُرَقشُ لهاثنا في ازرقاقه ،

بين يوم يتتوج بالدمع ويوم يتتوج بالدم

شهوراً بعد شهر ،

سنة بعد سنة ،

ماذا يفعل الشعر

... في عصر لا يحذو الورم لا تحذو الفجيرة

عصر الهلاك ، مجاناً

عصر الغيلة ، التناذراً

عصر يسمي الكتب أحذية

والسجون مفاصير

والآلات آلهة ، -

أف للعصر العربي الثالث

وسحفاً للإذاعات والصحف ، للتلفزيون والسينما

وسحفاً للفيزياء والذرة /

ولم نعد نعرف

هل ندور حول المهد أم حول الأحد

هل نتجه إلى اليمين أم إلى اليسار

هل نسير إلى الوراء أم إلى الأمام؟

وكيف نضبط نفوسنا إيقاعاتها؟

حقاً ، كأن في مفاصلنا حرباً أهلية /

وكلّ شيء يقف وحده
كأنه خرج من المعجم وضيق حروفه .

المدنُ بحارٌ مَيّنة
الشوارع أيتامٌ وأراميل
والحياة ... وجهٌ تتقمّصه الكارثة ، وصدرٌ
يرجّه الذعر

لا من رصاصةٍ تهلّش أو تتأني
لا من قنبلةٍ تكثته أسرارَ الوقت ،
بل من ساحاتٍ لا تحتلّ بغير الفرائس
بل من عالمٍ يتلى
ومصائرٌ تُرسمُ في نرد الأشلأ ، ...

أستدركُ ، ...
أقول لخطواتي اتّحدي بأحلامي ،
وأرسم لمشروعاتي تخطيطاتٍ :
في جنون الجسد تعقيباً على تاريخ الرغبة
أسمع ريحاً تشافه الحجرَ ورعداً يُواطع الغيمَ ، ...
وما أغمضَ الكلامَ الواضحاً

... وحين أذكر بيروت ، أعني

أذكر قبائل تنهلم وأغبطُ

كأنَّ المستقبل يترى على يدي

وأقول أدخلُ في الذهب وأقسامه أبعاده . أحشد ما تيسر من نجوم التشرد
وأشاركتها التشع . أكتب رسائل إلى مجهولات الأشياء أوقعها بأسماء
أذكر منها أرواد ونيانار . وكثيراً ما أنطلق في الغناء تحت غيمة تركض ،
وأدهشُ حين تتوقفُ كأنها تصغي . وكثيراً ما أحلم أن أبدل مواضع
النباتات في الطبيعة كما أبدل مواضع المقاعد في البيت ،
ثم أشيد وهماً ،

لا شيء

إلا لكي أتخيل مفتاحاً ما

لباب ما .

أفٌ للعصر العربي الثالث

آلافُ التواريخ تستيقظ بين راياته

آلافُ الأعراق تتزاحم تحت قناطره

آلافُ الأجناس تتقاطرُ تحت موائله -

هو الجائع ، السجين ، العاري /

تهيأي ، أيتها الملل ، استيقظي يا قبائل !
هوذا طقس الافتراس
هوذا خاتم الطقوس !

XI

جامع

سلطان ديوان

مرآة / صورة

هيروغليفية مماثلة

مراكش دمشق القاهرة

بغداد القدس فاس

والحياة النوم

والموت اليقظة

سراطين

ضبان

زواحف من كل نوع تقتحم الأرض والإنسان يصطاد السماء ، ..

إنه الله

يتقدم

في جنس

حيواني

يتخلف /

وما هذا العام الذي يتأسس على قتل ذلك الخاص ؟
تفساً لهذا البخار البشري في هذا المرجل :
تمرّد عقل يعقل الجسد
في ثورة خادم تخدم السيّد .

إذن ، إلى ولادتك الثانية
أيها العربي المستأصل نفسه من نفسه ،
الضارب في أحشائي ، -
انظروا إليه -
يقتل عصره ، ويرتب أبجدية البدايات ، -
انظروا إليه ، لكن

استعينوا بالأنوار الباطنة
آنذاك تدخلون في عهده : أن يُصيف إلى الحروف
علامات يكشفها لكم ،
وعلامات يسرها إلى حين ،
ذلك أنه والزمن طفلان في سرير واحد .

هكذا ، يُخرج الشعر من صحته ، ويقول

سَيَطِرُ هَاتئناً ، آيها السُّدِيمُ !
وهذه قصيدتي تلبس قفطانها
في شَطَطِ موزونٍ في رياضياتٍ يملئها القلب .

بلى ! يمكن أن تكون شاعراً هنا
بين العَسَسِ والسَّجَنِ
بين أيموزار ووطنجة
بين أصيلة وأخادير ،

يمكن النخيل أن يكون عَرَبَاتٍ
يمكن الضَّوءُ أن يكون حوذيّاً
يمكن أن تؤدِّنَ السُّوقَ ويهرع المسجد
يمكن أن يعقد الشَّيْءُ الأخضر مجالسَ الأمانات ،
وأقواسَ الجَذْبِ والنَّيْدِ ،
يمكن أن يكونَ الأطلس سَفَرِ المتوسط ، والمتوسط سفينة الأطلس
يمكن أن يكون «باب المحروق» «باب الفتوح» ، ...
وهذه قصيدتي تلبس قفطانها
والإيقاع دمٌ يتدفق في شريانِ الحاضر . . .
- سيدي اللعبي ، سيدي الخطيبي ، سيدي بنيس ،
- وانخا ، وانخا /
والسَّلَامُ لبقية الأصدقاء جميعاً

من شرفات أصيلة ووطنجة ، حتى عتباتِ مراکش وفاس ،
السلام للفضاء الذي يؤرخ لنا
السلام للشهب التي تؤسس الفضاء ، ...

ألف لام ميم
ذلك الكتاب
لا ريب ، لا ريب .

(أوائل أيلول (سبتمبر) ، 1979)

www.alkottob.com

فوائد التوبة

www.alkottob.com

www.alkottob.com

طول سنوات الحرب الأهلية ، خصوصاً في أيام الحصار ، تعلمت أن أقيم علاقات ودية مع الظلمة ، وأن أعاشر ضوءاً آخر ، لا يجيء من الكهرباء ، وليس ضوء المصباح الغازي أو مصباح الكاز .

أكره هذين المصباحين ،

ينفشان رائحة تقتل حاسة الشم ؛ تسمم طفولة الهواء وهواء الطفولة .
ويطاردان العيون بنوع من الأشعة تنغرز في البصر كأنها الإبر .

فوق ذلك ، يذكّران بالتنفّط العربي الذي حوّل الحياة العربية إلى تيه من الظلام .

ذلك الضوء الآخر هو ضوء الشمعة .

في نفسي الآن ما يدفعني إلى التساؤل : أكانت هذه المعاشرة التي أردتها اختياراً ، تعبّر عن احتفائي بالذاكرة أو عن رغبة في هذا الاحتفاء؟ أكانت نوعاً من استعادة الشعر الذي تركته لنا عقولهم؟ أم لعلها

كانت تعبيراً عن اللهفة إلى مزيد من الالتصاق بجسد الأبعدية ، كما كان يتخيله ، ويتعاركُ معه ، ويخلقه ، ذلك الفينيقيّ الأثم الذي ابتكرها . أقول : الأثم ، وأسأله ، عبرَ هذه المسافة التي تفصلنا وتوحدنا في آن : لماذا لم تتركنا نكتب بجسد الأشياء ذاتها ، بدلاً من هذه الحروف الضارية في التجريد العقلي؟ ألم تكن ثقافة المادة التي هي في مستوى الطبيعة أقرب إلى الإنسان ، وأجدي ، وأكثر تعبيراً عنه ، من ثقافة الرمز والإشارة؟ وهل تقدر أيها الأثم الأول ، بعدما أحدثه أيناؤك وأحفادك في مدينتك الأولى ، بيروت ، أن تؤكد أن الكاتب الذي يخط الحروف والكلمات ويكتبها ، أكثر تعقلاً وفهماً من الناطق الذي يُعْتَبِرُها أو يُجْرِبُها بين شفثيه أصواتاً؟ وما أنت ترى كيف أن الأول يجعل من العالم كله مستنقعاً للفصيح يلوث كل شيء ، وكيف أن الثاني يُحوّله إلى أوتار تخرج منها موسيقى ، تتمازج فيها الأصوات الصاعدة من حناجر الطبيعة .

أقول : اخترت أن أعاشِرَ ضوء الشمعة . لم أعنَ ، بادئ الأمر ، بلون الثوب الذي تلبسه الشمعة . كان إجمالاً ، أزرق سماوياً . في أية حال ، لم يكن لدي إمكان لاختيار ما أريد من ألوان ، فقد كان اختياري محكوماً بما يُعرض عليّ ، وكان ما يُعرض عليّ محكوماً بالوقت والحالة .

شمعة بثوب أزرق سماوي . . . كانت تعيدني ، مع ذلك ، إلى ما يذكر
بحياة الكهف ، الكهف الذي يعيدنا إلى الاختبار المعرفي الأول ،
ذلك أنه يربطنا بالرحم المعرفية الأولى : الخروج من ليل العالم إلى
نهاره ، من الظل الذي تحدت عنه أفلاطون إلى النور الساطع ، من
الوهم إلى الحق .

لكن ، هل خرجنا حقاً؟ كنت أتساءل فيما أراقبُ الظل الذي تتركه الشمعة
على أرض المكان أو على جداره ، والظل الذي يتركه رأسي . وكان
يُحيل إليّ ، ربما بشيء من الالتباس ، أن هذا الظل الذي نصفني
عليه صفة الوهم ، ليس أقل حقيقية مني أو من الشمعة . وكنت
أقول ، فيما أرى الموت يأخذ بعضنا بلمحة ، لا تزال تُدير ظهورنا
للشمس . وقد يكون أفلاطون أول من أخطأ ، وأسس للخطأ ، في ما
يفصل بين الظل والنور ، الوهم والحقيقة ، وفي ما يسوّغ أن تُسمي
هذا الشيء وهماً ، وذاك الشيء حقيقة ، وفي ما يعطينا حق
التوكيد : أين تبدأ حدود الوهم ، وأين تبدأ حدود الحقيقة ، وكيف ،
ومتى؟

شمعة بثوب أزرق سماوي . . .
كان بعضنا يحسب أن هذا الذي يظنه «النور» أو «الحق» وفقاً لما يرى

أفلاطون ، ليس إلا صعوداً في سلم الكهرباء ، وأن الأكثر صعوداً هو الأكثر جدارة بأن يتخذ من أية نجمة يراها ، كرسيّاً يجلس عليه أو حديقة يتنزه فيها . لهذا كانوا ينظرون إلى الشمعة وضوئها بنوع من الاستخفاف يصل أحياناً إلى الازدراء .

كنتُ ، مع قلة ، مأخوذاً بالهبوط ، على العكس ، في الظل ، في هذا الليل الشفاف الذي يتعاقب فيه الوضوح والغموض ، ويتحركان في موجة واحدة . كنا نقول إن الوهم أو ما نسميه الوهم ليس إلا حقاً لم يستنفد البصر (أي البصيرة والباصرة) بعد ، وأن ما نسميه الحق ليس إلا وهماً استنفدناه . وكنا نقول : الحالة الطبيعية للشيء هي الظل ، والنور حالته العابرة . إذ لو تحوّل العالم كله إلى نور ، أو إلى نور كهربائي ، لفقّد هذا العالم أسرارَه ، ولفقد جماله وجاذبيته . لهذا كنتُ من جهة الظل ، وكنتُ تبعاً لذلك ، إلى جهة الشمعة ، بينما كان بعضنا إلى جانب النور الكهربائي الساطع . وكان يزيد في حماسهم له ، أنهم كانوا يرون في الكهرباء حفيذة لطاقة فينيقية ظهرت مرة لكي تمارس فعلها ، لكنّها اختفت ، لأسباب عديدة ، لكي تظهر بشكل آخر غير فينيقي ، في مكان آخر .

تتمثل هذه الطاقة رمزياً (لعل الأصح أن نقول : تتمثل أسطورياً) في امرأة

لبنانية - يونانية أو سورية - إغريقية ، (إذا كنا حريصين على احترام تاريخية الأسطورة) اسمها اليكترا . واليكترا هي أخت لقدموس (الفينيقي) الذي حمل الأبجدية إلى الغرب (اليوناني ، بخاصة) ، وبنيت لأطلس الذي يحمل على كتفيه السماء ، وابنة لأخت بروموثيوس الذي اختطف النار من الآلهة وأعطها لبني الإنسان . ومن قدموس انحدر طاليس ، أول من درّس في المعابد الفرعونية ، خصائص الضوء (العمل الأصح أن نقول : خصائص الكهرباء) ، الكامنة في العنبر الأصفر ، الذي تُصنَع منه ، للمناسبة ، أجمل المسابح وأثمنها .

نذكر هنا الذين يكرهون المسابح ، ويحبون الكهرباء بشيء ربما يجهلونه أو لا ينتبهون إليه هو أننا نقلرُ بالمسيحة وحدها ، أن نلامس الكهرباء : هذا الجسد العنبري الذي يحثكُ به جسدنا دون أن يُصعق - وذلك بفضل الظل ، هذا الليل الشفاف الذي يلبسُ الجسد العنبري ، ويلبسه هذا الجسد . وما أعمق المتعة التي تحظى بها ، أيها القارئ ، حين يُتاح لك أن تصغي إلى سمير الصابغ يتحدث عن هذا الجسد العنبري المتكهرب ، أو تلك الكهرباء المتجسدة في العنبر . ذلك أنه حين يتحدث عنها ، فيما يتفحصها ويمرر عليها أطراف أصابعه ، أو يمررها بين أطراف شفتيه ، تشعر كأنَّ غيوماً أخذت تتجمّع ، وأن برقاً يكاد أن يتفجر ويغمر المكان .

وطاليس هو نفسه رمز أول للتفاعل بين الحساسية الفينيقية – الفرعونية ،
والحساسية الإغريقية وقد قرأت ، استطراداً ، من يقول في ما يشبه
الجزء أن طاليس هو أول من تنبأ ، سنة ٦١٠ قبل الميلاد ، بكسوف
الشمس .

كنت ، في ضوء الشمعة ، أستعيد هذا التاريخ الأسطوري ، وكنت أقارنه
بالتاريخ الحي الذي نعيشه لحظة لحظة ، ويكتبه بالنار والحديد ،
بالصواريخ والقنابل ، بالأشلاء البشرية ، أبناء عمومتنا ، أحفاد
موسى وسليمان – وهما من أنبيائنا المشتركين – وكانت لهذا
الثاني ، فيما يرويه تراثه النبوي ، دروب سرية للكلام مع الأشياء
الجامدة في الطبيعة ، ومع كائناتها الحية ، وكانت لأولئك
الحظوة المفردة : الله نفسه كلمه ، ومن هنا سُمِّيَ كلم الله .

قلت : كنت أقارن بين ذلك التاريخ الأسطوري – الوثني ، وهذا التاريخ
الواقعي – الإلهي الذي نعيشه يومياً ، والأحظ دون أن أخفي
دهشتي :

هوذا إنسان لم يكلم الله ولم يعرفه ، ولم يُتَمَّح له أن يستضيء إلا بشمعة –
ربما لم يسعفها الحظ حتى في أن تلبس ثوباً أزرق سماوياً ، لكنه ،
مع ذلك ، يعرف أن يخلق تاريخاً يرقى بالإنسان والعالم ويفتح
أمامهما أفاقاً لتتقدم بلا نهاية .

وها هو إنسان آخر كلمه الله وأثره على الخلق جميعاً ، والكهرباء خاضعة له
كأنها ناقة تجثو أمامه ، ولكنه مع ذلك يبدو كأنه يخلق تاريخه بدءاً
من قتل الإنسان والهبوط في هاوية بلا نهاية من جحيم الأشلاء
والدماء .

كنت ، فيما أقارن وأستنتج ، أحتضن ظلّ الشمعة النحيل ، وأوشوشه بعض
أسراري . ثم ألتفت نحو المتوسط مصغياً إليه يهدر غير بعيد عن
أجسادنا شبه الجامدة من الحيرة والرعب ، أو من الموت الذي قد
يصعقنا بين هنيهة وهنيهة ، ألتفت وأشاركه - هو الذي ابتكر ضوء
العالم - نسيجه المتموج في محيط الظلام .

إنه الحصار : طوفان - لكن أين السفينة ، وإلى أين نخرج؟ ولا شيء ينتظرنا
غير ذلك الشبح الآلي - «الفانتوم» الذي يعمل على تحويلنا إلى
رماد ذهبي يصنع منه الجامحون من أبناء عمومتنا ، أحفاد موسى
وسليمان ، تيجانهم وعروشهم الجديدة .

كنا كلما شطح بنا الخيال ، يمسك بنا ضوء الشمعة ، ويردنا ظلها إلى
اللحظة الواقعية الحية . هكذا ، نفىء إلى نفوسنا ، ونرجع إلى ظلها
المحاصر .

كان بعضنا ، في هذه العودة ، يفتح كتاباً ما ، لكي يستوهم حالة أخرى ، أكثر منه لكي يقرأ ، خصوصاً أن بعضنا كان يمضي بعيداً في نقد القراءة : كيف تمكن القراءة وأنت جالس في الكتاب ذاته الذي تقرؤه ، أو تتحرك في كل سطر منه؟ كيف يمكن أن تقرأ وأنت نفسك المكتوب — المقروء؟

أما أنا فكانت أعاشر أشياء أخرى . أتوهم أن للشمعة أمامي طريقاً سلكته بالوراثة . بداته جدة عريقة ، وتابعته بعدها حفيداتها وأبناء الحفسيذات . وكنت أتوهم أنني أرى الزوايا التي أقامت فيها والأشخاص الذين عشقوها فيما كانت تحترق بين أيديهم . وكثيراً ما خيل إلي أنني أسمع أبا نواس يقارن بين ضوئها وضوء الخمرة التي يتناولها . (الخمرة هي أيضاً جسد كهربائي والفرق بينها وبين العنبر ، أن جسد الأولى سائل وجسد العنبر جامد) . وكثيراً ما خيل إلي أنني أشاهد أبا تمام يتقلب على فراشه في ضوء شمعة شاحبة ، وقد احمرّت عيناه ، وعبثاً يحاول النوم لأن في أعضائه تاراً تاكله . وكثيراً ما شبّه لي أن ضوء الشمعة لا يغري صعاليك الشعر الآخرين وأنهم يؤثرون عليه ، في هذه الصحراء من البشر ، ضوء النجوم . وأحياناً يتراءى لي المتصوّفون ، وأتصوّر أنني أكاد أن ألمس حنين بعضهم إلى أن يذوب في الله كما تذوب الشمعة أمام عينيه .

لا يكشف ضوء الشمعة الغطاء عن الغائب وحده في الماضي أو الحاضر ؛
يكشف كذلك الغطاء عن الوجوه التي تسهر معك حول جسدها
الذي ترى إليه يذوب نقطة نقطة . أو لعل ضوء الشمعة مناسبة تتيح
الكشف ، أكثر مما يكشف هو ذاته .

كانت الوجوه التي يسكن أصحابها في المبنى الذي نسكنه ، تتراكم
وتتجمع حول ضوء الشمعة في سديم من التجاعيد والقسمات
والملامح والأسارير والنظرات والتساؤلات :

وجهٌ بحيرةٍ راكدة ليس فيها أي تلويحة لأي شراع ،

وجهٌ يبدو في الظل كوجهٍ خروفٍ يقاد إلى الذبح ،

وجهٌ غارقٌ في أحزانه كأنه ثقبٌ في الظلام ،

وجهٌ صفحةٌ بيضاء مفتوحة على الصمت ،

وجهٌ غسريالٌ تنزل منه الكلمات وتتناثر في جسمي
الاتجاهات ،

وجهٌ دفتري لا نقراً فيه غير النسيان ، أو على الأصح إرادة
النسيان ،

وجهٌ امرأةٍ هي في الواقع رجل ،

وجهٌ رجلٌ هو في الواقع امرأة .

كان ضوء الشمعة يكشف الغطاء عن الشمعة ذاتها . إنها سيدة الصمت ،

تحترق دون أن تتأوه أو تستغيث . وهي كذلك من جهة الليل على الرغم من أنها ، ظاهرياً ، من جهة النار . صحيح أنها تضيء ، لكن لا لكي تعمم النهار ، بل لكي تجعل الليل أكثر كثافة وأكثر حضوراً .

فالشمعة التي هي الضوء - سيّالاً ، إنما هي ليل داخل الليل ، أو هي الليل باكياً ، أو هي الليل ماسحاً عينيه بأطراف نجمة بعيدة ، أو هي الليل لا بسماً قسيمس النوم ، أو هي الليل وقد امتسقت شهورته . . .

وللشمعة سرير ، لكن لا وسادة لها ، ولا تنام . . . ربما لمزيد من الغوص في موج الليل . ربما لمزيد من الالتصاق بغور ذلك الليل الآخر : الموت . ربما لتعميق التأمل في ذلك العالم الخارجي الذي يلتهب - البيوت التي تتطاير في أثير السماوات ، الأجساد التي تخترقها الشظايا ، الأجواء المليئة بنشار اللحم والعظم ، حيث تتداخل الأجساد الغريبة التي لا يعرف بعضها بعضاً ، وتتعانق وتتألف ، الأصوات الصاعقة التي تنسج للأفق ثياباً من الرماد والجمر . . . أو ربما لكي نفهم ذلك الغبار الكوني الذي يحمل القيم والأخلاق ، الفضائل والمثل ، ويندروها ، صانعاً منها ذلك الهباء

المبتدل ، الذي يسمى سجد الحروب وانتصاراتها ، أو ربما لكي
نزداد قناعة أن ما سمي الإنسان هو في الحق ، الحيوان الذي تيسر
له أن يمشي ، بخطأ طبيعي ، على قدمين اثنتين . . .

مرة أخرى ؛ يأخذنا ضوء الشمعة بعيداً ، لنعد .
نعود إلى ضوء الداخل القريب ... في تلك الغرفة السفلى من المبنى ، والتي
سميناها ملجأ . هنا يتجسد الليل ، حقاً . هو للمرأة ، رجل . وهو
للرجل ، امرأة .

هكذا يصبح الزمن كله جزءاً من الليل ، وفي معاشرته ، نرى إلى الشهوة
تقطر من أطرافه ، ونرى إلى ساقية كيف تنفتحان وتنطبقان في
حركة لا يزيدا ضيق الملجأ إلا حيوية ورحابة . ونشعر أن القمر
وأخواته النجوم نهر غير مرئي يرفد ضوء الداخل ، فتشتعل منارات
من طبيعة عجيبة ، تكشف لنا عن علاقات من التآلف تجمع بين
المتناقضات ، وتوحد بين أشخاص لا يلتقون أبداً في أي مكان
ولاي سبب .

كنا نصدق ، في مثل هذه الحالة ، ما يروى عن بعض القلماء ، الذين كانوا في
لغة أجدادنا ، أولياء - نصدق أن النور كان ينبع ، في الليل ، من
أطرافهم ورؤوسهم لكي يضيء ما حوله ، ولكي يكون إشارةً ما لثائه ما .

وكان بعضنا يتخذ من هذه الحالة فرصة لكي يركز بالفضائل التي ينطوي
عليها ضوء الداخل . كان يصفه بأنه لا ينطفئ ، وبأنه ضوء يشع
لوجه الضوء ، نافراً نفسه لتبديد الظلمة . ثم يقارنه - هو السجين
في ظلمات الملجأ ، بذلك الضوء الطليق الذي تنقله الصواريخ
والقنابل ، فيؤكد أن هذا الأخير ، على الرغم من أن أصحابه لا
يلهبون إلا بالحرية والتقدم ، ليس إلا اسماً آخر لظلام لا نجد في
الطبيعة نفسها ما يشبهه : ظلام منثور لكي يطفىء النور ، أيّاً كان ،
وأتى وجد .

وكان يستطرد مؤكداً ، وقد استأنس بصمت بعضنا ، وقبول بعضنا الآخر لما
يقوله - أن ذلك الفلاح الفرعوني الذي كان يكتب أوامره وأحلامه
على أوراق البردي ، في ضوء شمعة تحيلة ، أو أن ذلك البحار
الفينيقي الذي كان يعيش صديقاً للموج وللشواطئ ، أكثر غنى
وعمقاً ، في حساسيته الإنسانية وتطلعاته من هذا الإنسان الذي
يفخر ، اليوم ، بأنه يمتطي الأشياح الآلية ويهدم ، في لحظات ، مدن
البشر وقراهم وأكوانهم . . .

الشمعة النحيلية تكاد أن تتلطف . حسناً تفعل . كأنها كرهت هي ذلك أيضاً
ذلك الضوء الذي يخرج من القذائف والصواريخ التي تجشم في
حنجرة بحرنا المتوسط ، وتقطع حبالها الصوتية التي امتزجت ، مرة ،
بأبهي الأصوات التي غنت لمجد الإنسان .

وأنت ، هل ضجرت ، يا صديقي القارئ من هذا القديم الضارب في أعماق
التاريخ؟ لكن ، ألا ترى كيف ينبجس الشعر مما يظن بعضنا أنه
نقيض للشعر؟ ألا ترى كذلك أن هذا الذي نسميه واقعاً ليس إلا
قشرة تفتت ، منذ أن تلامسها ، وتفصح عما يختبئ وراءها : ذلك
الواقع الدفين الآخر ، حيث الإنسان هو نفسه شعر الكون .

قلت الكون ، لا لكي أهرب من هذا الملبأ الضيق ، المعتم ، بل لكي
أحسن الإحاطة بما ينطوي عليه من رحابة لا تحد ، وبما يزخر به
من ضوء الداخل .

عطرٌ متهورٌ يهبط الدرجات المظلمة إلى الملبأ ، اتركوا الباب مفتوحاً ، وإلا
اختنقنا .

ليس ضوء الشمعة ، كما يبدو لي في هذا الملجأ ، ضوءاً ، بل هو نوع من
العمتمة الأكثر قدرة على الإضاءة من كل ضوء . ذلك أنها تضيء
القلب ، وتجعل الجوارح كلها تتوهج بنور آخر هو نور الرغبة في أن
تعرف ذاتك وأن تمتلكها ... وحدها ، ولا شيء إلاها . هذه العتمة
إضاءة سرية تقتلعك حتى من ظلك ، وتلقي بك في ثورة من التفجير
التوراني ، وتشعر ... أنت المترابط المتحد ، أنك المنفصل المنفرد .
تشعر أنك ، دائماً ، في حالة انتظار ، تسرقبُ حدثاً ما ، لا في
الخارج ، هذه المرة ، بل في داخلك ، في أحشائك . تشعر أنك في
حالة يمكن أن يقال عنها إنها حالة الغيم : لا تعرف هل أنت داخل
في المطر ، أم في الصحو . ولا يعود الظلام ظلاماً : يصبح ترقباً على
عتبة نور باطن يكاد أن يظهر . بل يصبح الكلام على ضوء الظلمة
ممكناً ، كما هي الحال في إمكان الكلام على ظلمة الضوء .

هكذا كانت الشمعة تردني إلى ليل المعنى ... إلى الانصهار في الكل
الغامض . ليل المعنى ، ... أرى ، فيما وراء شرفاته ، بيتنا الأول -
الطفولة الأولى ، وأستشيفُ القنديل الذي كنتُ ألجأ بين يديه ،
مستسلماً لأهواء جسدي . وأستعيدُ بعضَ هواياتي : كنت ، حين
تجيء ساعة النوم ، لا أضع بين التراب وجسدي إلا بساطاً من
الصوف ... أجملُ فراش للجسد الذي يتكون من هباء الضوء وأثير
الحلم . أحياناً ، كنت أكتفي بحصير من القصب اللين .

هكذا نمت كهرباء الحياة في أعضائي .
وكانت إليكتروا تتلطف وتمضي معي جزءاً من وقتها .
وكان أصدقائي الشعراء يجلسون إلى جانبي ، أصغي إليهم يتحدثون عن
طاقات أخرى لا تتسع لها هذه الأنايب الكهربائية المتمدنة .

- ليل المعنى ، - كنت أحسّ بجسدي يتمدد في شرارٍ ، سأحاول أن أترجم
لك ، أيها الجسد الآخر الصديق ، ما تبقى منه في ذاكرتي ،
أ - كنت أناً وحيداً ،
خوفاً من أن تهجرني الوحدة ،
ب - لا يمكن الانتهاء من تجميل العالم
لأنه حينذاك ، ينتهي .
ج - لا شيء يريدني ،
ذلك أنني أريد كل شيء .
د - الموت قريباً
لأنه فكرة لا جسد ،
والحب بعيداً
لأنه جسد لا فكرة .
هـ - جبل مسقوف بالضباب :
رجلٌ يُغامر .
غاية مسقوفة بالضباب :

- امراة تحلم -
 و - الحلم شاطئ
 لسفينة لا ترسو ،
 مع ذلك أنتهي إلى الحلم .
 ز - طهر ذاكرتك
 من كل لحظة لم تعرف أن تستقبلك .
 ح - لم ترد هذه الشجرة تحيتي ،
 ألاني حيتت الرّيح ، قبلها؟
 ط - حزني يلبس الليل ،
 وليس له ثوب في النهار .
 ي - الطريق رمز السعادة
 ذلك أنها عبور دائم -
 ك - الماء عاشق أبدي
 لسبب واحد :
 لا يعرف الغشيل -
 ل - الموت إله وشيطان معاً ،
 لذلك لا يحبه أحد .

هي ذي حالة جديدة تحكّمك في ضوء الشمعة : صحيح ، كيائك واحد
 كما هو ، لكن الجسد هو الذي يفكر ، وليست الروح إلا هذا التعصي
 الحركي الذي نسّميه الجسد . نكتشف هنا أنّ الفكر أو ما نسّميه

الفكر لا حد له ، بجسديته ذاتها . ونكتشف أن ما سمّيناه الجنون قد لا يكون إلا نشوة الكيان : نشوة الجسد - الروح . عبثُ إذن أن نقمع تجليات هذا الكيان - وأن نسجنها في تصنيف أخلاقي بارد . تصبح طاقة التأمل والعمل واحدة - حركة مفتوحة على الأشياء ، في عالم أشياءه مفتوحة على الحاسة ، مفتوحة على البصيرة . وتتفتت هباءً ، أفكارنا عن الواقع ، وعن الإنسان ، وعن التاريخ .

لا تستطيع ، وقد نورك ضوء الشمعة التحيلة ، أن تغالب شعورك أنك لست في ملجأ ، بل في مركب يُعاققُ ، تائهاً ، لُجّة الليل . وتختلط الأشياء عليك : تجيء من لا وطن : الغرب في خطواتك حذاء ، والشرق بيداء . وترى إلي الناس ، في ذلك الخارج السديمي ، وقد تحوّلوا إلى أشياء ، لا تُصنَعُ بيد الله - وإنما تصنع بأيدٍ أخرى وبطينةٍ أخرى : هذا مستس ، وهذه رصاصه ؛ ذلك صاعقٌ ، وتلك قنبلة ، والمكان طائرة - شبح .

ادخل ، إذن ، في الهاوية ، واقراء في الصفحات التي اسمها الوجوه ، اقرأ مختلف العصور : من الحجر حتى الذرة ، مروراً بسفينة نوح وأخواتها السفن التي تمخر رمل الصحراء .

اقرأ : الرجل كتلة رمادية ، بشكل محدب أو مستطيل . المرأة هيكل أحمر ، مدور أو مائل . الرجل ، تقريباً ، رجل . المرأة ، تقريباً ، امرأة . ولا تعرف : هل يسكن كل منهما في العطين ، أم العطين هو الذي يسكن في كل منهما؟ ولا بد لك من أن تجد وسيلة ما لكي تسأل تلك السلالة التي تحدثت عن أشياء من جنس آخر ، بين أسمائها النار والجنة ، إبليس والله .

واقرا : حتى أشعة الشمس تبدو خيوط عنكبوت ينسج الشارع / الشارع الذي لا يزال ينسجه الكاهن والمستعمر والتاجر - الرموز الثلاثة لثلاث مراحل تاريخية (أوروبية) تتلاقى على أرض لبنان ، هنا حول الملجأ ، وتصفق للقاء آخر : الأشلاء التي تتطاير ذرات في سديم بيروت .

/ ... وكنت أقرأ في ضوء الشمعة النحيل ، كيف ينحني الفضاء والزمن وينحني كل شيء . ربما لحكمة ما ، كنت أقول ، لمحور الحدود بين المرئي وغير المرئي ، للمزج بين الأزمنة ، والسخرية من تلك العصا المستقيمة : عصا السماء .

... إنه الليل بأرجله الهائلة الصفر يدب على أرض صفراء : هكذا بدأت أهذي . وكنت أشاهد الرغب كيف يخرج ضبابه ويسقف به رؤوسنا في الملجأ . وأرى الهاوية تحضن أيامنا / الهاوية التي كنت أسمع

من ثقبوها صوتَ البحرِ القريب ، وأرى تجاعيد وجهه ، وأتبيّن البُقَع
التي تلون أطرافَ أفقٍ يتكوى على وسادة الزبد .

كان في قلب كل منا نبضٌ يعرّش على اللحظات . وكنا ، كمثلي كائنات من
طبيعة ثانية ، نمتصُّ دمَّ الليل ، لا لكي نقوى على التفكير ، بل
أملًا في أن نقوى على مصافحة الفجر الطالع .

... أعودُ إذن ، إلى الاستثناس بضوء الشمعة النحيلة ... بقدموس
والبيكترا ، بأسماء ولدت تحت لهبها ، من جلقامش إلى المتيني ،
مسروراً بامرئ القيس وأبي تمام ، دون أن ننسى أبا نواس . من
هوميروس إلى سان ... جون بيرس ، مروراً بهيراقليطس وسوفوكليس ،
دانتي ، ونيتشه ، دون أن ننسى رامبو : ضوء شمعة فانية ، يتحوّل إلى
أبدية من النجوم .

... وكانت رائحة الشمعة في الملجأ تتسلّق الجدران المعتمة ، ثم تهبط
وتتمدّد فوق الكتاب الذي اتخذته وسادة متنقلة .

إنه الصباح : الشمس تجدد الوقت ، والحياة تجدد الجسد .

(بيروت 1982-1985)

www.alkottob.com

مفرد بصيغة الجمع

www.alkottob.com

www.alkottob.com

استكوين

www.alkottob.com

www.alkottob.com

أ - تخطيطات

1

لم تكن الأرض جسداً كانت جرحاً
كيف يمكن السفر بين الجسد والجرح
كيف تمكن الإقامة؟
أخذ الجرح يتحول إلى أبوين والسؤال يصير فضاءً
أخرج إلى الفضاء أيها الطفل

خرج عليّ

يستصحباً

شمس البهلول دفتر أخبار تاريخاً سرّياً للموت

يعطي وقتاً لما يجيء قبل الوقت

لما لا وقت له

يُجوهرُ العارض

ويغسل الماء .

أبدأ ،

أخرج إلى الفضاء أيها الطفل

في البدء كان الهباء انفتحت فيه الأشكال والصور

حواء تنزل في حوض

تسبح

في

مَنِي

القمر .

قالت : الجسد الحروف والدم الكتابة

سلاماً أيتها النخلة يا أختي

سلاماً أيها العالم يا مأوحي

أخرج إلى الفضاء أيها الطفل

سَمَى شَقَّ الكلام

لكن أسماء غامضة

هل الإشارة إليها غسرة؟ هل العيان مكفوف عنها؟

بأي شيء ينعت الأرض؟

بأي شيء يذكرها ويحكىها؟ تلابسا تداخلا

علواً وسُقلاً

تعريباً واستقامةً

وقال :

مشرقي عليكِ أطيب من اليأس
وتصدّع طرباً .

أما كيف ولمّ وما هو

فأسئلة

تعطير

في

الرياح .

اخرجُ إلى الأرض أيها الطفل

خرج العاشق إلى عشيقته يجامعها للمرة الأولى

ظننتُ أنتي أكتب وأقرأ

الرجل يفقد الرجولة / المرأة لم تصبح امرأة

المرأة سائلة مضت / الرجل تسألُ يأتي

وأنت امنحيني اللغة ، باركيني ، أيتها الأم / أيتها الطبيعة

المومس

اخرج إلى الأرض أيها الطفل
خرج
هبط من الحرف
اح د = دح ا الأرض
دائماً يصنع طريقاً لا تعود إلى مكان

ان ا
منفية بقوة الحضور
كالهواء
وهي هي
كل شيء يتغير وتبقى
ان ا = ان ا
هكذا يستقبلك أينها الأرض امرأة
وتفجج بين فتخديك .

[... وكانت الأرض
 تتحرك بلونٍ أغمبرٍ أدكن ليظهر النور ويشمكن الحيوان من النظر
 واقفةً في الوسط
 كترابٍ ألقى في قارورة
 أو تبنٍ في طشتٍ مليءٍ بالماء
 هاربةً
 من
 الفلك
 إلى
 ذاتها
 واتصّبب ابنها في الهواء
 مركزاً لأشعة المحيطات
 ملاكاً في العلم والكشف
 لا حياً كالعشب
 لا معلوكاً كالزراع
 حيٌ كنفسه
 مالكٌ ملكه الأرض ، والسماء
 أحياناً
 شعره النبات

جسده الأقاليم
عروقه الأنهار
ويداه جناحان يمشي بهما في الفضاء
ظاهرة يرّ باطنه بحرّ

أو

كما

قيل (. . .)

اخرج إلى الأرض أيها العطل .

تهبأي آيتها العناصر استجيبى آيتها المادّة
إنها المصادفةُ
خارجةً من الحدّ
عاليةً على حصر الدهر

أعضاؤه تجنح إلى التخيل
ووجهه مخلوطٌ بالوهم -
ثمّة قمرٌ يميل إلى الشمال
والظل يتلاشى
ينقل أخبار سغد الذابح
وشاته التي ينحرفها على قرن الجدي
ينقل أخبار الثلاثة الكواكب على آخر بطن الحمل
والكوكب الذي في المنكب الأيسر
وساكب الماء
والذي على سرّة الفرس
وبطن العورت فوق الميزان
من المرأة المُسَلَّسة
التي
لم

تعرف
زوجاً
وينقل أخبار كوكب الغراب .

اخرج إلى الأرض أيها الطفل .

ضيقى ، أيتها البروج من ناحية القطبين أسمى في الوسط
ولك أنتَ

أيها القلْكُ ، حدان :

نهايةً لما تصير إليه الطبائع
وشكلٌ مستديرٌ يحيط بالأشكالِ كلها
يسكنه حيث تستوي ساعات نهاره وليده
ويُشرف على القطبين
يغمره غورٌ كالقبة المنخرطة
يرتفع منه سحابٌ
تترادف عليه تلوجٌ
ويخرج من أسافله ماءٌ ذهبٌ
وربما خرج ما يشير الغبار
والنباتُ
والهشيم
ثم يستعملُ
يتوهم أنه أمكنةٌ وأزمنة
وربما خرج رملٌ أحمر
وأشباحُ
وتلهبٌ نيرانٍ

وأنواع
صناعة
وسيمياء .

ب - فواصل

1

1 - «كثيراً حَبَسَ الخالقُ الشمسَ والقمرَ تاديباً

كان حين يتوبان

ويستأذنان

بالشروق

يأتي إليهما ملكٌ يأخذ بأذانهما ويطلعهما

من

باب

التوبة» .

2 - «كان الخالقُ حين يُخرج أنثى إلى الأرض

يبعث إليها ملاكين

يضع الأول يده

بين ثدييها

يضع الثاني يده

في مكانٍ آخر»

حين يتعب المكان

يحملانها إلى ظل*

تحت

شجرة

المحنة» .

3- «أمر الخائف ما يسمونه الوطن أن يجلس

على

كرسي*

من

أزجاج

بهيئة

السرطان

وحوله تماثيل . . .»

رقعة من دفتر أخبار :

«... هكذا

عرفت الأثني نفسها عرف الذكور

يجتمعان بشهوة اللحم والعظم لإيداع الماء في بيته

يندفع الماء يكون له

سمعٌ يمتلئ بتعويجات الصوت

أظافرٌ تهدي إلى مواضع الحلك

رئةٌ مروحةٌ لحرارة القلب

عظامٌ أوتادٌ لجرُّ الحركة

رقبةٌ برّجٌ من النخرز

ليطول ذكر الحكمة .»

رقعة من شمس البهلول :

« . . . هكذا

يكلّمني كرسيّ ليس بيني وبينه ترجمان

عند الكرسيّ حوضٌ

عند الحوض ميزان

حول الميزان بقرةٌ غمامةٌ

والكتب تتطايّر

هنا

إذا اشتهى الإنسان

[. . . ينبت الناس كما ينبت الحَبُّ في السَّجَلِ

طائراً

تتجمّع عظام الطائر

سقط بين يديه مَشُوناً بعد أن يشبع

وينهض ليرعى

هنا

أشجارٌ تخرج من أوراقها ثيابٌ لا تبلى

سحابٌ لا يسألها الإنسان شيئاً إلا أمطرته

بعضهم يقول

أمطرينا

نساءً

ويدخل الرجل في المرأة

فتمطر

دَحْمًا دَحْمًا

إذا قام عنها رجعت مطهرة بكرة .

... فجأة

ظهر في الجهة الثانية هنالك

عرق من النار يتكلم

كان رجل وامرأة يتجهان نحوه رأيت النار تنقبض وتشق وقيل : هذه

نارٌ ضربت بالبحر مرتين لولا ذلك لم تكن فيها منفعة لأحد

وسمعت من يقول : خلص اللبن من الماء ثم غاب صوته

كأنه يسد ثقبا في جرم الكون رأيت شحصا خارجا من النار يجر

لحمه كما تجر المرأة ثوبها رأيت سحابة تنادي أهلها :

... ماذا تطلبون؟

... ماء ماء

لكن السحابة تمطرهم سلاسل وجمرا ، وقيل : لهؤلاء طعام

لا يدخل المعدة لا يعود إلى الفم يبقى بين الحلقوم والمعدة

ورأيت سجنا يقال له موسى وقيل بولس وقيل مصطفي

فيه أشخاص يكون تسيل عيونهم جداول رأيت

مراكب

تجري

فيها ...

رقعة من تاريخ سرّي للموت :
 يستعير بيتكر حكاياتٍ يجرح كواحلها
 ويتابع خيط الدم ينظر إلى الزمن يتحطم بين يديه
 إلى المكان يتوشح بحطامه
 يلتفت وراءه
 أنصاباً وتمائيل تحمل حروفاً
 أ و ر ف ي و س
 أ د و ن ي س
 يتحقق أنها نظائره وأسمائه
 من
 السّيمياء
 والشرق .

ج - استطرادات

1 - استطراد أول

المكان بين صخرة تسكر
الوقت بين أرومة الجسد وفوهة الفعل
وموج يهتج الساعة
وأنت ، أيتها النار المسرعة ، أبطني أبطني
أنا الطريق والعاير ، المرأى والرأى
ولست أحظى بنفسي .
وأنت (أقصد وقتي الأول) بنفسج
تتلجج بين زرقه الموت وزرقه قصاين
تحلم دائماً تحلم
وتلور في دوامات العين الثالثة
غُلومية القمر توحشية الإمامة
تصنع من ورق التبغ سجادة حيث يتكوم الليل ويسهر على المصطبة
تنام بين نهدين
وردة ذبلت ، ووردة تكاد أن تدبل . . .

2 - استطراد ثانٍ

أعطِ للأرض أن ترقد في راحتك وأيقظ قصابين
ينهض منها ضوءٌ يوقظ قدميه ويداعب جبينه الذي سماءً هلياً

أنهضُ

أترسولُ شتلاتِ التبغِ أرسمُ قمري على أوراقه وأصغي
لأصواتٍ ليست مني لكنها لي هكذا أرى إلى الهواء يخرج من
الشجر حاملاً قواربَ تتأرجحُ وتهوي
وحين تتعب ريشة الليل
ويشرب الفجر حليبه
تدخل الشمس
والبيت
في
فراشٍ واحدٍ

افهمني ، أيها البيت المليء بأجنحة السنونو واقبل قسمة الريح .
رجلٌ وامرأة يقتسمان الحزن حزنٌ يفصل بين الهدب
والهدب لكن في الأغصان التي لا تتسع حتى للظل يفتح الدروب
رجلٌ

عرف ، بعد أن مات ، أنه صديقه الأول .

الجمعة ينتهي باكراً من العمل يسير بين أشجار الزيتون خفيفاً
يتكى على ظلالها لم ينحن إلا ليحتضن ما لا يتحني لذلك لم يغفر له
السلطان لذلك لم تقتنع به القرية إلا بعد أن مات

بعد أن مات ،

عرفت أشجاراً لا تزال تصغي إلى زفيره
عرفت أمكنة تسقف الزمن بشارات خضراء سماها
ها هو

يضع صلواته بين راحتيه ويمشي كأنه هيدب الأفق .
العشب رقيق خطواته ولا يحيط به غير القش وحين يواكب الشمس وهي
تطفئ موقدها ، يبدو شراعاً خرج من اللجة ولا مرقاً له السماء شطآنه
وأما وجهه من الأفق يخرج إلى الأفق وليس له أن يطبق جناحيه .

قالوا : « كان يحمل عصاً تضيء له الطريق وحين يعود إلى البيت ينزل
من قوس قزح كأنه ينزل على درج » .
قالوا : مرة وصف قدميه : « لم أمش بهما إلى باب سلطان » .

وحين أخذه الموت بكت عريشة أمام بيته ووضعت قصابين خدتها على
الأرض .

قالوا : «تتجمع حول قبره ، في أثناء الليل ، أصوات تهتف وتوح . كثيراً ما يسمعهن عابرو يظن أنها أصوات نساء يُفتتن ويميل ويشتهي إذا اقترب سمع أشجاراً وحجارة . . .»

كان لي معه أن أكتب الريح ، أقرأ شيخوخة الحجر كان لي أن أرفع
الحلم سقفاً وأنزوج الحياة لونا لونا
كان لي أن أتشعل الزمن وأرسمه
بأهداب
تتلى
منها
أيام
أجراً
أجراً

أضحك مع نهار لم يأت
وأعقد أحلاماً مع تاريخ آخر .

3 - استطراد ثالث

لأبي عباس المختار وجه زيتونة للدركي قلب
عوسجة ويكى عباس مرة حين كاد النهر أن يغلب علياً ويأخذه السيل
إلى نهاياته . لم يكن لوجه أمه أن يوقف المطر لم يكن لصوتها أن يروّض
الرعد .

عالياً ، هاجر الحزن

تائهاً ، هرولاً الفجر ونشر مصابيح

وها هو التعب

يجلس على العتبة يتقوس . عكاز

بين قدميه ، سدّ بين عينيه . يتحدث

ترسو تجاعيده في بشر كلماته . صوته

الوتر يوقّع المكان شروحه الجمر ينفج

المسافة وتنزف يدها إشارات

وتنزف الإشارات الملح وما يشبه نشوة الموج .

وتنظر إلى القمر يتلحرج مقطوع الأطراف

والنساء

يجلسن باسمه

شموعاً تترنح

وتخبرو
وليس بين الثياب والبشرة إلا
شقرة
الجنس .

4 - استطراد رابع

... مرةً وُلد له تاريخٌ في خيمةٍ بشكلِ الذاكرة
عاشراً طيفاً تزوجه ولم يعرف أنه الصحراء
وليس للبحر سلطانٌ عليه
وليس للشمس حوله إلا التمتع
أخرج إلى التاريخ
أيها الطفل

يخرج
للمشمس نكهة امرأةٍ تهجر بيتها
للسماء هيئة الجوع

أكتب تأوه أكفهرُ بكى
وفوجين بالغيم
يكتب يتأوه يكفهرُ يبكي
وحين أحسُّ بالتراب الذي أوخل يمتدَّ أمامه بساطاً من زغبٍ لم
يألفه خلع حذاءه ليكون أكثر التصاقاً بطيئته الأولى
رقم أسماه وألف بينها وبين صرصرٍ
تنشطر من الجبل الأفرع
يتنشق فيها رائحة اللاذقية وأنطاكية ويدخل
معها في لآلء المسافات

مرثياً
غير مرثي
يصعد من فوهة الغسق
ويحاكم الشمس .

ها هو الظلام
يرهلُ وتنفقُ خواصره
ولم يطلب مشورةً لم يسأل نجماً
ترافقه الأجنحة / لم يُخلق الفضاء
ترافقه الشواطئ / ليس في البحار ما يروي
وها هو رتاج العالم
يُصلبُ
أمامه
ويَنأى ...

تخرج فراشةً تدخل فراشةً والمسرح بهيئة قصابين
تتعلم كيف نسجن السماء في كتاب كيف نهجر العلم
ونهرب يلفعنا بياض الورق تحرسنا بقع الحبر
رأينا مخابزَ تحمل رؤوس الجبال أياماً تتدثر بالنخيل وتمشي
بأرجل البقل وبين الخطمي والخردل يعلو لخطُ حول هرب امرأةٍ أو جنازة
عاشق

فجأة

يجيء المطر في شهبقات تصرب النوافذ تتحول البيوت إلى
تلال يكون للغيوم أستانٌ للقمر أظافر وتتناثر من دفاتر النبات
حروف ترقم نبض الريح .

لكن

ماذا تتذكر الحروفُ

ماذا تحفظ الريح؟

تخرج فراشةً تدخل فراشةً

والمسرح بهيئة الطفولة

من الطفل يرشق السماء بالحصي؟ من الطفل يصطاد الأفق بشبكة

الدمع؟

وأنت أيها الشيخ

الفتاح صدره علواً يسعُ الجبال
عَلَمْنَا

ماذا تقول للفضاء حين تهجره العصافير
للتراب حين يأتزر بالشوك؟

تخرج فراشةً تدخل فراشةً والمسرح بهيئة قصايين . إنها ساعة
اللقاء بين الزرع والحصاد بين شطيرة الحلم وصحن الأيام .
شمعة شمعة تشتعل الجبال جَرَساً جَرَساً
تستيقظ السهول إنها ساعة الدخول في قَرْو التعب حيث يسير
الهواء على قوائم أربع
ويكون للزمن وجه المتصلب .

تخرج فراشةً تدخل فراشةً والمسرح بهيئة السُفْر
ليكنْ للقدمين شكل الأفلاك للتراعين شكل الفصول . السماء
تفكّ خلاخيلها تجلس وتشم رائحة قدميها
وأمواج الدّم تتلاطم وتتدقّع
تفجّر أيها السدّ المسمّى تاريخاً تفجّر أيضاً وأيضاً
تكاد النسور أن تترك عادة الأوج تكاد الغيوم أن تترك عادة المطر

هكذا خرجنا

قلنا أيها المربّع المستطيل المثلثُ الفلّكُ يقرن وجهه بوجهنا
وها نحن فتَهجّي دوائر الأثير . وبينما ترقد المرارات
ويرقد الخنشارُ وجارُ النهرِ الخشنخاشُ وموجه وترقد الجدائل
يتصاعد عطر خطواتنا هبواً هبواً وها هي قصابين تأخذ طَلّعة الحدِّ
وتمتلك جذع الموج

اخرجُ إلى الأرض أيها الطفل
تقدّمي أيتها الأفخاذ النحيلة
وأنتِ أيتها السواعد المتفصّنة
أيتها التجاعيدُ
أنتِ
من
يكوّن
الأرض .

www.alkottob.com

II - تاريخ

www.alkottob.com

www.alkottob.com

لم تكن الأرض جسداً كانت جرحاً كيف يمكن السفر بين
الجسد والجرح كيف تمكن الإقامة؟
أخذ الجرح يتحول إلى وطن والسؤال يصير تأريخاً
أخرج أيها العفل .

عرج عليّ

يرسم حقل خطواته سنابل شجراً ينابيع
تلاحقه روح غابة

هنا

أرضٌ نعرفها نجهلها ميتة حبلى
هل تعرف قصياً يتمرد على المواقف؟
هل تعرف مشاعل ترقص في بحيرة الدمع؟
هل رأيت رؤوساً تتوجها رؤوس؟
قناديل من قلوب كستنائية؟
وحلاً لطهارة السماء؟

هل رأيت الدم الذي انهمر من جرح العاشق
وجمد في الورد وشقائق النعمان؟
هل رأيت آثارهم ساروا نحو السماء

نزلوا وادياً أتاهم السيل حملهم
جميعاً والقاهم في البحر .

خرج عليّ

... تناسلي يا سلالتي في خطايّ أنا الطالع من لوعة
الرفض تُهَجِّجُ عيناى خارج عينيّ وأسكر بأشلائي
أنا الطفل يستنجد الفراشات
أنا الموزع بين زحلّ والزهرة وعطارد
زحلّ يهيه ، التمني عطارد يهيه ، الشعر
وتهيه ، الزهرة رطوبة الشبق

متى وجود مكان عطارد من الفلك ليجود شعري؟
متى يقوى حال زحلّ لأقوى على ما أريد؟
متى تنتمش الزهرة لتميل إليّ القلوب
وكيف أتكلّم كلام النمل وأصيب
أصبح بين الجنون والسحر
أحارب جميع الحروب
أعشق جميع العشق

تَسْتَبِيلُ للجوارح ربّما بكت ربّما شهقت ربّما
تحيرت ربّما وكلّمت ربّما زالت عن مدارها
تجلس الكأبة على كرسيّ يسع الهواء والتراب
ويجري دم الولادة في حوض تحرسه الشجرة العانس

هكذا

أتحول إلى بحيرة تنبجس من البحيرة نارّ نفسيء لها أعناق الشجر

ولا وخذ لي

وعدي الهبوط

الهبوط

والحرارات .

قلتُ : أبداً فصل العناكب تمسح أرجلها بمخمل الشمس
 وشوشنُ قَدَميَ أيها البذار الوحشي
 تَمِّمِ تَأْيِينَكَ في أذنيَ أيها الرعد
 الصاعقُ يُقْبِلُ في قَدَميَ طفلٍ
 وفي تنخاريم الرياح يرتسم الهول
 . . . ظلاً يضرب في براري أحشائي وليس لي سلاحٌ إلا نبضُ
 يتفرغر بمائه يهلمني هيكلُ قال إنه صدائي يصعقني وجهُ قال إنه
 وجهي الآخر .

وقلت : الحنينُ يُحتضر والشهوة سريرٌ من الدخان
 وأقول : تَرَجَّلْ أيها الليلُ عن سهواتك اغتصبُ شمس
 كلماتي

أنا الصوت يرتجلُ الفضاء
 أنا الحجر يتطوَّح وقراره الحجر
 وأقول : رِشْني أيها التوله أنسني ، جَدِّدْني ، سَمِّني
 وأنتِ ، أيتها المجاهيل تطاوحي في العُلْمي عن الوهم
 استغيثي من الشكل والصدء بالشكل والصدء

هكذا أدوِّقك

أثقد بوسواسي وأغوص في دهشة الغواية

تَهْوِذُ أَيَّامِي رَمْزاً رَمْزاً
أَصْرُحُ
تَاهَ وَهَمِي
أَتَّسِعُ مَعْنَايَ
وَعَالَتِي الْأَقَاصِي .

رقعة من شمس البهلول :

... تحت بشرته شياطين لا تُحصى كل شيطان يستكر
طريقاً طرق الخارج تقصر عنه ودون قدميه والداخل لا يتسع له وليس
في رأسه غير الأضواء .

ينجرح

يتخذ من جراحه آلات لحفر الأعماق ويسأل
كيف ينجرح وليس له خارج جسده إلا جسده؟

وليس للبحر سلطاناً عليه
وليس للشمس حوله إلا الدمع .

رقعة من دفتر أخبار:

... يجيء من نقطة أبعد من بحره وصحرائه
وعرشه الماء وعرشه وكان عرشه على الرقص .
جسده وارث البراكين دمه وارث الفتك
... ممزوجاً بالعصور

يتأرجح

بين

الشفرة

والجرح

ويلبس أبهة الأزمنة

يسأله جناح تكتبه حصاة

وعند حائط الحلم تقتل أيامه .

رقعة من تاريخ سري للموت :

... هكذا خرجَ يَتَمَحَدَّنُ

ويفتح جسده على العناصر

يكتشف للحجر نوافذ كُتُيباً وأصواتاً يستشعر أن للسماء
مصباحاً أن المصباح كوكباً لا يقرأ غير الرمل يَسْتَشِفُّ أظافرَ تأخذ
مكان النجوم ولائمَ يجلس حولها التراب .

يتحدر من جنس المذبوحين

ويؤسس

الرحيل

الأقصى .

رقعة من دفتر أخبار:

... لم تكن أمه تعرف اللغة وهي التي علّمتها الكلام
حين جرى الكلام بين شفّتيه التهبّ مكان الحنين وخرجت الشهوة من
أصابعه

أخذ عليّ

يتلّى تحت صورة جذّي يجلس على صدر العذراء
جاور نجمةً بين الثور والحمل عائق نجمةً تسبح في ماء النلو
وكانت امرأة

مُسلّسةً

لا تعرف رجلاً تتدفّقاً بمثّن القوس الأعظم والشمس في أول القوس .

... بردى ١٩٥١ يسبقه التعب إلى المقهى

في حنجرتّه حصيّ يتجمّع

باقٍ ذاهبٍ شيءٍ ما يشتهه يخرطه في ميلك اللهب

القصاص الصالحة

المطر يبهر بين كتفيه يتجه نحو قاسيون ما أسعد غواياته يصل

بين ضيفتي بردي ومقهي الهافانا ويقول لقاسيون : اعقد الخيط .
... هكذا سكن في جرح بين العراق والشام بين ربح تَمَنِّمُ
التراب ومطر يغسل الريح تحمله أسطورة يتجدد ويمحو تجاعيدنا
رأسه
نخيل
وضحضاح من الحلم يسبح في أهدايه .

سكنت معه أنهاراً تسائل الناس ماذا يفعل النخل بين بيسان والبصرة
ماذا تفعل البحيرة؟
وكان ، كلما حن ، يلبس الخشبية ويفتح الأفق أمامه نور
يمشي جبل فوقه يسير كالمظلة حجر ويشبه الذمغ .
رغيفاً ولا بيت له

جرس
ينوس
في
عنتي ...
الأرض .

ترافقه نجمة

تدخل في جسد الغبار ويدخل في جسد الريح ... قرناً

يكاد
أن
ينكسر
في
خاصرة
الريح .

رقعة من تاريخ سري للموت :

كانت الأرض دماً يمتزج بغبار الطلع يتجسّن بين فخذيهما
التاريخ والزمن يتذكر ويتأث. كان التاريخ جدولاً تشعّعت أيامه
ولم تكن الكتب أوراقاً كانت أباراً تمتلئ بأصوات تتسابق نحو طرق
تتخاصم حولها السماوات ولم يتعلم شيئاً

هل الحياة أن نجهل وننسى؟

يعصاه فكره تنقلب عليه حتى أحزانه

الحياة في الجهة

الأخرى من الضفاف التي يتجرجر عليها

والأفق ينكسر أمامه كدورق الخمر

كيف يخلق فراغات أخرى ليتقدم

كيف يعطي مكاناً لما بهم أن يولد بين عينيه؟

وصرخ

أيتها المدن العربية التي تتدحرج في غسق

اللغة
أندحرج

معك

لا لاتذكر

لأرى كيف تتمزق على الجسد القديم ثيابه الأخيرة .

... وثمة شقوق تتسع في جدران لاتزال تنتسب لبيت جسده يتسائل
منها الدم ويندفع أرغناً أرغناً .

وتوجس واستبطن

إنه الوكء يضع يده عليّ

إنها الريح تمنحني حقوق الغبار .

... من أنت؟

أكتشف وجهي

أمحو وجهي

...

جسدٌ تَقَمَّصُ الشظايا يتجه إلى أن يتقمص الموج

ينشطر فيه العالم يَلْتَمِمْ

يعطي وقتاً لما يجيء قبل الوقت لما لا وقت له

يجوهر العارض ويفسل الماء

اقتربي أيتها الرياح

اجتمعي إليّ

أخلق بك

أخلق منك

ها هي الصورة التي سأخلق على مثالها

وهذه قبضتي .

العمل يصعد

من الأرض إلى اليد من اليد إلى التاريخ

من التاريخ إلى هباء البدايات

هل رأيت الزمن

يمسك بإحدى يديه ساعةً يمسك بالثانية مترسةً وتلهو

الطواحين

طواحين الأسنان

الغلمان

القيان

الريح والروح

القصب والقصب

الحنين والحنين

دوري أيتها الطواحين دوري في كرسيتك المهرج المحيط بالكون



أقول ذلك لأن غباري يكاد أن يسبّر الشمس ورأسي يكاد أن يتدلى
في

حبل
يتدلى

أقول ذلك لأن فراشة رفرفت على يديّ قبل أن تحترق

ابتسم ابتسم

قبل أن تجيء الساعات لكي تُكويب الفراغ

قبل أن يحيط الظلام أهداب الوقت

ازدهر ازدهر

قبل أن يتعب العشب في الجهة المنسية من التراب

قبل أن يدخل الليل في عروقك

وينسى

طريق

الخروج .

هكذا بعد الصيحة التي أخذت الممالك حيث بادت بالريح
العقيم وتبلبلت من الدهش الألسنة حرّشتُ بين الزمن وخطواتي
ونيت على أسّ الدهر —

كنتُ

أ - الهيكل الأول

[... فيه صورة لزحل

أسود

شائباً

يحمل فأساً

وصورة تنظر في العلوم الخفية وكان

طفلٌ وأبٌ وأمٌ

يرقصون

ويحترقون

قرباناً .

وكان مكتوباً :

جلس السلطان قال

أعدُّ بميلاد كوكبٍ آخر
سار السلطان سأل هل يتوقف الموج؟
أذنتُ للورد أن يذبل
ووثقتُ بدورة الفصول . . .

همس لصولجانه

وكنْتُ

ب - الهيكل الثاني
فيه امرأةٌ عذراء (جامعتها سدنةُ الهيكل
ووضعت صبياً) .
واحدًا واحدًا حملت

رأيت الصبي بين ذراعها
ينخسونه بالإبر حتى يموت
قرباناً .

وكان مكتوباً:

يجلس على أريكةٍ قرب المذبح
من أعمدة قصره من الأشجار المحيطة تتلنى
هياكل
بشرية
رؤوسها
إلى

الأرض

يأمر

اجمعوا حطب الجبال والنواحي كدسوه قباباً ومناثر
ومناير على جوانب الأودية والتلال اجمعوا النفط ومن يلعبون
به اعملوا من الشموع ما لا يُحصى صيدوا الغربان كلها وما ترون من
الطيور اجعلوا في أرجائها النفط أرسلوها لتطير في الهواء ليصير
الفضاء كله ناراً

ولن يجسر أحد أن يكلمه

سيقال : اعتراه الجنون و/ أو

يوجعه قلبه . . .

وكان له وحده

البحرُ وخرزائن الريح وها هي الفيلة تسجد له وحده

برؤوسها وخراطيمها

انظروا إليها

ما أعظم أجسامها ما أعمق معرفتها ما أحسن طاعتها

وقبولها الرياضات

وفهمها المرادات

وتمييزها

بين من يجب أن يُعصى ومن يجب أن يُطاع

(ليت الفيل لم يكن هندياً وكان . . .)

وكان مكتوباً :

.. من أنتِ أيتها الدابة؟

.. أنا الجساسة أخرج

في

آخر

الزمان

وكان مكتوباً :

الزمن فتور وتسوية .

وكنت

ج - الهيكل الثالث

... ناسٌ عليهم التيجان والحليّ بأيديهم مجامر العود والنّد سمعت

صلاتهم أيها النير الأعظم حارق النور المحترقُ به قدّمنا إليك هذه

المرأة الشبيهة بك تقبلُ قرباننا

وكان مكتوباً :

في السنة (. . .) للميلاد أو للهجرة يُغسل الجسد بالدمع وتُقَسَلُ

الأزمة لكن ، بأي شيء يُغسل الدمع؟

وكان مكتوباً :

سترون قوس قزح

يشاقط شعره ويهرم

(انسوا كيف يبتدئ ومن أين يأتي)

وكان مكتوباً :

سترون الجسد يهجم كوحيد القرن

الأفق يجيء كالمصادفة

الطريق تنزف كالجرح

سترون الرعب يُغيّر هيئة العشب

يحسبه السلطان ثائراً يجلده يقطع أطرافه يبعثر أشلاءه

ثم يؤذّن له الفضاء ويكبّر الغيم

سترون :

أيام الشroud لمخ وأيام الحزن لا تنتهي

وكان مكتوباً :

في السنة (. . .) للميلاد أو للهجرة

يفتني الفقهاء يصلب السلمفاني ويحرق

يكون من مذهبه :

أ - الله يحلّ في كل شيء

ب - خلق الضدّ ليدنّ على المضدود

حلّ في ادم وفي إبليس

ج - الضدّ أقرب إلى الشيء من شبيهه

د - الله في كل أحد بالخاطر الذي يخطر بقلبه

هـ - الله اسمٌ لمعنى
و- من احتاج الناس إليه فهو إله لهذا المعنى يستوجب كلَّ أحدٍ أن يُسمَى
إلهاً

ز - مَلَاكٌ مَنْ مَلَكَ نَفْسَهُ وعرف الحق

ويقول السلمغاني -

اتركوا الصلاة والصيام وبقية العبادات

لا تتناكحوا بعقد

أبيحوا الفروج

للإنسان أن يجامع من يشاء

ويقول السلمغاني -

اقرأوا كتابي - الحاسة السادسة في إبطال الشرائع

الجنة أن تعرفوني

النار أن تجهلوني [٠٠٠]

بعد الأطفال الذين قُتلوا أسس

غنى التاريخ

رقد هاتماً وراء رصاصه وراء رأسٍ مصلوبٍ وزرع يقطيناً

فداً

يتحول إلى سمكة يقتلها رمحٌ قبل الفجر

ياكلها طقل جائع

لا أنتخيلُ

أيتها المياه السوداء العميقة لا أنتخيلُ لا أكتب

أنا العالم - مكتوباً

وأهدابي تهيمن على الأرض

هكذا

أخرج قصائدي من طين خطواتي

أرجم الزمن بأحوالي

وأصرخ : أنا المعنى

حياتي لبوسٍ أحلامي

وأشعر أنني الموت

إلا لمحةً إلا خطوةً

لا المعجری يأخذني
لا القرارِ يَستيقيني
أنا التموج
جدلٌ بين الماء ونفسه

أسراري ليأسي وحده
ويأسي بلا قرار
كانه الرجاء كأنه التحول
وما هي نجمةٌ تدخل في صدري
أنا سماءٌ وأتكلم لغة الأرض
النجوم الأخرى التي بقيت في حنجرتي
لا تزال تائهةٌ تبحث عن نشيدٍ آخر
عرشه على الماء

والموج حروفه وتبوءاته
«إن وجدوا كتاباً لا يقول قولهم أحرقوه إن وجدوا رجلاً
وامرأةً سألوه : من هي ؟ وربما ضربوه وحملوه إلى صاحب
الشرطة ، وشهدوا عليه بالفاحشة . . .» .
«تباع الدور والعقارات بالخبز ، ويدفن الجماعة في قبر
واحد» .

ألف ضاد :

«تخرج النساء عشرين وعشرا ،

يمسك بعضهن ببعض

يصحن : الجوع ، الجوع

تسقط الواحدة بعد الواحدة مائة . . .

نضجتنا ، أيها العصر أنت الزمن الطبيعي لسقوطنا

نضجت أيها العصر نحن الزمن الطبيعي لسقوطك

«أصبح وأنا لا أمل أن أمسي

أمسي وأنا لا أمل أن أصبح

هكذا

ينزجر نصفي ، ونصفي الآخر لا ينزجر وأتقدم كأنني

أتأخر

كسرطان مذعور . . .

www.alkottob.com

استهلك حشودك ، أيها التاريخ
 وحّد الجسدَ والنفسَ
 العينَ والحصاةَ
 واكتب :

لا تزال جنيناً أيها الوطن
 لا تزال نطفةً أيها الشاعر .

استهلك حشودك أيها التاريخ ،
 أسميكَ جديساً وأقول سارت إليك البنابيع
 أسميكَ يمامةً أناديها : أيها الإثمَد ، وأقول للناس اكتحلوا .
 وأشير إليك : اصليوه!
 أعرفك

[. . . أنتَ مُعافي وأنا مُبتلى
 العافية لا تدعك أن تسهر
 والبلاء لا يدعني أن أنام
 وحين تفرّغتُ لك
 ملأتَ يديّ عملاً ولم تملأ صدري غنى

أنا الإناءُ مملوءاً بك
لن أموت لكنني سأنكسر
أرتقب زلزلةً وحسفاً
ريحاً حمراء
ناراً تخرج من حشدٍ أحمر
يمر بالخسربة ، يقول لها : أخرجني كنوزك

تخرج تتبعه كيما سيب النحل
ثم يمر أوائلهم على البحيرة يشربون ما فيها
وتمر أو آخرهم يقولون : كان ، مرة ، ماء في هذه البحيرة
ثم يحرقون أسلحتهم

ينزل مطرٌ يقولون بعده للأرض : أنبتني ثمارك
يومئذ ، تأكل الجماعة كلها من شجرة واحدة
من رقيق واحد . . .]

وتكون الزهرة أعطني الشبق
ويكون المشتري أعطني العلم
وعطاردة الصنعة ودقتها
وتكون الشمس أعطني جسدي

وأنت أفهمني ، أيها الضائع ، أيها الشجرة المنكوسة ،
يا شبيهي -

خرجت الكواكب ترعى
بسط البحر يديه
مدت الغاية أعناقها

لا الأعشاب ذبلت
لا السمكة استجابت
لا العصفور خاف
وللنهار قميصٌ يمزقه الليل .

إنها ساعة الأرق الذي يحكم الأرض
العذاب رائحة العصر
ودم الحيوان يتجمد بطيئاً بطيئاً

اتركوا للشجر أن يتبادل العصافير
اتركوا للنوافذ أن تحتفل بفجر آخر ،

ننظر إلى العصر يتحطم بين أيدينا
إلى المكان يتوشح بحطامه

تنهض من الحطام أزمة ثانية
حيث تتموج الجموع
تمزج السعال بالجنة
والخبز بهالة الملائكة

ونعرف أنها جموعنا
توحد بين اليد والوقت
وتقود الطوفان
فجرها الكلام يتبلل بالفضوء
وجهبها الحد يقطع السواد
إنها الشروع لا الذاكرة
من خطواتها تصنع القوس
من طريقها تسل السهم

تشكل تُسمي
وها هو المدى يأخذ أشكاله
والأشياء تتسمي .

وفي هديل يتصاعد من حنجرة الشرق

تطوف وتنقث بخار التعب
حيث المحاصرة بركاناً
والبركان رحم يقذف الرغبة
حيث يترى الزمن
نطفة
نطفة

نعرف أنها جموعنا نقول :

سلام لك ، أيتها السواعد أنت من يكون الأرض .

نمحو تاريخنا نكتشف تاريخنا
نجر شباك الساعات ملأى بكلمات
كأنهن رؤوس أسلافنا وثمة فضاء يركز بسحاب ضد الريح
بثلج ضد المطر
إنه الوقت

لنسلخ من غيومنا

نمحو تاريخنا نكتشف تاريخنا

بيننا

وبينه

النار

حطب أحزاننا رطباً والتهب يميل إلى السواد

اقتربي يا أجناسَ الحمض
الصُّمُوغَ والكِبَارِيتَ
الأدهانَ والزَّرائِجَ
وأنتِ ، أيتها الأحطابُ ،
وأنتِ ، يا حَرَاقَاتِ الأشياءِ ،
اقتربي واهبُطي في أتونِ أشلائنا
وليتصاهدْ لهيبُك
أشهبَ أسودَ أصفرَ أخضرَ أحمر
قوسَ قُزَحٍ
من ألوانِ التَّنَفُّسِ والاختناقِ
وليكن حُزُننا الغصبا
حيث يدافع الرمادُ عن الجمرِ
وليكن حُزُننا وتراً
وليكن قوساً تترنمُ
وليكن حُزُننا دخاناً بلونِ الذهبِ
وليكن بلونِ دخانِ العَرَفِجِ الذي مَسَّ الماءُ
نحن الزمنُ أُوْرَسُ
نحن أُوْرَسُ جَفٌّ ، وتفتتت خرائطه

نكتشف تاريخنا

نمحو تاريخنا

نفتح ذاكرة الدم
ثمة رؤوسٌ كالقمصان تُخلَع وتُلَبَس
والذمُّ صورٌ وشاشات

أين

أنتَ

يا آدم؟

وكيف أعطيتَ الحياة

وأنتَ تقصد الموت؟

للمكان

وجهُ

حِرياءِ

والفضاءِ

تلفيق

دمشق القاهرة بغداد مكة

الطريق ترفض الطريق

وأقدامنا لا تتبعنا —

نعرف هذه المقابر الأليفة

هذه المشائق التي تتلأى بعدد الأيام

نعرف هذا الرصاص الذي يوضعُ الأم ليقتلَ الابن

لكن ،

كنا نتمنطق بالشوارع نعتقل الأيام

لم تكن أرواد أرجواناً أو قمحاً

كانت رداءً

ينسجه الصدف يُخرمه الموج

كانت الزبد - يتحول غالباً إلى رعدٍ

والرعد - يبشر غالباً بالفطر

لكن ،

لكننا نتفلى بالمطر

وتستدعي مجهولاً ما

نقول لأجسادنا تطايري

لست إلا خياماً

ونحن الحنين إلى العصف

نتفحّم ونقول لأقدامنا تدحرجي

الغبار ينحسر

البحر يتقدم

قلنا ثمة ما يوحد بين قدم تغرب و قدم تشرق

وقلنا ، ها هي الشمس تحضن بيوضها

ها هو التاريخ ينفجر حوضاً حوضاً

وحين كان الصخر حولنا بصمت في تيه كبرياته

كنا نسمع الزمن يجأز وينتحب

وقلنا ،

أيتها المناجل .. تحصد المسافات ، يا أقدامنا المتعبة

تشيهي بالتراب والحجر وانتعلي أنين القصب

أنت من يكوّن الأرض .

نمحو تاريخنا - تكتشف تاريخنا

نهض القرمطي^١ افترش الصحراء جسداً والجسد حلبة
 قال : ليست الأرض هي التائهة ، بل ضيابة سموها السماء
 قال : ليس الزمن الوحل ، بل شيء سموه السلطان
 وجلس في ضوء نجمة يقرأ العاهات والقروح
 [... الفطرة ، الهجرة ، البلغة ، الخمس ، الألفة
 «كلكم أسوة واحدة ، لا فضل لأحد على صاحبه في ملك أو شيء»
 «الأرض بأسرها ستكون لكم ، لا حاجة بكم إلى المال»] .

وقال القرمطي

أنا النور لا شكل لي

وقال

أنا الأشكال كلها

تلاطمي يا تجاعيد بيروت

عصبي بخطوات الجنون تنفس

يا قاسيون هواء تباريحهم

يترجرجون يهجمون

يبتزون يعيشون
يتدحرجون هاويةً
ينقلبون زلزلةً
ينفثون الهلع
يُستفتحون بالخبز

وقال القرمطي :

الجسد مهورةً الغيب .
وحمل الأرض في كتفي ناقةٍ وأعلن
أنا الداعية والحجة .

استغفونا أيها السيد استدرجنا
قل لنا من كذبٍ ومغرورٍ
مَنْ البليّةُ

مَنْ خدع الجسد بنواميسه؟

استغفونا استدرجنا

تتوافق تتناصر

تنصب الدعوة

وندخل في تميمة الإباحة .

رقعة من شمس البهلؤل :

[... يبيع الأموال والفروج

يجمع النساء ويخلطن بالرجال

حتى يتراكبوا هذا من صحة
اللؤد والإلف أطفئوا المصابيح
تناهبوا النساء أطفئ المصابيح
تناهين الرجال ...] .

رقعة من دفتر أخبار :

[... وأخذ يشفي القرى ويغني أهلها يكسو عاريهم وينفق على الجميع ما
يكفيهم حتى لم يبق بينهم فقير ولا محتاج . أخذ كل رجل منهم
بالانكماش في صناعته والكسب بجهده ليكون له الفضل في رتبته .
جمعت إليه المرأة كسبها من منزلها وأدى إليه الصبي أجره نظارته
وحراسته للطير ونحوه . لم يبق في ملك أحد منهم غير سيفه
وسلاحه ...] .

رقعة ثانية :

[القرمطي وأصحابه في زهو التشنيع

تُقطع أيديهم وأرجلهم وتُطرح في قوارير النفط
عظامهم خشبٌ يُحرق رؤوسهم تُنصب
على الجسور . . .» .

استغفونا أيها السيد استدرجنا
لماذا كانت أبواب الجنة ثمانية
وأبواب النار سبعة كأبواب السماوات؟

استغفونا

ندخل في «أهل السواد»

«سفهاء الأحداث»

«أتباع الفتن»

ونجهز

نحن التخاييلُ علمُ الأفاق

تُخبِرنا الطير عن الأبعاد

وتُطوي لنا الأرض

وأنتِ ، أيتها الصحراء ،

احضنينا

كوني لنا بحرنا الآخر

موجاً يملأ شقوق الوجوه والأيدي

وخبزاً أبعد من الخبز

إلى الأرض نتجه

سواعدنا قمح

خطواتنا حصاد
وعلى ظهورنا أثار سياطٍ تتموج بنارٍ وأرجوان
وما هي نساؤنا
سراويلٌ تنضحُ بالشرق
وعباياتٌ تتبرجُ بحبر الليل
ندخل في بتخور الألداء
نضطجع في ظلال أهدابهنّ:

اكتبتنا حروفاً أخرى
ولتكن هذه الحروف أسرار الكتابة
ارتفعن حولنا أسواراً وثقوسن مداخلٍ وعتبات
امزجن الغزالة بالأسد
ولتدشن طفولة المستقبل
لا نبوءة

بل رصداً لمساقط الرؤوس
حيث يحتضن الفرات رؤوسنا
وتكون دماؤنا زهرة العائم

لا سحر

بل ملحٌ يؤاكل التعب ويخبز الأزمنة
حيث تكون أنداؤنا مراضع للتخيل
وأحضاننا أسيرة القتلى
ومن بطوننا الخاوية

ينهض شعب العافية والخبز

لا شكوى

بل أجساد ترفعُ راية الوقت .

لا ماء قریش

بل حمرة العبيد

اعصرون يا نساء السواد شقاء كنّ ولينهمز عنياً وحنطة وتمراً

املأن القرى بمزق التيجان والعروش

انكسرن مرايا وادخلن في النثار وليكن ذلك احتفاءً بزواجٍ آخر

تقبن الأفاق بأظافر كنّ ولتكن صدور كنّ حليات

ولتكن حناجر كنّ مزامير للمعسكرات ودناناً للعطشى وفي الليل

حين يطرح التعب مهاميزه ،

قلن لأجسادكن أن تنتسج على أجسادنا دراريع ديباجٍ وغلائلٍ حرير

ليزدهر أيضاً وأيضاً خشخاش الشهوة

لتتوهج أيضاً وأيضاً قوس الموت .

نعقد حلقاً مع الصعاليك

ننشئ سلطة الرغبات

والآن ، أول الموج

أنا الصارية ولا شيء يعلونني .

رقعة من شمس البهلول :

يبتكر جنوناً يمتلك الشيء وتقيضه
ويهجس أنه خليفة الريح

يؤرخ له القتل

تحتفل بموته يمامة لا يسميها

مثلك أيها العصر ،

يرصد الهلع

التشنج

زفير الكتب

يمسح الصدا عن الكلام

ويقجر ماء آخر

مثلك أيها العصر ،

تداخل أنقاضكما لن تلمح نهاياته

لن يلمح نهاياتك

مثلك أيها العصر

يمزج الحيوان بالقمر

الطلع بالقش

يتقطع وينبتر

مسترسلاً في نفسه

مثلك أيها العصر

يُتَسَبَّبُ كَمَا الْعَالِي

كثِيرٌ ، لَا يَتَوَحَّدُ

مَلْتَهَبٌ لَا يَخْمَدُ

مَنْبَسَطٌ وَلَا الْقَبَاضَ لَهُ

ومثله يسأل : كيف أُلْمِمُ شَعَثِي؟

الغَرْبُ يَتَلَفَّتُمْ وَلِلْمَشْرِقِ حِكْمَةُ الْبِدَايَةِ

هكذا يختبر

أه ، أيها الكونُ الرَّخْوُ

هكذا يعتبر

لكن ،

بِالْقَشُورِ الَّتِي تَتَسَاقَطُ مِنْ جُلُودِ أَيَّامِهِ

بِالْعَدَمِ الَّذِي يَتَرَجَّرُ فِي أَحْشَائِهِ

سَيْفِيكَ وَيَحْفَظُكَ

أَيُّهَا الْعَصْرُ الَّذِي يَتَكَسَّرُ فِي حَنْجَرَتِهِ

خِرْقَةٌ

خِرْقَةٌ

مثلك ، أيها العصر ،

لم يمت

وليس حيًّا

أخرج ، أيها الطفل

من الغابات
من كل قوسٍ
من العشق تخرج غابات
من أشجارٍ - أقواس قزح
ينخرج عاشقان
تخرج أنهار المستقبل .

www.alkottob.com

www.alkottob.com

www.alkottob.com

www.alkottob.com

لم تكن الأرض جرحاً
كانت جسداً
كيف يمكن السفر بين الجرح
والجسد
كيف تمكن الإقامة؟

أيها الأطباء العطارون السخرة المتجّمون
يا قراء الغيب
ها أنا أمتهنُ أسراركم
أتحولُ إلى نعامٍ = أزدردُ جمر الفجيرة
وأهضم صوان القتل

أمتهنُ أسراركم = أشهد غيباً أحوالي

ألَهتُ كمن يستوطن في غربته
أتَهيمُ = وظاهري منتثر لا أملك منه شيئاً
وإطني مُستعِرّ لا أجذله قيثاً
وفي لحظةٍ واحدةٍ ،
أتسّف أتندى
أتباعد أتقارب
أتراجع أهاجم
واتخشع وأختلّ وثمة ما يحول بيني وبينى

كيف أطلع جسدي عليّ؟

رقعة من شمس البهلول :

تهجم شفتان بين فخذيه تكرر ان

تاريخاً يتكرر

من الآن يلمح الأيد

من الآن يتحسس البدء

أ ب د هـ ز

استغوه ، أيها النيفس الذي يحكم الغيب

كن إيقاعه

امنح لرأسه أن يهوي بين ذراعيك

هو المجرب المنقح

هو الماء السلسل

هو الهيكل الذي يتجول منياً وتوراً .

كان لإقامته بين الشجر والزرع شحوبُ القصب وسكرةُ الأجنحة
 تأصّر مع الموج
 أخرى بهداة الحجر
 أفنع اللّعة أن تؤسس حبر الخشخاش

وكان سلّم يقال له الوقت يتكوى على اسمه ويصعد
 نبوءة
 نبوءة

من الأجنحة يخرج الأثير
 من المصادفة يخرج الحتم

لكن

أيتها الشمس الشمس ماذا تريدين مني؟

يُفترق بجعاً	وجه يجتمع بحيرة
يهدأ لوتساً	صدر يرتعش قبرة
ينغلق لؤلؤة	حوض يتفتح وردة

تلك هي أذخال الهجرة ورايات القفر

وللنهار يدا لعية
وللفلك نيرة المهرج

لكن

أيتها الشمس الشمس ماذا تريد مني؟

يلبس الموت حالة البنفسج
يسكن النرجس أنية الثلج
يحلم أن الحب وجه
وأنة مرآته ..

الحجر برعم ، الغيمة فراشة
وعلى العتبة جسد .. شرارة لقراءة الليل
ليس الموت عزلة الجسد
الموت عزلة ما ليس جسداً
لكن ،

أيتها الشمس الشمس ماذا تريد مني؟

تكثرني الحواجز

تجعلني المحجب أكثر سطوعاً
أنتشق نباتات الغور وليس بين قدمي غير الأقباح .

لو القفص يلتهب ، والوقت دغل

لو الدُّغْلُ امرأةٌ
لو السَّماءُ تفكُّ أزرارها
لأبرأ من لیتَ وتَو
لاقولَ انطلقني أيتها السماء بحثاً
عن أمومةٍ ثانية
حرّري أهدابك من الدمع
استسلمي لعاءٍ آخر
لستِ الحُلمَ ولا العينَ
لستِ حكمةً لي
يفدّي أيامي
أن لا أيامي سَفناً تنقل الشواطئ

لكن ،
كيف تهدأ مَراسٍ تحرسُ الموج؟
وأنتِ
أيتها الشمسُ الشمسُ ماذا تريدین مني؟

أبحث عما لا يلاقيني
باسمه أنقرسُ وردةً رياحٍ

شمالاً جنوباً شرقاً غرباً
وأضيفُ العلوُ والعمقُ
لكن ، كيف أتجه؟
لعيني* لونُ كسرة الخبز
وجسدي يهبط تحوِّدًا له علويةُ الزَّغب
لا الحبُّ يطاولني
ولا تصلُ إليَّ الكراهية

لكن ،
كيف أتجه؟ وماذا تريد مني
أيتها الشمس الشمس؟

يمحو وجهه — يكتشف وجهه

يتقدم الخطف تلبسك فتنةً بفجرها الأول
يتقدم الوقت أين المكان الذي تُزمنُ فيه الحياة؟
تتقدم العتمة آية رجّة أن أوزعك في كريات دمي
وأقول أنتِ المناخُ والدورة والكرة
آية زلزلة؟

يتقدم الضوء يُليلُ في أنحائي
أنقطع أتصل
والوقت يأخذ هيئة البشرة
يخرجُ من الوقت

وسقط
غزوك
عليّ

وشهقتُ إليك أحوالي
لماذا حين دخلتِ أخذتِ الحقول تشتعل وكانت يداي أول النار ،
ولماذا ، كل ليلة ،
كنت أحمل زغب نهديك لليلة مقبلة؟

أدخلي
وعلى ركبتيك
ترابٌ وفي الطريق إليك - إليّ
الجبالُ
وسرُّ المتحدرات
وشربين الأودية أقول نلتقي - نفترق
وأستجمع أنحائي :
أيها الحنظل المتناثر ملحاً على موائد الإباحة
أنت العذوبة وأمنحك طعمي الأول .

ادخلي
نلتقي - نفترق لا الفراق جناح وليس اللقاء ظلاً
أختبي في تقاطيعي
تختبئين بين نهديك -
أمزجنا أيها المنحدرُ
جسداً يتجامحُ
جسداً يرتاض
وارسناً .
اكتمل دفتراً السلالم
انفتحت حقائب الهجرة

جسدك التيه أخرج
وأسفارُ خروجي أنتِ
أخذك أرضاً لا أعرفها
تلالاً وأوديةً تغطيها نباتاتُ البحث
امتدادات غامضة
وأخذك واقفاً
قاعداً
راقداً
ولا أقنع بغيرك
أخذك
في تنهداتي
في اليقظة والنوم
في الحالات الوسيطة
وفي ما يُعده لي الوقت
أخذك
ثنية ثنية
وأفتح مسلكي
أتمدد فيك لا أصل
أندور لا أصل
أتمسك أنتسج لا أصل
أصل من أقاصيك لا أصل

ما بعد المسافات أنتِ ما بعد المفازات
أنتِ أين وهل وماذا وكيف ومتى وأنتِ
لا أنتِ

أتبسطي على جسدي وأنفوسي

خليفة في خلية

عرقاً في عرق

ولتخرج منك آلاف الشفاء

آلاف الأسنان

ولتكن غير معروفة لتكون على قدر حينا

هذا فلك بينما

عضو يختلج

عضو يختلب

وفي ثنيات أوراكنا نطف ماء فتترشك فتترشني

وتنطفئ دناً دناً

وأكون علقت صورتك بجميع الصور

ويكون جاءني الكشف وقلت :

هذا لقائنا الأخير

من أنتِ؟

أخذك

حيواناً ملائكياً
يضع السّم في شفةٍ
والبلسم في شفةٍ
وكلّ ليلةٍ ، أقول
هذا لقائنا الأول
أيها الأحد

ق

م

ر

ش ع ش ا ع
وليس لي معك غيرُ الهوائف
وغير البوارق
وما يطوف

ويهتز جسدي بالكئه اللازم له
والملكات الواجبة في أشيائه
وأصرخُ : أنتَ الهباءُ
وأنتَ القادر

من أنتَ؟

جسدٌ يكبرُ في العزّام والخالد:

ينحدر يعلو يَسْتَشْرِفُ
يجمع الضَّعَافَةَ ويقرأ هَذَيَانِ القَصَبِ
جَسَسْتُكَ بِعَيْنِي
رقصاً يتقدّم في خطوات الفصول
تنهّلتُ في ناردينِ
وأخذتُ أشكالَ تروح وتجيء في لُججِ
الخاصرة يصطدم الغريق بالغريق
أخرج من الخيزران
أدخل المدقة
أثفل في أخبية القاعدة
حيث يكمن البيضُ وينتهي قلم السّمة
أجمع كما يتجمع اللقاح
أخلعك أتزياً بكِ
أنسلخ منكِ أتحد بكِ
وأخلق بيني وبينك
خداعاً يعلو الشمس
رياءً يكسر الزّمن غصناً غصناً

من أنت؟

تحت البشرة الهويّة

في شراييني خبطة المس
أندحرج بين أنا الجمر وأنا الثلج

وبين

الياء

والالف

أندلى

أخلق في اليوم يوماً آخر
وأربط بحبل الدقائق أهوائي

تقول المرأة اكسريني

تقول الخطوات قيديني

وبين آلة الموت وحيوان الألفاظ

أنقرس أنجذر

وألعب نرد الطبيعة .

رقعة من شمس البهلوك :

قلت مرة :

اجعليني على خزائن جسدك واشتودعيني ،
جسدك نيلوفر جسدي بحيرة ، -

وقلت :

أيتها المترامية ضفافاً ضفافاً على مدى هيامنا
أيتها السفينة اجنحي
ربما تنقشر الطحالب
ربما تتوهج قرارة السرّ
ثمّة أغوار يغمرها الصدا - اجنحي
حيث الجنوح كنيسة الجسد
والجسد كاهن الجنون .

وقلت :

يداً بيدٍ قلباً على القلب
يسير الجسد والمهبط لا العصف يهدأ
لا الجلد يحتمي
ويجنّ الجسد جنوناً ينتحل التعقل
ويجنّ المهبط جنوناً المحيطات

وقلت :

كيف يسبح الحصى في اليدين

وينبع الماء بين الأصابع؟

وقلت :

أطلبُ إلى زمني مهلةً لأكون أيةً تنطق بما سيكون الحبُّ

وقلت :

الحبُّ هو كذلك يجرح الحياة يقتلع وينفي

الجسد هو أيضاً يتحول إلى سائلٍ ويأخذ شكل الإناء

وقلت :

الجسد لا الحبُّ جلدُ الزمن مسامُ الأرض

الجسدُ لا الحبُّ قوسُ الأفق عضلةُ الريح .

تريد أن تعرف؟

إذن ، اجهلي ما أنت

واجهلي غيرك

وقلت :

خلطتُ وعوجتُ

سألتُ صوتي امتلحتُ كلماتي ،

وأعمدتُ اللغة

وصرختُ :

أيها الإنسان

الذي خلقتُ مريضاً

متى تشفى؟

ادخلي بَطِرْتِ أَعْضَائِي
إِلَيْكَ نَاهِبْتُكَ
تَنَمَّيْتُ فِيكَ
وَأَزْسَيْتُ أَحْوَالِي

ادخلي نلتقي = نفترق نمحو وجهينا = نكتشف وجهينا
نمزج الخبز والجرح لنبقي الأرض تحت كلماتنا
نحتفظ بشجاعة الرّفص لنكتب تاريخاً آخر
نرى امرأة - بحيرة - نهراً - قامة عاشق
يتعطف جسدانا
ونعلو في القضايا .

عارياً ،

يترك الفلك بيته ويهبط أدراجنا
للأشياء هديرٌ نغتسل فيه
للأوقات وحوشٌ نأنس بها
نترقب تتحضر

نتنثر نتنظم
نأتلف نتختلف
ليس للأشياء أسماء
للأشياء أفضاءً كالأيائلِ
وجوهٌ كالعشاق
وها هو المدى
قرّو أبيضُ
وللوسائد عطر الأذغال
وها هو الجسد - الأبُ الجسد - الأم
يتَّجه

تتَّجهُ
تحيينا أجراسُ الرُّعبات
تحيينا أسرةً بعلوِّ الطفولة وصدق الشمس
ونبتكر موتاً يعطيل الحياة
ونبتكر خداعاً

بينك وبينى
رياءً

يكسر الزمن غصناً غصناً

نلتقي = نفترق = نمحو وجهينا = نكتشف وجهينا

في السرير طيفان

واحدٌ يترامى واحدٌ يتوارى

والجسدان أربعة ..

شطر للغائب

شطر للحاضر

حشد من الإبر يلطم أحشاءنا

والجسد الذي نقرع لا يؤاونا

ثمة شقوق تكشف ما تغطى

ثمة أسارى تقرأ علينا الأسرار الأولى

كيف للجسد الواحد أن يُثمر الياسمين والعوسج؟

كيف لقلب واحد أن يلبس جسدين؟

نألف = نختلف

نبتكر خداعاً بعلو العاقلة

رباءً بصديق الشمس

نبتكر موتاً يطيل الحياة

ونقول

الحب ثلاثة - رجلٌ ورجلٌ وامرأة

رجلٌ وامرأة وامرأة

دائماً

كان

بيننا

مسافة قلنا

يمحوها اللهب الذي نسميه الحب

والتصقَ النهار بالنهار الليل بالليل وبقيت بيننا مسافة

أطفأنا ما لا ينطفئ

أشعلنا ما لا يشتعل

وبقيت بيننا مسافة

وفي ساعات التحام الشهيق بالشهيق والنطفة بالنطفة

بقيت بيننا مسافة

أيها الحب ، أيها النسل المنطفئ

تقدّم واجلس على ركبتي - ركبتيها

خذ زهر الدمع وانسجِ الماء

تحيينا أجراس الرغبات

نبتكر موتاً يطيل الحياة

نبتكر خداعاً يعلو الطفولة

رياءً يصدق الشمس

من نحن؟

يجمعنا جسراً لا تقدر أن نعبه

يوحدنا جداراً يفصلنا أدخل فيك أخرج مني

أخرج منك أدخل في
ما أبنيه يهدمني
تشبّهت لي أنك الفضاء
وأضغثت الرؤيا

أمسكتُ بوردةً هبطتُ واديك انتظرت
بيننا نهرٌ والجسر بيننا نهرٌ آخر
سمعتك تسألين : آينا الكبدُ
آينا النواح ؟
اختلطتِ بالجَزَعِ وأعشاشه
صرختِ أتعدنا كرةً من النار
أنطقني الآن أنطقني الآن
لتعرفَ نعمةَ الجمر

نمحو وجهينا نكتشف وجهينا
هواجس
أصدافاً
مرايا

ننقذ عبرها إلى شخصونا الثانية
نفتح صدرنا للأكثر علواً

ينفتح لنا الأكثر انخفاضاً
ويدخل كلانا في برج الوحدنة
في عزلة عصفورٍ يُحتضر
ويتلوق كلانا طعم الآخر
وتسكر أعضاؤه بالحياة لحظة يسكر الآخر بالموت
وكلانا يُسرّ نعم لحظة يجهر لا
ويسرّ لا لحظة يجهر نعم
كيف تغسلين جسدك ويزول ماؤك الثاني؟
كيف أغسل جسدي ويعود لي مائي الأول؟

أنا سؤالك

ولست أنتِ جوابي

عرفتكِ بحنيني

بشركِ به وربطتكِ بنفسي

ع ي

ل

أد ن ي س

و

لكي يتحرك جسدك حركة الحكيم

وأتحرك به

بما فوقه

بما تحته

وبالذي بين يديه
لكي أحيط بك إحاطة تخلصني من كل قاطع يقطعني عنك
أقرأ كتاب كنتك
أطور في أصولك
أفوق موجوداتها
وأشخصها في أوهامي

لكي تكوني النقطة
وأكون الخط والشكل
لكي تكوني من وما يتلوها
عن وما عندها
حيث لا تسعني الكلمات
حيث لا يسعني غير التخيل والرمز
لم أقصدك

لست بحرك
لست بالجمع الذي تنتظرينه
وليس لي غير أطراف
أطراف تية
محرك - اكتشفتك
توه في حُمى لم أكتشف حدودها بعد .
بسطت على الورق أجنحتي واستدعيتك

قلتُ : الموت شيخ

من أين له بعد أن يلحق بنا؟

قلتُ : جسدي شمالٌ والزمن جنوب

كيف لهما أن يلتقيا؟

ولك أمامي الذي لا يهرم

ولك أبدية الجهات الباقية من أعضائي

ولك منحت عيني الأرق وبأسي النوم

ولك مساويت بين الصحراء والبحر

العين والشوك

ولك استثنيت المعنى من حشود الكلمات وسميته الصورة

ووفاء لأسمائك التي أنزلتها سلطاناً

قلت للأبجدية : تشهيت ووحمتك

ولك غيرت وأقنعت سنواتي أن تكون جمرة التغير

ولك استوهبت اللهب أخطائي وأقنعت الجسد

أن يكون مجد الصفات

التهمك خلية خلية لا ترويني

أحتويك نبضة نبضة لا راحة لي فيك

لا الغيرة تفصلني عنك لا الكراهية

يفصلني شعور لا اسم له

وأنت الآن الزمن والموت :

من أين لي أن أسترجمك؟

تُحتَضِرِينَ أَنْدَفِعَ نَحْوَكِ
أَجْسُ بِقَايَاكِ
وَأَلْمَسِ كَيْفَ تَرَحَّلِينَ

لَمْ
أَكُنْ

لَسْتُ إِلَّا رِفَادًا يُشْهِي
كُنْتَ الْبَطْلِيَّةَ وَسَبَقْتَنِي ثِيَابِي
مَوْتِي سَلَّمَ لِعَجْسِي وَجَسْدِي بِلا قَرَارٍ أَيْنَ أَثْبِتُ؟
أَثْبِتُ السَّحَابَ قَلْتُ لِلزَّيْدِ أَنْ يَكُونَ
أَيْنَ أَثْبِتُ؟ مِفْتَاحَ الْمَوْجِ
أَيْنَ أَثْبِتُ؟ لَيْسَ الْأَسْمُ جَنْزِرًا لَيْسَ الْجَنْزِرُ امْرَأَةً لَيْسَ
أَيْنَ أَثْبِتُ؟ الْقَشُّ يَأْتِزُّ بِالْوَرْدِ وَالْكَلِمَاتُ تَكْسِرُ صَلْبَانَهَا
أَيْنَ أَثْبِتُ

وَجَاءَنِي الْأَفْقُ سَمَى نَفْسَهُ بِاسْمِي
لَيْسَ الْأَسْمُ حَضَنًا
لَيْسَ الْحَضَنُ امْرَأَةً
أَخِذْ شِفْتِي مِنْكَ هَذِهِ اللَّيْلَةَ

أيتها الأرض الوخمي ولا حبل ،
لأعرف كيف تهطلين أيتها الصحراء
كيف تزدادين اتساعاً
لأعرف حتم اليأس
لأعرف كيف نحبّ دون أن نحبّ
كيف يذبل ما تسمى بأسمائنا الأولى
وارتوى بما حسبناه لا يعرف الذبول

أيتها الذكرى - النسيان
كيف يتبعني البنفسج أتبعُ زرقه الماء
أقرأ جسدك -
ضيوفه ورعاياه

وأقول يخرج من وجهي ضبابٌ
تخرج من جسدي خيوطٌ
تواصل تنحلُّ تنحلُّ
وأسالُ من رأى حصاةً تمتدّ
امتدّي أيتها النار ،
الأحشاء تيبس
امتدّي

والصقيع يزرد العضل
امتدني
والزمن رطباً وطباً
والزفير يتدقُّ هالات هالات

الطرق الصالحة ليست صالحة لي
وليست لأحدٍ خطواتي
وفي كل نقطةٍ من جسدي تيه
وليس الصلح عشيقاً لأضلُّ الطرق
وليست المرأة أرضاً لاكتسي بالفضاء
أشكك المثلث بأضلاعه
الدائرة بمركز

أشكك الخبز بالملح
هل يخرج الطبع عن مداره؟
هل أنا سمكةٌ تكره الماء؟

أكثرُ شيوخوخةً من الحجر هذه العضلة
عبرت مَحجَّات الخدرِ استكشفتُ محيطات الهلوسة
رافقتنا معها دوائر الشمس
سكننا معها حشيشة الملاك

الطرق فواصلٌ وحركات
ولا فرق بين القمر وظلّه
العصفور والغصن
ورأيت البحر في وِزّة الغابة
والشليح ملكاً على الماء كانت الشمس تحرسني ولي دُورَةُ الفلك
يحملني قرناً جذي تختارني شفتا ثور
أشهد كيف يكون للضوء جسدُ الشوك
لِلطَّمي أنينٌ الأعالي
كيف تمحوني الحقيقة ويثبتني الوهم من أين أعبّر المسافة
بينهما —
دائماً كان بيننا مسافة .

أيها الضارب في شريان المسافة استسلم
للريح تشرّد الفضاء
للفضاء يمشي بقدمي طفل
للحبّ متّقى للحب .

رقعة من تاريخ سري للموت :

وداعاً للجسد الذي وأبّه وساور

أعضاءه

وداعاً لِمَدَّةٍ يَجْزُرُ بَيْنَ طَقُولِيَّةِ جَسَدِهِ

وشيوخة أحلامه

سلاماً لمملكته البائنة .

رقعة من دفتر أخبار :

يمحو الشهوة — يكتشفها
الشوك يد لمن يزرع الزهر
الملاك أول الحيوان

يمحو يكتشف
يحلم بجسد يكتبه
لكن الكلمات أحلام والكتابة امرأة
ماتت : هل الحب هو الحب؟

لم يعد يرى — أعني بدأ الآن يرى
حين يحضره الموت لن يسمع صوتها
وإذا سألته : من أنا؟ لن يعرف الجواب
وربما همس : هل التقينا حقاً؟
ويقول :
ينهضُ اسمٌ آخر للحب .

رقعة من شمس البهلول :

لكي يكونَ ما هو
خرج من نفسه خرج
وبقي فيها شخصٌ لا يعرفه

أنا بظُ الليل
هديةً لكل جسدٍ . أبلغُ هذه الرسالة :
اتصلُ كما يتصل البحر باليابسة
يُلتصقان لكن لا شراكة بينهما
كلاهما نقيضُ الآخر

.. لكن ، لماذا أنا جميلةٌ أيها البهلول؟
.. لأن السفينة هي التي تراكِ ، لا الموجة .

اللَّيْلُ يَمْرِي عَشِيقَاتِهِ
 يَتَصَوَّفُ بِتُحَدِّ بِأَصْفَرِ أَجْزَائِهِ
 قُولُوا لِلسَّمَاءِ أَنْ تَغَيِّرَ اسْمَهَا
 قُولُوا لِلأَرْضِ أَنْ تَأْخُذَ هَيْئَتِي
 وَجْهِي لَمَحَّ فِي عَيْنِي بِحَيْرَةٍ تَجْفَأُ
 لِيَجْسِدِي طَعْمُ الكَفَنِ

لهذا ،

يَتَخَطَّفُنِي رَعْدُ المَتَاهَاتِ

لهذا ،

يَصِيرُ العَالَمُ نَافِذَةً لَا تَتَّسِعُ لِأَهْدَابِي .

أَعْرِفُ المَحَارَةَ

فَتُدْبِلُ البَحْرَ

فَتُحَدِّ اللَّيْلَ سَكِينَةَ القَمَرِ

لِسَانَ القَرْنَقْلِ شِفَاءَ الرِّيحَانِ

أَعْرِفُ الوَجْهَ وَالقَفَا

وَتِمَّةَ سَطْحِ أَنْتَرِ فَوْقَهُ وَأَجْهَلَ امْتِدَادِهِ وَالْوَانَةَ

الجَسَدَ الَّذِي أَعْطَيْتَهُ جَسْدِي لَمْ أَلْمَحْهُ

الجَسَدَ الَّذِي قَالَ إِقْرَأْنِي كَتَبْتُ غَيْرَهُ

اكتبني قرأت غيرَه

لهذا ،

أتردد صوتاً بلا كلامٍ داخلٍ مسرحٍ بلا حدود

لهذا ،

أسمعُ كلماتٍ بلا صوتٍ :

لمستك يد الفجر مرةً

وغابت .

تزيّني أيتها الفصول بشروعٍ تاريخٍ ينظفني

العشب يغلق مقاصيره

الرّبيع يكسر مفاتيحه الأولى

وثمة من يجرح ويلتصق ذبابةً على الجرح

وها أنا -

أهبط من الأفق الثاني للولادة

وينحرق لي قضاءً آخر .

أيها الحنين الذي ينتفش على جدران الزمن

أيقظ وحوشك وأطلقها

أيها الحبر البائليُّ

استرجع سكرك وأسكرني

زمني قميص يضيّق والشهوة جسديّ يتسع

أمحرك أيتها الشهوة

أكتشفك

أسمع للحوض صهيل الأفراس

ألمح للسرة امتداد السهوب

عضلة تستدير

عضلة تُعاجزني

عضلة تمزّق بعضي ضدّ بعضي

ألمس القحف والقلب

نبض العظم

وَحَوْحَة الشرايين

وجحك طافح بدمي

وأخذ وأكرّر وأهذي

وللأفق يَنحُورُ المنى .

اتركي لجسدي أن يثبت على الورق

ممشى وخطواتك الشجر

مشهداً وجسدك الممثل والرأوية

ظلاً وجسدك الإشارات والتلاويح

سطحاً وجسدك العمق

حروفاً وجسدك الكتابة .

وتنزهي
في كفنٍ تنسجينه خيطاً خيطاً
وقولي للإبر أن تبطن
وأبطني

وأنتِ يا متاهاتِ الحب
استشرفتِكِ وأخذتِكِ عيناي
بردتِكِ وقلبتِكِ
استنقمتُ فيكِ وجسرتكِ
وأنا الآن أنا سُمك
وفيكِ أنخضنخضن جسدي .

رقعة من شمس البهلول :

يسحر الشهوة يكتشفها

تطوح فيها

حضنها تفارق وجوامع

منحها تصاريف جسده

استصحبها مع أنفاسه وهيمنها

اخترطها بلسماً ورأب صدوعه

تفارسا

والتهم أحدهما الآخر

لا يجد كلاماً

هل يتحدث بما يوحى؟

إذن ،

تلتذذ في نفق

انتسب إلى بيت عنكبوت

تعارك مع جناح سقط من ذبابة ماتت

يتوهم نسراً تتبعه الشمس يتبع نجمة تنطلق ويقول

هكذا أحيأ

يتوهم كنارياً تخنقه يد تواسيه ويقول

هكذا أحببت

من الحلم

إلى الحلم

يمضي الأملُ يَسْتَتِمُ خريفه الأخير

والحبُّ كَمَاءٌ وتعاشيب

لا سقفَ غير التوهم

لا توهمَ غير اللج

وقالت الموجة :

أنا المستقبل .

أمحو جسدي أكتشف جسدي

قلت لي : شكوتَ إليّ الوحدة

وقلت : سأمثلُ لك الحب :

فصن

كثيرُ الشوك

أُدخِل في جوف العاشق

تشبَّثت كل شوكة بعرق

ثم جُذِب

أخذ ما أخذَ وأبقى ما أبقى

خلاياي ازدوجت وامتلأت أكثر من البحر ،

أنزلني على مذبة جرف مجهول

تنزلني لختي على مذبة الهاوية

وبين نشوة الدوار

وشفا هلاك غير مرئي

أتلني

لا تقريباً

بين

في

ربما أبداً

والثني ظرف والغرف خبر شهاب يجرّ حروف الجسد

وينطق

جسدي أشياء تتناقض

يربط الكفن بقدم الشمس

ويقول لفراشة

بلون وجهي

أكتبيني على جناحيك

واحترقي

هكذا

أنحدر في إنشاءات الذكورة والأنوثة

للذاكرة سنارٌ يغمرنى
للحركة رموزٌ تمحو الذاكرة
عزواً أنحائي من أسفل
غَطَّوْا أنحائي من أعلى
جسدي خَطُّ غضموني تعابير
— هل أنتِ من جنسٍ ما يُكتب؟
— هل أنتَ من جنسٍ ما يُقال؟
أكثرُ فصاحةً
أن اكنسي تأشيراتٍ وتراقيم
أكثرُ عمقاً
أن تتحوّل أطرافى
إلى حواشيٍ وهوامش
أكثرُ شفافيةً
أن يكون الزمنُ زهرةً تذبل (أو تتفتح) ووجهي الأنية
تتأرجحُ البَشْرَةُ
أنخرط في سِلْكِ الأغوار
أتمحور
أهوي
أختلط بالأمجة
وتسربلُ أهوالى —

الجرح دلتا
البلسم ألف
والجسد حروف بلا نقاط

آية هاوية تتسع لأعضائي
ليس للمكان قصة لا توكأ
ليس في مناخه غيوم لا توسم المطر
وها أسمع في جسدي
جنوداً تنبت
وأشلاء تطاير
وها أنسكب في شظاياي
وأسترخي
أيها الحب - الرأس الذي يشبه الجسد عرقاً عرقاً
أيها الحب ، يا أرومة الماء
أتسع
كن الهباء والشمس
وأثيت القبار بالقبار .

تمرحل ، أيها الجسد ، عن الآن إلى الموت
- متى ولدت ، ما عمرك؟

... لا أعدّ ، لا أرقم

أتهالك وألها

أهوائي تملكك حركاتي ، وشربيت وجهي اليأس .

كررت : أملك أقليم لا أعرفها

يُجيشني الرماد لكن اللهب يقودني .

رقعة من تاريخ سري للموت :

تَمَدُّدٌ ، أَيُّهَا الْبِخَارُ ، يَا دَمِي وَرَافِقِ اسْتِطَالَاتِي
ثُمَّ أَمْوَاجٍ تَقْبِلُ مِنْ شَوَاطِينٍ غَيْرِ مَرْتِيَّةٍ
تَقُولُ إِنَّهَا اسْتِطَالَاتِي
ثُمَّ صَلِّصَالٌ غَيْرِ اسْمِهِ
حَرْفٌ خَرَجَ مِنْ صَوْتِهِ
أَفَقٌّ عَلَى شَفَا الْأَفَقِ
تَقُولُ إِنَّهَا اسْتِطَالَاتِي
وَبَيْنَ الْعَصَبِ وَالْعَصَبِ صَحَارَى
تَقُولُ إِنَّهَا اسْتِطَالَاتِي

وَأَنْتِ ، يَا زَهْرَةَ الْأَلَامِ ائْتَحِينِيْ اِحْتِمَالَاتٍ أُخْرَى
كُونِيْ أُمُومَةً زَهْرَةً بِأَلْفِ الْأَسْدِيَّةِ وَالْمِدْقَاتِ ،
الْكُؤُوسِ وَالتَّوْبِجَاتِ
ائْتَحِينِيْ - لِذِكْرِيْ وَجْهِيْ
كُنْتِ تَتَحْنِينِ عَلَيْهِ كَلَّمَا جَمَعْنَا مَاءً أَوْ هَوَاءً لِنَقْرَأَ الْمَوْتَ
تَمْتَرِجُ رَائِحَتَانَا
تَنْمُو أَطْرَافُنَا تَوَائِمَ تَوَائِمَ
أَقُولُ لَكَ : تَمُوتِينَ مَأْخُودَةً بِالْمَاءِ

تقولين لي : تموت مأخوذاً بالشمس

لكن ،

لحظةً تذبذبين بين عيني

يقصنا لهباً لهباً لهباً

ومتاهاتُ الأحد السبت الجمعة الخميس

أصيلُ فيك الشهوة بطعم التراب

والفرحُ بنكهة الموت

وها هو جسدي

موشوماً يبتقع الحسرة

يزحف بين كلماتي

تتكاثفُ أدغال الأرق

تعلو أمامي الجبالُ

الشجر ينام

ولكلُّ حصةٍ أذنانُ تُصغيان إليّ .

توهمتُ أن اليَدَ يَدٌ وأنَّ الوجعَ هو الوجع

وكان هذا تعاطفاً مع الرمل .

رقعة من شمس البهلول :

الجسدُ يتذكّرُ الحبُّ ينسى
الحبُّ أن نذهب الجسدُ أن نجيء
الحبُّ أن نستوهم الجسدُ أن تتبلبل
الحبُّ .. هذا الهزل الكوني
من أجل أن يظلّ الأبد مشقوقاً
من أجل أن نهتس الشك .

رقعة ثانية :

الحب ملكٌ على السلب
طفلٌ يظلُّ في حالة الولادة
الحب زِيٌّ - كلما كثر المحبون قلَّ الحب
سريرٌ تعمره حشرات إلهية تنفث الهديان الكوني
حيث يشتبك فنخذ القمر وفنخذ الغار
يتعانق فكَّ الشمس ولسانُ الحرقون
الحب فمٌ حُرِّف عن موضعه

لا تطلب الغبطة في الحب
لكن ، لا تطلبها في البغض
اطلبها في رقادٍ لا ينقطع
من غيمةٍ تسبحُ
في فضاء بحثٍ يسبح
في فضاء رغبةٍ لا اسم لهما
لا اسم له .

رقعة ثالثة :

منذ أخذت السماء تطعم الأرض

انشطر وجه هذه العائسة نصفين :

نصفاً للخطأ

نصفاً للندم

قبل الأوان الخطأ

بعد الأوان الندم

والإنسان بينهما مَبْغَى .

قالت أشباحه :

كنتَ ترقد مع آخر نجمة تستيقظ مع أول عصفور
جسدك وراء جسدك وعيناك تستسركان
ترسم خرائط الماء ، والماء يهرب ويمحو
وتساءلت كيف يتحول الهاجس إلى قدمين ويدين
وقلت الخيال يلمس أصابعي
المكان يتخيلني
وما حاجة العين للعين؟

العصر تشنّ جلده وتذن
الأفق طحلب
وشوك الماء .

وقالت أشباحه : أيها الفشل ، يا جسده الآخر ،
وحدك عرفته - قلت
في أحشائه مشاتل وآلات
لنفي ما يقبل ونفي ما ينفي
وقلت للأشياء البسيه
وقلت له البسني -

الآن تستطيع أن تبدأ .

وكان الجسد جديداً وأخبرنا :

غرضي أن أسمي الحُمى ذاكرة الجسد

غرضي أن أتحدث مع حرائق الداخل

غرضي أن أعارض الموجَ لأحسن تمويه الشواطئ

وأبدأ دائماً سقوطاً

في

زهو

العافية .

وكان الجسد جديداً وأخبرنا :

الماء ضيقٌ على عطشي

وأنا ضيقةٌ على أنا

لي آلافُ الألسنة وليس لي إلا كلمةٌ واحدة

لي من الموت أنواعٌ لا تُحصى

وليس لي إلا قبرٌ واحد .

وقالت أشباحه : تبكلي بمطر الأشياء وانغمريه يا أعشاب اللغة

يبتكر أعضائه أعداءه

يقراً تاريخ التراب
ويتوج الشيء ملكاً على رموزه .

وانت انقصني يا اعمدة الذاكرة
وانت انطفئ يا جمر الماضي
يفرغ جسده المزدحم بالأسماء
يمنحه لجسد لا اسم له
ويعشق هذا الجسد الذي لا اسم له .

وقالت أشباحه : افترسته أحواله
تستأمله فأسه
تمزقه يده
من أنقاضه ارتفعت أسوارٌ وَعَلَّتْ مقاصيره
انقسم ظلّه اثنتين يدعيان حبه :
واحدٌ يؤثر جثته
واحد يفصل صمتاً يشبهها
وانتشرت جثته أثيراً
تتلقى منه رؤوسٌ وأقناذ
موائد وأسرة
وانتشرت جثته مرآة

لها شتاتُ المدى
وأخذ كل شيء يتراعى فيها :
أين المصفور يطير بأجنحة من الوحل؟
أين الصرصار يتقمص وجه الملاك؟

وقالت أشباحه : أصهروه أيها الشقاء لِيَسْتَنْزِلَ مَطَرُ الوَقْتِ
ضجرت أعضاؤه من أسماؤها
من التلظى والخصم
من السكون والحركة
ضجرت أعضاؤه منه تسبقه - يتبعها
أصهروه أيها الشقاء ليعرف هل هو هو ، أم غيره؟

وقالت أشباحه : لنمضِ
أمامنا الجسد يترمرمُ سراً سراً
العَفْنُ هو كذلك القلب
العَفْنُ هو كذلك الطفولة
العَفْنُ هو كذلك الحب
ونفتنح :
الحب أن تشك أيضاً في الحب

الحياة أن ترخرف لك العينُ أنك الوحل
أن تتسخ ويكون الوسخ من ولائتك وأعراسك
ولنقتنع :

الحياة أن تتماوت
أن تكون منذ البدء ، الميت - الحي
الحي - الميت

وقالت أشباحه : باسم جسدك الميت - الحي الحي - الميت ،

لست في الطرف

لست في الوسط

لست الحكيم

لست الطائش

أنت

السقوط النهوض

اللحظة التي تنفسها وتكرر

كلمة لا كلمة

شيء لا شيء

غيب غيب

وأدخل في أعراس المخو والمثق اتجة أرخ

لا الأمر أمر

لا النهي نهى

انْسُلْ دَمَكَ خَيْطًا

اتَّبِعْهُ

اعْتَفُ تَحَنُّنٌ

اخْتَرِقْ —

بِلا اتِّجَاهٍ

بِلا طَرِيقَةٍ

ارْتِطَامًا

قَفْزًا

لا تَسْتَبِقُ

اخْتَرِقْ تَسْلُطَنٌ

كن المكانَ الذي لا مكانَ فيه

الوقتَ الذي يغلبُ الوقتَ

كُنِ الشَّهْرَةَ الشَّهْرَةَ الشَّهْرَةَ

أَبْرًا الْجَسَدَ

وَسَمَهُ النَّبِيَّ

وَالنَّاطِقَ .

باسم جسدي الميت - الحي الحي - الميت

ليس لجسدي شكل

لجسدي أشكال بعدد مسامه

وأنا لا أنا

وأنت لا أنت

وتصحح لفظنا ولسانينا

ونبتكر الفاظاً لها أحجام اللسان والشفيتين ،

الحنك

وأوائل الحنجرة

ويدخل جسدانا في سديم دَقَلٍ وأعراس

يَنهلمان

يَنبنيان

في نُجَّة

احتفال

بلا شكل

بطيئاً سريعاً

نحو ما سميناها الحياة

وكان فاتحة الموت .

باسم جسدي الميت - الحي الحي - الميت

ارتفع السُّرُوبين الاسم والوجه

عادت اللغة إلى بيتها الأول
كان الحب قبراً دخلتُ إليه وخرجتُ
كان القبر نزهة لراحة الأوردة
ومات النحو الصرف
وحُشرا بين يدي أول قصيدة كتبتها وآخر قصيدة
وأخذ الحشُرُ يحكم ويفصل
يرئى ويدين
لكي يأتي الليلُ
يشرد النهار خارج النهار
لكي يأتي النهار
يشرد الليل خارج الليل
لكي تحتفظ الأرض بذكرى العشب
تتغطى بالقش

باسم جسدي الحي - الميت الميت - الحي
للجسد أن يفصل بين جسدي وجسدي
له أن يعتقل عضواً بعضو
يحارب خليةً بخلية
له أن يزرع دمي ويحصله
وللجسد أن يكون جسدي
ضيدٌ جسدي .

تعازيم

أ .

سلاماً أيها الجسد

أيها النغم أخرجته اللذة المحاناً سررت بها

عشقتها وطربت إليها

ورثبت الأوتار الأربعة إزاء الطبايع الأربع :

الزير المرة الصفراء

المثني الدم

المثلث البلغم

البم المرة السوداء

وأجرت الإيقاع في أنهار لا تحصى

سلاماً أيها الجسد

ب .

اقتربي ، يا شجرة الزيتون

اتركي لهذا المشرّد أن يحتضنك

أن ينامَ في ظلك
أتركي له أن يسكبَ حياته فوق جذعكِ الطيبِ واسمحي له أن
يناديكِ :

يا امرأة!

ج .

... ليلاً ،

نخرج من أسرتنا
نذهب عاربات حتى أطراف القرية
نحمل قضباناً يلون التراب
نرش فوقها الماء
نفتش الأرض الظامئة
... ثم يكون غيمٌ
ويكون المطر .

د .

استلقي ، أيتها الجميلة ،
فوق هذا العشب الجميل
ضعي بين فخذيكِ زهرة جميلة
وقولي لعشيقك الجميل
أن يزيحها بعضوه الأجل .

هـ .

تعري ، يا شجرة الورد ، التحفي بالقمر
انزل ، أيها السيد القمر التحف بشجرة الورد
وضعتنا لك سلماً
جعلنا قدم الوردة آخر درجاته
زيتاه بزهر آخر
حفرنا عليه رسوماً
لأنواع الذئكة في البر
لأنواع السلور في البحر
من أجل أن تشهد عرس السماء والأرض .

و .

أنت ، يا من لاحقت امرأة
كانت تغطي جسدها بأوراق المدممة
وتلف رأسها بتويجات الورد
كان اسمها أميرة العشب
كان اسمها العبد
والكلام
أنت ، يا من مضى ،
ها نحن ، حول اسمك
نتحلق

نحسبك شجرةً
نكسرك غصناً غصناً
نصنع منك دمية نغطيها بالقش
نلقيها إلى الزبد

ونقول :

الزبد

هو

أيضاً

من

مفاتيح

البحر

ز-

هاتي نخصلة من شعرك
اربطها بهذا الغصن
اتركها في عناق مدى الريح
في صورة عاشقين .

سلاماً للفساد أليفاً كأنه الهواء
 مؤسساً كأنه البلد
 سلاماً لآلاتٍ غير مرئية أبتكرها لأبتكر أجسادى الأخرى
 قلوبى الأخرى
 سلاماً لكوكبى الجالس على طرف القيد
 يتخذ من قدمي وذراعيّ حدوداً وأعلاماً
 سلاماً لوجهي يتبع فراشةً تتبع النار

// هل أفصل نفسي عن نفسي
 هل أجامعها / هل أجمعا
 ع لحظة انفراد أم لحظة ازدوا
 ج؟ هل آخذ وجهاً آخر؟ وما
 ذا يفعل جسد تبعه جراح لا تلتئم
 شم؟ إنها الصحراء
 تطبق عليّ ، وما هو
 الجرادُ يَحْتَنِكُ أطرافي //

اجلس ، أيها الموت ، في مكانٍ آخر

ولنتبادلك وجهينا

أصنع نبضي نسفاً لأبجديتي

أسويك الجلد

أسميك النظر

طعم الأشياء

وأعلن :

أنا المتوئن والهدم عبادتي .

وأقول باسمك :

ابتسم ، أيها النهر ، لجفافك

امرحي ، أيتها الزهرة ، بين الشوكة والشوكة

وأقول باسمك :

في الرمادي أفتح جسداً أتجول في أرجائه

حيث يتمشى قوس قزح بخطوة الطفل

ويكون لخيالي أن يقرس عيني

ويهدم الجسور بيني وبين ما حولي

ويكون لي أن أصعد وألتقف الهواء المحيط .

وأقول باسمك ، هامساً لأشباحك :

أيتها العطور التي تفرز الرغبة

تزينني

واستهويني .

وأقول باسمك :

دائماً على شفاً للجنون

لكنني لا أجن .

أجلس ، أيها الموت ، في مكانٍ آخر ولنتبادل وجهينا

أسميك الجسد وأسأل

كيف أعيش مع جسدٍ أتهمه

وأنا المتهم والشاهد والحكم؟

وأسميك جسدي

وأرى إليك إليه يتفكك ويتركب

الساعد فخذُ

المعصم كاحلُ

اليد قدمُ

الكتف مرفقُ

وما تبقى غيرُ ما تبقى

وأستسلمُ ، أنا الراسخ ،
كانهيارٍ ثلجيّ
عنقي تهبط في الترقوة
وتهبط هذه في الصدر
ويهبط الصدر في ليل الردفين
والردفان في شمس الأحقاء
وتكون الأحقاء رصاصاً يرسب في أطراف الساقين وتتنورُ بأعضائي
أعضائي .

وتقول باسمي :
أسميكَ عاشقاً
وجهاً إلى الحيوان
وجهاً إلى النبات
وأصغي إلى هذيانك يطلعُ
في لهاث العناصر :

دال تاء

— بحسب حركاتك يعجري أمري
والليل والنهار يريدني إليك

يترا كضمان كمُهرين في سباق
كيف أقمع هوائجي
والحاجة إليك هتكتني؟

واو نون

... كيف أقمع هوائجي
والحاجة إليك هتكتني؟
تبيكين؟
... لا تحرق النار موضعاً حسه الدمع
للك أبكي
ينبت القرنفل في الدمع
للك أبكي
وأمس قرأت : «كل شهوة فسوة إلا
الجماع يُرْفَقُ ويُصْفَى»
للك أبكي .

سين ألف

... ادخلي ، كأنك نقتب الجحيم وخرجت منها
أو كأنك امرأة تشتري العطر بالخبز

أُخَصِّبُكَ وَأَسْتَقْصِبُكَ
أَزْمِنُ فَيْكَ وَأَكُوكِبُ حَوْلَكَ أَعْضَائِي
وَكَنتُ صَادِقْتُ نَفْسِي فَيْكَ
وَحينَ تَبِعْتُكَ
قَلْتُ : النَّفْسُ يَتَّبِعُ بَعْضُهَا بَعْضاً .

لكن ،
لماذا أنا كثيرٌ بنفسي قليلٌ بك؟
لماذا ، كلما اقتربت إلي ، أشعر كأنَّ عضواً يسقطُ مني؟
مع ذلك ، ادخلي
لا يزال جسدي رطباً بذكرك
وكيف أقمع هوائجي
والحاجة إليك هتكتني؟

وأقول ، باسمك ، لجسدها :
جسدك صوتي أسمعهُ
نظري أتشرد فيه جسدي رحيلي وكل خليةٍ منطلق
جسدك مرقائي وأضلل المراسي جسدي الصخر يستبقيني
الغبار يطير بي

جسدك هبائي

ويقللني

جسدك فضاؤك وأنا وحوشه المجنحة
جسدك قوم قرح وأنا المناخ والتحول .

وأسال ، باسمك :

أصحرت لا ماوى

استأسنت من يطهرني؟

من يعصمني من العبارة

تكدر ،

من الإشارة

تضمحلّ

وكيف يتحرر القفص؟

ونقول ، باسمي :

أبدع لجسدك ما يناقضه

كن الهبأة والحصاة في جسد واحد

أكمل جسدك بنفسه

ولتكن اللغة شكل الجسد

ولیکن الشعر إیقاعه .

اجلس ، ایها الموت فی مکان آخر ولنتبادل وجهینا

أقول باسمک وباسمی :

تُضلل الحیاة وهی التي تقودنا

ماذا أفعل

وجسدي أوسع من الفضاء الذي یحتویه

أنا الباحث

ولیس أمامی غیر الموت؟

ونقول باسمها وباسمک وباسمی :

تجوهرتُ بِکِ

وکنت أطمع إلى التبدد

وفتحک بجسدي لکن ،

بماذا أختمک؟

ومع أنني مشوبٌ بِکِ

فأنا شيءٌ لا یستند إلى شيء

لیس مربوطاً

ولا ملتجماً

ولا حالاً
لكنني أسيلُ لا أقف
وجسدي رمي إذ رمي
بقاب قوسين
وأنا الصَّحيحُ المريضُ
استوليتُ
غلبتُ النِّمَّ والكيفُ
فُتُّ ما يُقالُ

مع ذلك ،
عييت من تصوُّركِ على أنحاءٍ ومراتبٍ
وأعودُ بأسمائنا من علم اليقين
(اليقينُ شركُ الضمائرِ
والمعرفةُ
أن
تعلم وتجهل)

هكذا أتحرَّكُ في سلاسل جنوني وأنوع الحلقات
هكذا أتُها الثابت
المتبدلُ
المتصوِّنُ

يا جسدي

وكذا

وكذا

وكذا

هكذا أسأل :

أنت صيراطي كيف أقطعك؟

أو

أسأل :

هل أنت حكاية محرقة ومكذوبة علي؟

هكذا ،

أنكر ما يفرقتني

وما يجمعني

وأقول باسمك :

أنا الماء يلهو مع الماء .

www.alkottob.com

www.alkottob.com

الكتاب الرابع

www.alkottob.com

سيرى ، أيتها الحقول ، بخطواتٍ من القشِّ
 اخلع قميصك أيها الجبل
 الضوء يعبر وتعبير حشراتهِ
 الأدغالُ تعبر
 وتعبير خواصيرُ التلال

وأنا
 مكسواً بالزمن ورماده
 يرميني الشجر من نوافذه
 يتلقفني فضاء تسيجه أفضادٌ غير مرئية
 بين أمواج من الثمر أبحث فيها عن برعم التيه
 حيث ترفعتني صارية اللذة وتختلط الصنخور بالأشعة
 حيث الجسد سردابٌ والشهوة قلعةٌ محاصرة
 وأقول : سيكون فضاؤنا وحشاً
 أخضر

لكن ،

أيها الحبُّ المقبل ... الجسد المقبل
 أين أسكنك
 وماذا أستطيع أن أمنحك
 غير ذاكرة الغراشات؟

أ . تخرج فراشةً تدخل فراشةً والمسرح بهيئة الجسد
في الجسد وحلٌ
لوحه طيبة الورد
في الجسد ذلٌ
لذنه نكهة التله
هكذا بدأت من أطراف القدمين
يوم حككتُ بها جلدة الأرض
بين هواء دمشق وشجر قصايبين
أزبن النبات
فككت الأرض أزارها
هطل ماءً لا
أخذتُ غصن زيتونٍ
ورسمت على التراب دَوْرَةَ أحشائي
وقفت السماء جانباً وابتدأ هديرٌ كأنه بدء التكوين
أزدوج كل شيء واشتعلت أعماقي هجرةً وتقاسمتني
الأقاصي
تحت شجرة بشكل الفراعين
أقفي باستدارة السرة

ارتسمت أوائل ممراتي
لم يكن للفجر خير قمصانٍ تثقيها قرون الماعز
وأخذ جسدي يفرضُ والطرق لا تتسع
أخطو كمن يصل جمرةً بجمرة
هاويةً بهاوية
وفي ركبتني تتكئس الجبال والسهول .

ب . تخرج فراشةً تدخل فراشةً والمسرح بهيئة الشجر
كتبنا على جذوع الشجر لكن الشجر لم يقرأ كتابتنا
رقدنا على العشب لكن زغب العشب لم يأنس إلينا
وكان الولةً يهجم علينا بجمره وأيامنا قش رطب
ونسأل
وتسقط أسلتنا في جرارٍ تنكسر
ويبدو الأفق طفلاً أغمض إلى الأبد أهدابه
وفي لحظات الحنين والحسرة
نلهج بأحوالنا
نتمدد على الأرض
ونحفر في جسدها سرةً صديقة . . .

ج . تخرج فراشةً تدخل فراشةً والمسرح بهيئة القضاة
من أين لأحشائي هذه الوسوسة؟

من أين لِقلميّ هذا السُّمُوعُ؟
أنا الشاسعُ
وليس في الفضاء ما يملأ عينيّ
تُدحرجُ ، أيها الشَّيخُ ،
أَيُّ الشَّرَاحِ أَيُّ الرِّيحِ؟
استمسكْ
استصرخِ المَدُّ المَدُّ المَدُّ
استسلمْ
كُنْ الفَرَقَ وخذني ...

د . تخرج فراشةٌ تدخل فراشةً والمسرح بهيئة الطبيعة
أنحول إلى طبيعة ثانية
وتتزلق بين فخذنيّ النباتات
كلُّ حجر حارسٌ يسهر معي
كل شجرة مظلةٌ تشبه بالجسد
(أدخل في أبعاد ترشح من شقوقها البخارات
حيث تُطبخ الحجارة
تكون منها الأمواج المختومة
وقلِّكُ الرِّياحُ والمصاييحُ
وتكون السيمياء والحكمة) .

رقعة من دفتر أخبار:

مرة،

بدأ الحبيب يقدمين

طوى الزمنَ غلالةً وضعها تحت قنطريه

ومدَّ الفرحَ وسادة

كان الموتُ جلدعاً يتناول

والحزنُ يشقب الأظحية .

رقعة من تاريخ سرى للموت :

لم يعد الغضاء إلا رقعة تتبَلل بالقتل
وينسلها اليأس خيطاً خيطاً
لم يعد الهواء إلا نبض قلبٍ يتجه نحو الرماد
انكسر عليّ كضوء ينكسر
وبقيت كلماته تهذي وتلوف
وبقي هباؤه
يرسم انحناءة الشمس .

... «افتح قبرك في هباء كلماتك
واخلق لموتك جسداً» .

سمع
أمن
ولم ير .

١٩٣٠ الشمس قدم طفل
 عرفت أقل من امرأة
 لأنني تزوجت بأكثر من امرأة
 (... عرفت أقل من رجل)
 لأنني تزوجت بأكثر من رجل)
 أعلننا :

الزواج غبار

لكن ،

قد يتحوّل غبار الزواج إلى زهرة من العشق .

١٩٣٣ نبتة تشعل قنديلاً

١٩٤٠ طفل يُعدّ الغيم ينتظره المحريق

١٩٥٠ تمطر في أنحاء أخرى

ستحظى بينابيع يأخذها غيرك .

الجسد أطول طريق إلى الجسد

هل اللمس للجسد وحده ، حقاً؟

١٩٧٣ تمطر في أنحاء أخرى

ستحظى بينابيع يأخذها غيرك .

١٩٧٥ سلاماً أيها العقل
يركض النهر وراء مائه ولا يُمسك به
يبحث الغصن عن ظله ولا يراه .

سلاماً أيها العقل
لا يقدر الجبل أن ينخفض
ما ذنبه؟

لا يقدر الورد أن يسقيك
ما حكمته؟

سلاماً أيها الحيوان
أنت وحدك الملاك الأبيض .

لأجل مائدة العين
يستريح الشوفان فوق سواعدنا
يتنزّه القمح
نربط الزمن بأجنحة العصفير
نسمع نبض الحقول
يجاور قلوبنا
ونكاد أن نلمس الدم .
إنه الفجر يمطر فوق الزيتون
إنها الحقول تتبرك بشباب الملائكة
والبحر يبسط يديه لا يصل

والسمااء تحمّل الجرارَ لا تروي
وكنتُ أجريتُ أحلامي أنهاراً
وعلّقتُ كالصُّورِ أيامي
يُتَّحدُ الصَّبِيعُ والسَّمائِي
ويجلسُ الوَرُورُ على الدُّخانِ
وكانَ جسدي غيوماً تتراكمُ وتنتشر
حولَ أشجارِ لها شكلُ شراييني
وأجنحةٌ لها شكلُ قلمي
وها خطواتي تلوي وتزهر
المح يوماً بغرةٍ تسترسل
وقميصٍ يتمزقُ ،
يحلمُ أن يكونَ صياداً

المح يوماً يجلسُ على التهر
تجلسُ قربه صبيّةٌ تكتشفُ نهديها
المح يوماً يُجيشُ البروجَ
ويرفعُ رايةَ الجدي .
والهواءُ هواءُ بفضلِ القرية
والبيتُ بيتُ بفضلِ الزيتون
انزعني غلالتكِ أيتها الأرض
الماءُ يعودُ مراهقاً من الشيخوخة

والنَّبْعُ يطير صوب العصفور .

ليس الفجر، بل جرمٌ يتساق الفجر
قلتُ للوسادة
وانحنيتُ من نافلةٍ يعلو الصفاصاف
أحبيك أيها الصباح الحامل وجه صئين
أيها الوجه الأقلّ غرابة من وجه نينار
طموح صئين يُرهق الكلام
لتكن شاعراً أو مجنوناً
ولك ذراعان وساقان لكي تنسى

ها أنت

ها أنا

أين إملأوك لا كتب؟

أين صمتك لأمنحك جسدي؟

اسمِي الخيطُ

ينزل من الشمس لا يعلق بك

أين وجهك لأصقل مرأتي؟

أين مرأتك لأرى أشباحي؟

أقص عليك تاريخاً بداته يمامةً

أحمل إليك سريراً

فَرَشَهُ النَّهَارَ وَلَمْ يَنَمْ فِيهِ اللَّيْلُ

صنّين -

سُمِّيَ هَكَذَا بِفَضْلِ الْإِيَّامِ
سَمَاءَ الشَّلْجِ يَقْرُؤُهُ الْغَيْمُ كُلَّ يَوْمٍ
وَلَا تَسْمَعُهُ الْمَدِينَةُ .

صنّين -

سُمِّيَ هَكَذَا بِفَضْلِ النَّسِيَّانِ
اسْأَلُوا
أَجْزَاءَهُ الْحَزِينَةَ الْبَاقِيَةَ الَّتِي تَتَفَكَّكُ كَأَجْزَائِي
تُنَاقِصُ سِيرَهَا فِي غَيْمَةٍ
وَتَسْتَرِيحُ فِي حَصَاةٍ
اسْأَلُوا فَصُولَهُ وَنَبَاتَاتِهِ
كُلَّ فَصَلٍ جَوْقَةٍ
كُلَّ نَبْتَةٍ حَنْجَرَةٍ

وَأَجْلِسْ مَعَهُ وَأَهْدِي

يَجْلِسُ الْهَدْيَانَ فِي عَرْشِ طَائِرٍ يَحْمَلُنِي وَيَمْضِي
سَلَاماً ، أَيُّهَا الْعَجِينَةُ الصَّلْبَةُ يَا أَحْلَامِي

حملتُ خواطر تحمل الأمانة
علوتُ حتى لامستُ نجمة
وقطقت مع أرواد نبتة بحمرة الخمر

كان حولنا عشبٌ يجوع وخصيٌ يعطش
وتمنينا
لو تُلغَمُ الشمسُ بالماء
وكان صئين جرحاً يتدفق ويملي .

رقعة من دفتر أخبار :

أ . عمّا يرد بقوة الوقت
وقف الضوء كجذع الصنصناف
يرى إلى الريح تجرّ الأفق
إلى الأفق يتخبط
يُفلت من فتح أخضر
أخذ يحول الأشياء إلى كلمات يصنع للكلمات شمالاً وشرقاً
غرباً وجنوباً
ويرجع خطوط الامتواء
امتدّت عيناه سطوحاً وخرائط
يفصل التّويجات
يلامس عنق الغصن وأسنان البرعم
يحتضن أحشاء الماء وخاصرة الوقت
وكانت أصابعه هي التي ترى

وكنت أرى إليه كيف يبدأ الموت منذ أن يولد
شعاعه المتواصل هو نفسه موته المتواصل (الحب كالضوء ، موت
متواصل منذ ولادته)
وكانت أصابعي هي التي ترى

ب - عمّا يفاجئ من الغيب
الشجرة أجمل غرفة لنوم العصفور
والغصن أجمل سرير
المحب يحتضن غائباً
يحمل موسيقى جسد
يحمل القتل
تنتثر الفصول
يكون للطفولة أن تموت وديعةً كبدرة القمح
للموت أن يهب كنسيم بحري
يكون للبحر عيناً صقرٍ يحتضر
لا يقدر أن ينتهي لا يقدر أن يبدأ
يُطعنُ الصقر
وهو في رفيفه الأخير ليتوج نفسه على الأوج
دمعاً ينزف
ولا ملك له
الملكُ لنارٍ تهبط على أحشائه .

ج - عمّا يجيء من جهة قصابين
لاحقتُ فراشةً
تطير في الاتجاهات كلها

ولم تكن جاهلة ولا ضالّة

القمر حوذني يقود عربة الشهوة

الغيوم قماش

نرسم عليه أحلاماً

نرجو أن تنزل مع المطر

أحياناً يتّسخ الضوء

كيف نغسل وطناً يتّسخ فيه حتى الضوء؟

د - عما يرد بقوة الضوء

أيها الضوء ،

خلقت إلهاً ويرفضك الظلام

لهذا كنت العين الوحيدة التي خلقت من أجل

أن تسكنها الظلمات؟

لهذا كنت الخالق يلبس شكل الخليقة ،

والماء

يتزوج

شكل الإناء؟

أمحو وجهي - أكتشف وجهي
الأشياء أقنعةً اخترقها
والعالم حولي أسارىر .

ها هي قصايبين
تبدأ كما يبدأ النهر وتتجه إلى فاتحة البحر
يختلط ماؤها بمائه
تخرج مع سمكة
تطير في الليل تنزى
تجلس مع سمكة تقرأ
ولها قرنان يضيئان
تسافر مع سمكة
ينبت بين كتفيها الزهر
وأحياناً ينبت الطحلب

ورأت قصايبين شجراً يطلع مع الشمس يموت حين تغيب
ورأت قباياً تسير على الماء
كانت أرواد تلبس ملاءة الفجر

تخاطب الجناح بالسنبلة
والأحصنة بالقصب
اختبئي في عباءة الموج
واتركي حول قدميك مكاناً للأرض
جسدٌ يستأنس يستوحش في رقة الهدب
شمسٌ تخرجُ من الحنجرة
أفقٌ يترك شفثيه على الأذن
جمعٌ بصيفة المفرد
هذه إشاراتك
هذه حروفي .

أدخلُ في عتمة أغواري وأنتِ مصباحي
أمنعُ يدي لطفلٍ يتعثر سمّيته الحنين
وأسير إلى جوار ظلي
أحمل حطب الضوء وأقول للزمن
أيها الرمح استبسل
وجهي مجرة الرمز
وجسدي عرجونُ اللغة
وها هي حياتي
فمقمٌ يتدافع في هلعِ المصادفات وهجمة الزيد

أمام المرأة - الماء أنعكس :
جسدٌ آخر يتراءى
الترجس كنيسة الموت
والموتُ قداسٌ بلا صوت
من الزرقة إلى البياض ينتقل الموج
من النورس إلى الطمي تهجم الشواطئ
تاج الماء ينكسر
والزبد يَسْتَرِدُّ أسلحته .

لكن ، أيها السيد الذي يحرس الموج ،
لن تقدر أن تنساني
وجهي شهوة الألق
وصوتي الهسيس الذي يتبعن الموج .
وها هو الموج
عنتُ يتجه نحوي أنا الغيمة - القلادة
وليس للتراب ندوبٌ إلا خطواتي .

رقمة من دفتر أخبار :

حزنٌ يعبرُ أمامه لم يره

تأداة

يرتجش ويلبس الرخام

مرأةً لحزنٍ رآه

لم يُنادِه

حزنٌ آخر

لكن لا جسده

يُتقُّ بجسده لا بفكره .

رقمة ثانية :

الأرض حضوره وهو غياب السماء

أفنعَ كلماته أن تحتضن أحشاءه

لم تحتضن شيئاً

ما قاله ليس منه

ما يحلم أن يقوله لا تشع له الكلمات

يريد أن ينكسر

لكن كيف ينكسر ولم يحفظ باللهب الذي يُغريه؟

وكيف يُغريهم بلهيه
وهم يتخطفون رماده؟

رقعة ثالثة :

أسرع الطينُ أسرعَ وتحوّل إلى غبار
لا شيء لا شيء لا شيء
يلتصق بالخشب عموداً فقيراً ليلاه الرخو
ويحلم
كيف
تتأثر
عضواً عضواً في شوارع استباحها
واعتقل أطرافها
ليطلق الحركة
طرطوس أرواد اللاذقية دمشق
صوته يعقرُ تاريخه
ووجهه الجذْرُ والقش
الحزنُ الذي يستأصل
والفرحُ الذي يؤصل
لا شيء لا شيء لا شيء

وبين قصابين ودمشق
تسقط السماء مطراً يحجم اللوز :

اصعدُ أيها التراب

جَسَدُهُ مِثْلُ

تَبَخَّرَ أَيُّهَا الْمَاءُ

جَسَدُهُ مَهْرَجَانُ إِسْفَنْجٍ

اصعدُ

واشهداً للمطر كيف يضايع الأرض

كلَّ عَشْبَةٍ مَسَحَتْ أَهْدَابُهَا وَقَامَتْ

كلَّ حَصَاةٍ اغْتَسَلَتْ وَتَهَيَّاتِ

والزهر دَمٌّ يَمَلَأُ الثَّقُوبَ .

رقعة من شمس البهلول :

يبحث عن دغلي يرفعه محرقة
يطرح فيها أوائل نذوره وبشاراته
يقيم

لكل ما يشع
لكل ما ينطفئ
ولائم وأعراساً
ويدعو الحب

يسمع التعب يقول : أنا الصفحة الأخيرة
الصفحة الأولى
يسمع الموت يقول : أنا حبرك الباقي

رقعة ثانية :

يشتجلي شرقاً يغسل الضوء ويعلمن :
لست حيث أنت بل حيث لا أنت
لا في النوم بل في الأرق
أنم النوم

أرق الأرق
ما لست يدّم ما أنت
دمر ما أنت
لتبني من أنت
وإبدأ :
كن الردّ
كن ضربة الرد .

فواصل :

أ . أمثل الجسد في سيف
تسته اللذة
يفساجع الحزن .

ب . لكي أكون جسدي ،
أسمي نفسي الهباء
لكي أعرف ، أنام
ولست في حاجة إلى مكان
حاجتي إلى طريق طريق
تقدم أيها الدخان
يا فرسي لعبور المسافات .

ج . أتكلم دون أن أتكلم
أسير دون أن أسير
أتغلغل بين الورقة وغصنها

الشيء والشيء
حين لا يعود يتميز
الخيط الأبيض من الخيط الأسود
أصرخُ منتشياً
تهدمُ ، أيها الوضوح ، يا عدوي الجميل .

د . . . وسرتُ كأني الليل
... ما هذه الشموع التي تركض وراءك؟
... لعلها الشمس
لعلها الموت .

هـ . أعمالِي باطلة
وأفعل دائماً كأني الحق .

و . تخيلتُ أنْ لدوّار الشمس عينين وأنه يرى
قلتُ : أنا كذلك دوّارُ الشمس
خرجتُ من حدّ الحيوان إلى حدّ النبات
هجرتُ مملكة الدم إلى مملكة الشيء

استوت لدرىك الأشياء يا دوار الشمس

المجد نمة

العائلة كهف

التاريخ دكان توابل .

وانحزت إلى الشهوة

وجئت من جهة الجسد والطبيعة .

... إذن ، أسألني الآن :

ماذا يملك الإنسان غير موته؟

يمحو وجهه — يكتشف وجهه
 لم تكن أمه تعرف صنيين وهي التي قرأته
 حجراً حجراً

اخرج ، أيها الطفل ، إلى الحجر
 كل شيء يقودك إلى الحجر
 الرمادي الأبيض الأحمر الأسود الأصفر الأزرق
 الخمري الجادي

يهيم ينطوي
 يتكوى يقظاً
 يتأمل يبحث مثلك
 وحين يلتصق بجذع شجرة أو بعشبة
 يتنسك أو يشيق ،
 يتصاعد منه بخار التنهدات
 أو يتسلل وينأى مثلك
 وحين يجد نفسه وحيداً لا يقدر أن يتحرك
 يستدعي إليه الجهات الأربع

والعمق والعلو
ويقول لما حوله أن يترقق سراباً أو ماءً
يُخَيَّلُ لِنَفْسِهِ أَنَّهُ يَتَقَمَّصُ التَّرْجَسَ
وَأَن ظَلَّهُ يَمَانِدُهُ
وَأَنَّهُ يُوَدُّ أَنْ يَتَّحِدَ بِظَلِّهِ مِثْلَكَ
وَحِينَ لَا يَقْفُزُ حَوْلَهُ عَصْفُورٌ
وَلَا يَسْمَعُ هَمْساً أَوْ رِكْزاً
وَلَا يَرَى إِشَارَةً أَوْ تَلْوِيحاً ،
يَتَّجِهُهُمْ يَنْقَبِضُ يَأْرُقُ
تَضَيِّقُ حَنْجَرَتَهُ
يَتَحَفَّزُ لِيَسَافِرَ لِيَضِيحَ
فِي دَوَارِ الْكَذْحِ وَالْمَرَارَاتِ مِثْلَكَ

وَحِينَ يَرَى مَا حَوْلَهُ يَتَكَلَّمُ وَيَصِيرُ بِأَسْنَانِهِ
يَحْلُمُ أَنْ يَتَحَوَّلَ إِلَى فَرَّاشَةٍ
لِيَكُونَ لَهُ أَنْ يَسْتَبْشِرَ
لِأَنَّهُ صَارَ فِي مِثْلِ هَشَاشَتِهَا
أَكْثَرَ قَابِلِيَّةً لِأَنَّهُ يَنْسَحِقُ
وَيَهْلِكُ بَغْتَةً
عَفْوَاً

مثلها مثلك

وحيين يكونُ موحشاً

ليس أمامه خير الشمس

خشية هذا العالم ومسرحه ومسرحياته

والممثلين ، يدخل في دوره

الهزلي

الفاجع

الماجن

يداهن يصانع

يطعن يداري

يتحقق يتوهم

يُظلم يضيء

مثلها مثلك

وحيين لا تمسك به يدٌ

أو تنظر إليه عين ،

تنفجر في أعماقه الحرقه

يحن إلى الدخول في الرعب كريشة النسر

رعب الأعالي

مصارع القضاء

الأشباح
التي تنزياً بقلائس تشبه
رؤوس العصافير مثلك

الحجر مثلك

يمتزج بالغبار والضوء
يطرد الوجع وأطباق الدمع
يجعل النظر سيفاً أو رمحاً

حجرٌ يتلألاً يجذب
يقول للوجه أن تنور فتنور
للجسد أن يشطح فيشطح

حجرٌ يتحارّ في النهار
غبارٌ ضوئي في الليل
نومٌ على العين
دوارٌ تحت الرأس
صديق الحُبلى
ويوم تلدُ
يجلس بين ثدييها

حجرٌ يتلَّى من عنق شجرةٍ ليمتلع ثدياها ويكثر ثمرها

ينمو في صدر غزالةٍ لتتزوج الريح

حجرٌ تزاويقُ

طلايِمُ

الأمود قدوةً وسلطان

الأصفر جسرٌ لكل شيء

الأغبر كحلٌ امرأةٍ على اسم رجل

رجلٍ على اسم امرأةٍ

حجرٌ يفرز الشهوة

حجرٌ لا يغوص في الماء

حجرٌ يحارب النار

حجرٌ يلتف به الحزين

يتختمُ تزول أحزانه

حجرٌ يتخلخل يخرج منه فضاء

وتخرج الرياح

حجرٌ يجلس تحت اللسان لكي لا يسكر الرأس

حجرٌ مندورٌ لشهوة التيه مثلك مثلك

أتدركُ أيها الطفل لشهوة التيه

لتيه الشهوة .

رقعة من شمس البهلول :

دخانٌ يتنكسُ

يتحامل على الهواء

لا يقدر أن ينتهي لا يقدر أن يبدأ

البحر يرفض البحر

الصحراء تنفي الصحراء

وللشمس أجفانٌ من الشمع .

رقعة ثانية :

قلت مرة :

ذهبَ الحبُّ بقي الجرح

قلت مرة :

أيتها الخطيئة - البراءة

أسميكَ أسمائي أرسمكَ بوجهي

إذن :

افتحْ شبابيكَ العافية واسمَعْ ضجيجَ الأرجل

ثمة هواجسٌ يتكئ عليها المشردٌ ويسير في الأزقة

ثمة نهودٌ شغاه يتوضأ بها

والشمسُ إنأؤه الذهبي

إذن :

اقرأ فاتحة الألق

مُدَّ يديكَ وَأَخْرِجْ ما يترأى

ادخلْ إلى مَدَارِكَ واجلس في عبادة الحال

أنت السائح

لا ملك لخطواتك إلا جسدك

وقلت مرة :

أنا الذبيح وليس من يخالطني

وقلت مرة :

لوني الشلجُ

وأسير متوجاً بالشمس .

تعاذيم :

أ . «نستدعيك»

أيها القوي الذي حملته أمٌ فقيرة
وولدتَه سرّاً من أبٍ مجهول
وضعتَه في سلةٍ طرحتها في دجلة
لم تغرقها مياهه
أخذك التيار إلى بستانيّ
انتشلك
وربّاك كأنك ابنه
أحبّتك عشتار
وأحببتِ الشعوب
نستدعيك :
الشعوب كلها في سلالٍ من القش
ولا ماء
بل نار . . .

ب . «مُتُّ؟»

- موتي منخبوءً في المحيط
في المحيط جزيرة

في الجزيرة شجرة رمان
في جذر الرمانة صندوق
في الصندوق علة بهيئة يمامة
في العلة كتاب
في الكتاب كلمة ...
من يعرفها ويتفوه بها
يعرف متى أموت
لكن ، هيات
هيات ...

ج . د كانت الأرض دجاجة تبيض الذهب
ذبح الدجاجة وأكلها

د . التقدّم ،

أسرع أيها الثور الأسود

اضربوا وجهه بالملح

فطروا عينيه

واسألوه :

هل النفس في البدن أو البدن في النفس

أو

هل الشمس في الفضاء أو الفضاء في الشمس؟

لم تكن الأرض جرحاً

كانت جسداً

كيف يمكن السفر بين الجرح والجسد ،

كيف تمكن الإقامة؟

أخذ الجرح يتحول إلى كلماتٍ

والجسد يصيرُ سؤالاً

.. وانكسرت عشيةً طلعت من ساقها فراشةٌ

طلعَ من رأسها يرعمُ بلون الشهوة

أضفتُ عنصراً لعنصر

مزجتُ الورقةً بالجذع

الغصنَ بالعُطين

وقلتُ : من هنا يجيءُ المستقبل .

هكذا تنمو أشجارٌ تشبه البشر

ينمو بشرٌ يشبهون الغيم

وقلتُ : لي عرش صئين

لصئين سلطة الغيم

وأخذ يرنُّ كالجرس
والشمس وراءه عنزة شاردة .

كانت الشمس تستلرجني ويفويني ماءً فيها
قلت أنزل بين الأغصان في موسيقى التفاح والكرز
وجاء صوتٌ من جهة الكرز
ووفدت قمة صنين عاريةً

(صنينٌ جسدٌ يكسوه الغيم تعريه الريح)

ضعوا خشبةً
ليتقدّم ذلك الواقف
جلستُ أنظر
قمت مشيت حافياً تحت مطرٍ يضحكُ
والهواء قصبة تبكي
سميت الغصاء قدماً واتجهت نحو الطريق
«متى يبلغ العتبة» سمعت الريح تسأل الريح
«متى توضع الخشبة» سمعت الحجر يسأل الحجر
متى يخرج من اليوم
هذا الطالعُ كالعديدِ وأسماؤه النار؟

لماذا تشحبُ ، أيها العالم ، في عينيه؟

هل وجهه يُحيرُ ويُعشي؟

أنصدعُ

تشققُ ، أيها العالم ، وأهوَ

أنت الورقُ وهو الشرارة

والجنون يلغم أحشاه

غنى ، كما غنى أصدقاءه الصعاليك بين مكة ودمشق :

يدك ليست لك لتقبض عليه

عينك ليست لك ليراه

يسكنُ مكاناً غير منظور :

الحرية .

أنت تعتقلُ الوهم

وهو

هنيهةً هنيهةً

يعتقلُ الزمن

ويرميه في حوض كلماته .

هل الريح تهرم؟

هل يتخبط الأفق في بيت عنكبوت؟

كان صئین یسمع ویری

لم یتکلم تکلمتُ أشیاءه

حين سمعتُ سلامَ الحجر

هرولتُ وأخذتُ أرتطم بالحصى .

اتحنيتُ الملمه

سمعتُ غناءه في كفي

سمعت حنين شجرة يرتعش جذعها أمامي كالخوض .

قالت الشجرة : اقتربُ قالت قناعي : تباطأ

ورأيت صئین ینام في سحابة

وسرعان ما استيقظ

وبين عينيه أحلام تشبهت لي أنها أحلامي .

أحلام :

أ... «ينبجسُ مني ماءٌ يسقي شجرةَ رمانٍ تصيرُ امرأةً

تخرج إلى جانب البحر

معها غَزَلٌ

فيه عقدٌ تشبه السلم

قالت كلماتٍ وصعدت

كانت تضع قدميها في الخيط

وتصعد

حتى غابت» .

د... «سرتُ والمطرُ رذاذٌ بيني وبينه وميضٌ يشبه الصوت

كنت ألبس الأسود

كانت السماء تلبس الرماد

باريس برج إيفل كنيسة السان جرمان سرنا

باريس وأنا

كما تسير الغيوم في السماء

أنصهرنا باريس ، الغيوم وأنا

في عصفورٍ

جسده فضاءٌ

وجناحاه قوس قزح» .

و - فوجهٌ بكأها يبدأ سيرته الأولى (أهي قصّابين ، أم هي امرأة؟)

من المطر البريء يتجه نحو الماء الوحشي

عددت جسدي إلى نهرها

ارتجفت أسماكه

عرفت أن أحزاني خارج الضفاف

وليس لجلدي وسوسة .

حملتُ فقيري وعدت

نرداً يتدحرج على سلالم الوقت

عصفوراً يجمد في قبضة الريح

زهرةٌ تختلق بين الحجر والحجر

أصيره قدميك أيتها الدروب

الطفل يتعثر

وبين قدميه تحرنُ أحصنةُ الشوك .

ن - ركضتُ في منعطفٍ

تخطتُ بيدي خطأً جلستُ فيه أتمتم كلماتٍ

تعلمتها في طفولتي

عَشِيتني سحاباتُ سود

حجبت عني ما حولي

سمعت فيها أصواتاً

رأيت عظاماً تتناثر وتبكي
وسمعت شجرة تقول : هذه ليلة الوسوسة .

ي - «بشراً» أقترِب لأشرب
طلعت امرأة قالت بلهجة أمرة : تزوجني
تزوجتها ، وكانت ...
بعد هنيهة ، قالت :
سأعود حيث تركت نفسي .

من ... «وقفت يدي على رأسي تحمل فأساً
أخذت تهدمني كأنتي جدار
ثم جاءت يدي ينتني عضواً عضواً
وسمعت صوتاً : أنت الآن لا ينحجب شيء عنك
وخيل إليّ
أنني أدرج الظلمة بأصابعي
أراعي الشفق وأراعي جناحي
أبقى أياماً في حال الفناء
يغمرنني التراب
وينبت عليّ العشب» .

أ/أ - «جلست شمسي التي هي أيضاً شمس قاسيون

تقرأ الشعر قرب ضفة بردى

كثرت عليها الضفادع بأصواتهن

قالت : إما أن ترحلن

وإما أن أرحل

في الصباح لم

تبق ضفدعة

في النهار» .

د/د - «ليلاً

تخرج أمي إلى الهواء

تدعو القمر أو ما يشبه القمر

وتنام معه في فراش واحد» .

أحلم

كلمة تلفظني وألفظها

ويسكن كل منّا في طرف

أحلم

عادة في أصابعي

قشعيرة في قدمي

أحلم -

أنا الصخر يتدقق منه ماء يقول

أبكي من الفرح

أبكي من الحزن

أحلم -

أشطر الكون

أراه جانبياً وأستريح

لكنني لهبٌ وليس لي زوايا

أحلم -

لماذا أحلم دائماً أن أدخل في غير الممكن؟

الآن دمي شبيهة بالحلم ، أم لأنني الموت؟

رقعة من تاريخ سري للموت :

فَقَدَّ الْمَكَانَ وَالْأَثَرَ

يَكَادُ أَنْ يَفْقَدَ جَسَدَهُ

هو ، الآن ، رقيمٌ تنتفش عليه طلاس

كدييب التمل :

وأنتِ أيضاً ترفضينه أيتها اللغة؟

رقعة من شمس البهلول :
ليس الرأس في الرأس بل في السرة
غالباً يكون بين الساقين
أحياناً يذهب الشتاء ويبقى الصيف
يجيء الربيع ولا يجيء الزهر
أحياناً يكون أيلول الخريف أيار الصيف
من الهباء يرتفع جسر الشمس
من المطر تجيء جذور الوحل .

رقعة ثانية :
أعطيت لوجهك الصمت
لقدميك الكلام
لذلك اصطدمت بالجدران
واصطادك فخ
هيهات أن تُقلت منه ، هيهات . . .

رقعة ثالثة :
يلحق بالفضاء

يعيش عيشة الغيم
لأيامه رائحة لا يعرفها من ملائكة الجسد غير الطبع .

رقعة رابعة :

لأنه يقف مع الجذوة وهي تتلاشى
تسكنه نشوة الغاية
لأنه يستسلم إلى ما يراه
يجد نفسه دائماً خارج أسواره
يلبس حرّية التراب ويختار أعشابه
لأنه يعرف كيف يعري الشعاع جسد الوردة
يستطيع أن يكسوها
لأن جسده يوقظه
يتخذ الموت سريراً ويتوسّد الليل
لأنه يعيش مهجوراً
يعرف أن يتسجج بالضوء
ويقنع الريح أن تكون هندسته وأرقامه
لأنه يُدهش
ينتظر من يقتله مشدوهاً به
لأنه ينجح دائماً
يفشل دائماً

منثور
لكي لا يكون إلا طيفاً

منثور
لكي يستبق ويُقال :
خطواته ليست له .

رقعة خامسة :
ظنُّ أن الدائرة اكتملت
أنْ لهمومه قطباً آخر
لماذا تعجب ، بعده أيها الحزن؟

يعتذر إليك يا أبجدية
ويقول لا نعم لا
ويرتمي
بيسط راحة يده
يجلوها مرآة يحدق فيها
يسأله نفسه :

من أنت أيها السيد؟
من يقول لأذونيس من هو؟

رقعة من تاريخ سري للموت :

يسأل لا جواب ، فليكسر مرآة فرسي

مرآة فرسي ظلٌ كيف يكسر الظل؟

لكن ، حين سأل

عرف أن الإشكال أكثر إبانة من الإبانة

عرف أنه مكدودٌ بالفتنة مشبوبٌ لها

عرف طسم

عرف أنه المتأذى وأنه يتصرف

عرف أنه عادة ثانية وطبيعة خامسة وزمان رابع

لهذا

ولأشياء يرجع ذكرها

وصف نفسه أنه الشَّرَق

لهذا

ولأشياء نسيها

سكنَ في لغة الخطيئة

وأخذَ ينشر علم الشهوة

لهذا
ولأشياء لا يذكرها
نزع إلى الغن
ولا بس الحيرة .

من الرغبة والقصد
 ركبت ماهيتي
 مستقلاً ولي معين
 تاماً وبني نقص
 طالماً وبني غروب
 منظوماً وكلّي انتشار
 مقبولاً وما من أحدٍ إلا ويرفضني
 قريباً ولا علامة لي
 من الرغبة والقصد
 ركبت ماهيتي
 بعضي كلّي
 ظلامي نوري
 مهجوراً لا أستوحش
 موصولاً لا أستأنس
 أميناً ولا طمأنينة لي
 ملكاً ملكي اليأس .
 من الرغبة والقصد
 ركبت ماهيتي
 يقيناً وظناً في صحن واحد

تصريحاً ، وشهادتي الرمز
وقلت لعباداني أن تكون بحثاً
وأن تكون جسمانية
وأن أشخّزَ فيها
حيث يكون منقلبي
وأبلغ أقصاي

أكتب الأمور التي هي من جنس ما لا يكتب
والتي ليست من جهة العادة
ولا من جهة ما يذكر
ولا تكون أفكار
بل شغف
ولا تكون حاجات
بل هواجس ورغبات
حيث يكون من أسمائي
ما هو مُظهِر
وما هو مُضمّر
وما هو مُشْتَقٌّ لا يأخذُه الحصر

حم ، ألم
حيث أفرغ قلبي من أخبار الغير
أمحو الحدود
أقيم في المطالع
أغيب كثيراً أحضر قليلاً
لكي أحضر ولا أغيب
وتكون أشيائي مرموزة
ولست أنا من ينطق بها
بل
حم ، ألم
ولست أنا من يكتب

لا أكتب أهذي بحالي وشأني
أقول ما يغلب علي
وما يجذبني إليه جسدي

لا أكتب
أعلن تأويلاً لجسدي
وأغرق في خلافٍ معه
أو سوء تفاهمٍ

وأعلن شرايينيَ اعتراضاً للكتابة

لا أكتب

لماذا كلما أوضحتُ ازددتُ غموضاً؟

لا أكتب

أنا المرضُ والكتابة سريري

لا أكتب

أبتكرُ المباحجَ وأشياءَ اللثة

أقذفُ بأهدابي إلى الأمام

وأنسى ذكرياتي

لا خير لا شرَّ

لا شيء غير هذه الحركات الصعبة السهلة

البطيئة المسرعة

الحركات التي تشعّ من أعضائي

طينة واحدة كيفما شاءت

الخير شرٌّ بلونٍ أبيض

الشر خيرٌ بلونٍ أسود

ولكل كلمة جرّونٌ

فيه نستحيمٌ ونعيد

وأنسى وأصيحُ :

أنسوا تصيحوا

لا أكتب

أتحد بقشرة النهار

لأكون الصورة والشكل

لمعنى

هو الموت ، حقاً

لا أكتب

أتغير

أغير ما يغيرني

غموضاً ، حيث الغموض أن تحيا

وضوحاً ، حيث الوضوح أن تموت

لا أكتب

أستسلم كالطبيعة للخفر

أختبئ وراءه

وثنى تردّد

رغم احتمال أو شك

أستسلم للبشرة

الشكل

الصوت

أمتسلم
وأرجع المعنى

لا أكتب

أتناسل في غبطة جديدة
هي غبطة أن أعرف حين لا أعرف

لا أكتب

أختبرك أيها الجسد
الاحتمال ، الظل
الظاهر ، ما يلوح ، الأرجح
الهيئة
المسطح عمقياً
أيها الجسد - الماء
تنزل في مجراي تستقر
تصعد إلى محيطي ترسب
أصل إلى الحق فيك
أتحقق أن الجسد هو أيضاً حيث اللا جسد

لا أكتب
أختبرك أيها الجسد
أعيد العجّ أكرّر
أزن أحوالي بأنواع الكم والكيف
تحيلني إليك
أنت مرّة جمود أجزائي
أنت مرّة غليان أجزائي
هديانٌ يقول : الخبيرُ كله في مجرد الحياة
هديانٌ يسأل :
متى صَحَّ اللاجسدُ لكي أعول عليه؟
فشلتُ في نسبتي إلى الألف
متى تنتهي نسبتي إلى الياء؟

لا أكتب
حجبتني أيها الجسد بي
عجبتني مني
وكلما ازددت يقيناً أنّ جسدي أفة جسدي
تطّبتُ بهوائي
أتلهفُ عليّ بي
أرجع إليّ مني

لا اكتب

قلبي يلتوي عليّ
أجمع بينه وبين شفقتي وعينيّ
أستغيث
وأهينم أحشائي
وأعرف أنني لا أعلم
لكن ، من أين أتعلم؟
وأنتي أعلم
لكن ، كيف أتكلم؟
وأنتي لا أتكلم
لكن ، لِمَ وكيف أستسلم؟

لا اكتب

أتشوق إلى ما لست منه
أنتسب إلى ما ينفيني
أعلن النخبة راحة وأقول : اليأس أحرى
وكلُّ ما تبقى خزفٌ
والخزفُ شاهدي
يشهدُ فيّ
ويشهدُ بي

ويشهد عليّ

لا أكتب

أعاند نفسي كأنني عدوي
وأنتظر فاجئة الغيب
مثلك ، أيها العبر - الجسد

الجسد - العبر

أتناثر

أجد فيك ما أجد فيّ

بالأمرضوضاً

وسراً أكثر وضوحاً من العلانية

مثلك لا الإشارة تصدق

لا العبارة تتحقق

وكل مستقيم معوج

لا أكتب

أنا الفأس أحفر أنحائي

أنا الأرض - مكتوبة

أعرف ما أنتم فيه

ولا تعرفون ما أنا فيه
وكل شيء يحول بيني وبينني
بينني وبين ...

وزعمت نفسي
وصرت أحصن

حصن
بينني وبين ...

لا أكتب
أنا الخطر
بحر لا أتبع لا أقود
وأضل حتى نفسي

لا أكتب
أنا خطبك الأخصر، أيها الجنون
اقذفني في قعر الهاوية واستبقني
حيث لا يقين
لا شيء

حيث يُنْقَرِض ما كنت
يُنْدِرْس ما أنا
حيث اليباس في القمر النبع في القمر
حيث نتلايس و/ أو نتتاهب
أنا حرفك الأول
أنت كلامي الأقصى
وأعود من الهاوية
قميصاً آخر
أرتب أيامي بتخطيط آخر
لأشياء الشعر

لا أكتب
لماذا
كلما
أوضحت
ازددت
ضموضاً؟

أمحو وجهي - أكتشف وجهي
 أيتها الأبدية البائسة
 ماذا أستطيع بعد أن أحملك
 وأية غابة أزرع بك؟

أتخرجج ورامك
 أنا البجذر الوحشي

بين قلبي آسيا
 حيث تعبر أفراسُ لها أردافُ النساء
 وكواكب تقطر البخور والتوابل
 حيث السماء تمطر الجثث والآلهة

وأنتِ ، أيتها الأشلاء الباقية من أحلامنا
 تحومي حول صيوأتنا
 أجسادنا تُتوه العوفان
 وليس في أنقاضنا خير للمحيطات
 والآن أول البحر
 أنا الصارية ولا شيء يعلنوني

والآن أول الأرض .

(بيروت 1973-1975)

أحلم وأطيع آية الشمس

www.alkottob.com

www.alkottob.com

أحلم وأطيع آية الشمس آتياً في سديم الإشارات ، -

حدائق النحاس	من أين للملك الهرم
شمس تتدلى	أن يحمل القمر على
نذياً للرغبة ونذياً للمحزن	كفيه؟
فيض ينزل	ولم يجلس غان الخليلي
من دفاتر إملاء	على مقعد واحد
ملأى يبشر يكتبه جنون الأرجل	مع الحلم؟
في نسيان أكثر بهاء من التذكر ،	وما لسقوف الخشب
	في شارع الجمالية وشارع
	التوب الأحمر ،
	يكاد أن يفلتها النحاس؟

وفيما كنت أتكى على أنفاس المشاة وجلابيبهم ،
 كنت أعانق الظاهر لكي أجاور الخفي ، وأستسلم للواقع لكي ياخذني
 التخيل في انهيار جوفي في اضطراب تلف وتدمير ومن النمايات
 وصناديقها من الواح الألمنيوم وأدوات المعدن من البضائع وناقليها كانت
 تعلم مهممة تنهيك نسيجاً يطوف أو يضطجع في أسيرة

يحملها الهواء

رأيت الموت شاباً ،
واصنيت إلى أصوات
تكزز : الفكر أن تعلم ،
والحياة أرغن من الغبار ، -

خطواتي تعزف على أرغن الغبار ، والنخيول التي تُربط في منحيلتي تنطلق
في تيه أخضر ، - أكشف عن مسرحك ، أيها الواقع ، واصنعني كبحر يصنع
أمواجه /

المكان ليلة القدر ، -
أسفل مثقلة بالأعالي
ركباً تشجد لكي تلامس السماء
والوقت رغباً في جناح المكان وثقة انشراح
في حنجرته ،

أترك لإيزيس أن تفتح قميصك ، أيها الوقت
أترك لأصابعها أن ترتق هواءك الذي تنفتق أطرافه ، وأدخِلني في طقوسك ،
نحن شبيهان في الإثم ، -
الشهوة محيط والجسد أكثر مما يطيق الكلام ،
وها هو الفضاء سحر أبيض -

يكفي ، لكي تتأخر مع الدهر ،
أن تجلس على صفة النيل .

رأ ، أنت الآن غيرك وبقلبي تمشي
رأ ، حقاً المنيّة هي العجوزُ والحياةُ أهدياً عذراء ،
والسلامُ لهليوبوليسَ الكتابِ الجامعِ الجامعةِ الأمّ .

2

دروبٌ تنحدرُ من أعالي التاريخ تربطُ خوفو بالمعز ، وأسمعُ كلاماً يجيءُ
من أبي الهول : أنصبتُ في الجسدِ الواحدِ إلى تشاؤمِ الرأسِ
وتفاؤلِ القلبِ ،
وأمنسُ حيثُ الموتُ يخورُ يعطرُ الحياةَ .

إيزيسُ ، أتبعُ شعاعكِ ، ...
أنخرطُ في ملكِ ابنِ عربيٍّ لأتقنَ التسميةَ
وأسميكِ الأسماءَ كلها ،
الذيلُ يفتحُ لغتي ، وأنا لليومِ
لوتسُ وهدأ بژدي . ولستُ أخفي
الرأيةَ والحكايةَ ، بل الثديَ
والسرةَ ، وأحبي القفاحَ ، -
رأ ، لژدي شاهدُ أخضر :
اللغةُ لإيزيسَ والحروفُ لقاتموس .

وأقولُ : البيتُ
الذي نسكتهُ معكِ فكرةٌ لا حجر ، وأقولُ : باسمكِ لا عُمرَ لنا وباسمكِ
نلبسُ قميصَ الهواءِ .

أيها النيل الشَّيخُ النيلُ الطَّغُلُ ، مثلك أجمعُ إليَّ أقطاري مثلك أتخذُ من
 إيزيسَ والمتوسِّطِ حوضاً لطبيعتي ، مثلقياً رأسي في أحضانِ السرِّ ، -
 رأ ، الشمسُ ذاكرتُنَا ، وجذُرُ الأشرارِ لا يزالُ يتأصلُ وينمو
 رأ ، الكلمةُ بينَ يديكَ سفرٌ والوردةُ وطنُ
 رأ ، الزَّمنُ وراءَ ووجهك الأمامُ وكلُّ إِيَابِ ذَهَابِ .

3

لَنْ أقولَ توقُّفٌ للهَرَمِ الذي يتبعني إلى بابِ زويلة ، -
 لِمَاذَا يتمثلُ لي صبيّاً الشَّغْ يحملُ
 باقةً من البنفسجِ؟
 ولِمَاذَا يسبحُ مثلي في الغيبِ؟
 ليجلسَ إلى جانبي في المقهى ، ولتتكلَّمْ ، -

النَّيْلُ ، -

هاتئة
 تنموج
 الحيرة
 في استوله .

في جسدِ هذا التوتى بستانٌ ووردٌ تُسيِّجه التنهيدات
 وذلك الفَنَارُ حلمٌ يشتعلُ في أردافِ امرأةٍ حَبْلِي ،
 وظنني أن الحَبْرَ ، ممزوجاً بالتَّعْبِ ، أجملُ قاربٍ في هذا الموجِ
 وما هذا الماءُ الذي ينبدُ أوقيليا ويعشقُ هاملت؟

ميدان التحرير 1 ، -

شبحٌ يدبر طاحونَ ملكه بجدولٍ ينبعُ من عيونِ النساءِ
وللشمسِ بَشْرَةٌ عنكبوت .

الغرافة ، -

لا الموتُ ، بل هو الجسدُ يتمسحُ بين العتبية والشاهدية ، وثمة أشخاصٌ
يتجمهرون ، كلٌ يحملُ نَعشاً يتاديه يا سريري .
وكانت الشمسُ تُترجمُ نازها ، والطبيعةُ تُعري ثدييها
عصياناً يَحْتَشِدُ في أعضائي لا أعرفُ كيف أعالجه ، -
أهبطي يا ملائكة .

بين القصرين ، -

لن يكون القمرُ ، هذه المرة ، الوليُّ على الليل .

جامع السلطان حسن ، -

الحجرُ يروي إعجازه

إيقاعاً تتخاصمُ فيه اللحظات ،

نقشاً يدجنُ الشهب

من الأسنابل
يُتسجُّ برؤء التاريخ

أقواساً تجمع العُلْدَات
في أحجارِ قصائد ،
والنَّخَطُ يفهرسُ النَّظْرَ .

مَيْدَانُ الْحَسْتَيْنِ ، ...

مِنَ الْحَكْمَةِ أَنْ تَقْلُ غَرِيْباً
لِكَيْ تَدْخُلَ تَحْتَ قَبَةِ الْمَعْنَى ،
هَكَذَا تَلْبَسُ الْمَصَادِقَةَ ،
وَتَتَّصِلُ فِي ضَرْبَةِ الشُّرْدِ .

من الثَّقُوبِ وَالْحَقْرِ ،
تَخْرُجُ أَشْيَاءٌ لَا عَوِيَةَ لَهَا
تَكْرُزُ بِالْعَرَشِ .

الْقَلْعَةُ ، ...

بَشَرٌ يَكْبُرُونَ تَحْتَ النَّعَالِ طَمَعاً بِجَنَّةِ مَا ،
بَشَرٌ يَلْبَسُونَ السَّلَاسِلَ احْتِفَاءً بِالْمُسْتَقْبَلِ .

شَارِعُ الْمُعَزِّ ، ...

تَخْرُجُ عَرَبَاتٌ وَأَحْصِنَةٌ ، سِيُوفٌ وَتِيْجَانٌ تَتَلَّى عَلَى الْجُدْرَانِ ، أَوْ تَتَحَوَّلُ إِلَى
نَوَافِدِ ،
عِمَارَاتٌ تَنْقَلِبُ إِلَى سُرَادِقَاتٍ لِلْجَذْبِ وَالنَّبْذِ ،

أين يحفره الصمت في جسد القضاة
المهراز حاكم، الحاكم كرسي، والكرسي مقبرة... ولن يدهشك هذا
التحول إن كنت تعرف عتبات التاريخ .

قبة قلاوون ، -

التاريخ حزمة من القش
وئمة أنفاس تحوم حول شجرة العمر كمثل أخصان عارية لا تقدر أن تحتفل
إلا بطائر الليل .

ميدان التحرير 2 ، -

خطوات تتوالد من هديان الحكمة ،
قلوب تنبض كملايين الأجنحة في غابة بلا نخوم .

الأهرام ، -

وقد عرفناهم وفلكيين يتقدمهم فيثاغورس في ضيافة أبي الهول
نجوم تخلع سراويلها لكي تستلقي بين ذراعي أحنائون
جنود يعصون القيصر ويمجدون كليوباتره ، -
لكن ، ما هذا الحشد الذي يقتل طه حسين وعلي عبد الرازق؟

ولماذا يشيخ كل شيء والجديد الكرسي والمائدة؟
يا، إليك اعترافي: السماء للشرطي.
هل ستذكّرني بعد أيها الحاضر؟ إذن، لك أن تقول: عاش خاتماً
وبيته الألق.

الأزهر، -
أعشق هذا اللطف - الهواء الذي يهب من شرفات الحاكم،
ولن أسأل: هل كان يحكم بأمر نفسه، أم كانت روح الله تعرف على
جبينه؟

باب زويلة، -

قليلاً ويأخذ رأسك السيف الصديق،
يكفي أن تنظر إلى الرأس كما تنظر إلى قمره.
تاريخ تحفظه ذاكرة للهواء
وتكتبه أسلام لا تاريخ لها
في إقليم يحرسه الغياب.

كافور، -

المعدة في الرأس والكتف تحت الخاصرة،
النهار والليل يغيبان ويحضران لا يذنب من الطبيعة، بل يذنب من الطبع،
وأراقب شاعراً يموت في جسدي، وتعرفون من هو.
فجأة مدينة الموتى، -

الحياة والموت صديقان يلعبان النرد ،
 ومثني مثني ، تسقط النجوم شاحبة حول قبور العشاق
 الموت ياقّة وكَم ، ودغدغة تحت الإبط . تماثيل تنهض كل
 ليلة تتجوّل اختفاء بموتها الحي . موت / شهيق بين الحياة
 والحياة . وتلك القبعات التي تعجب وتخفي والتي لم يرها
 إنسان بعد ، رأيتها بأم عيني في مدينة الموتى لكن شهرزاد
 نفسها لم تصدّق . أحياء موتى ، أحياء ، - أحياء بالموت .
 مهلاً في آية خلوية تتحرك الآن؟

أشراب
 حنم
 تستحم
 في ماء
 الموت

مدينة الموتى ، - ابتكر أجنحة لا لكي تطير ، بل لكي
 تمسح هباء
 السماوات .
 هكذا انسلت من لعنة الرأس إلى نعمة القلب ،

قمر
 بوصف
 من وراء
 شاهدة امرأة

أصغى إلى نريف يتدفق من غياب كان قد سقاني إكسیره . أصغى إلى
 مساكن تكتحل كل فجبر بأشراب الورد ، ولا فرق فيها بين حي وميت إلا
 بالوقت . أصريح هذا أم بيت؟ ولم القبر أكثر أبهة من المنزل؟ وما الفرق بين
 الجسد والظل ، بين العتبة والشاهدة؟ وما هذه السماء المرصوفة؟

موت يغرى ، يعجوع ، يتسول . وله عذابه وأوجاعه . وله أن يُنزّه
 يديه في رقعة اللعب . وله أن يرعى الحياة ويسهر عليها . وربما وشوش ، -

ليست الحياة في الجسد ، بل في الحجر ، وليس الحجر إلا حيمم بركان
اسمه النائمون تحت التراب . وكل حي مبطن بميت ، وكل ميت لباس
لحي . يا للموت - الخنثى / بالمدينة الموتى ، - أقرب جنة لأقرب طريق
نحو أقرب جحيم .

كيف أوجد بين طبقات تاريخ يجري من سرة إيزيس إلى سرير شجرة الفرس؟
هل يكفي ماء النيل لكي أصنع هذه العجينة؟ هل أحتاج إلى مريم نخلي
يلام فتوق الطبع؟ هل يكفي أن أترك القمر يستولي على طبايعي؟ وهل علي
أن أقول للخبير: ثرائها البخار وتوج رأس التاريخ .

4

«جلوسهم على التراب» / «أميرهم كواحد منهم» - أفسح لعمرو يا مقوقس .
ابتهجني ، إيزيس ، بالتحول . منفس والفسطاط بيت واحد ، والنيل أح
لترزم - وأنت ، يا شجرة الجميز ، شجرة العذراء ، انحنيني من جديد فوق
النبع وكوني الغطاء لطفل يستحم ، -

الألوان ثياب تتجدد ، والكائن هو هو .

لكن ، ما هذا الليل الذي تُقتل فيه النجوم . وما للوتس يكاد أن يذبل في
سرير إيزيس . أهي تمر لا ينضج هذه الإقامة على الأرض؟

وللهواء الذي تَتَنَسَّقُهُ طعمٌ ليسَ في الشرابِ ، وليسَ في العاءِ والملحِ . كأنَّ
الحياةَ مائلةً والضوءَ يحتزلُ صديقهَ الفجرِ .

وتلك هي نِعْمَتِي - أنتي أعاشيرِ الكارثةِ وأنَّ للتاريخِ بيوضاً حائرةً تختبئُ بين
أوراقِي . الذرةُ تبتكرُ الحامسةَ والأدمغةَ والمقابرَ ، وأنا كمنْ يعيشُ في عصرِ
من الهشيمِ ، وفي أذنيه هديرُ الحَجَرِ وعصره ، -
الآخرةُ متاعٌ للدنيا ، والإنسانُ دودٌ على عودِ .

كلاً ، لستَ أيُّها الوجهُ إلا قناعاً ، -

هلْ يجري نَهْرُ التاريخِ مُعاكِساً نَهْرَ الأيامِ؟ هلْ لِلنَّهَارِ
هُوَ الآخرُ باطنٌ وظاهرٌ؟ ولماذا القَصيرُ في الذَّمِّن طویلٌ في
الجسدِ ، والقَصيرُ في الجسدِ طویلٌ في الذَّمِّن؟ ألهذا
سُمِّيتَ الشَّيخُ ، أيُّها الزَّمَنُ ، وأنتَ في المهدِّ؟

إذ أفهمُ هذه التحوُّلاتِ وأسمعُ محالها ، أنشغلُ بِشَمِّ الحياةِ ورشفيها ،

باحتضانها وتقبيلِ قدميها . أنصحُ عَمَّا أزواجُ بينه وبين
دَمِي وعَمَّا يلتبسُ بأجزائي . أتعلِّمُ حلاوةَ الدَّيبِ وغزلَ العقلِ
وعِزَّ المُجَاهرةِ . أنبذُ أسفاراً حَجِرَ الكلامِ الذي يسكنُ فيها ،
وأخذَ يَخْتَنِقُ حَرْفاً حَرْفاً . وأقولُ : فلاكُنْ قوساً تصلُ بينَ
نُسخِ المدينةِ ورأسِها ، وبينَ إثرةِ الدَّمِ وخيوطِ المَجْرَاتِ ، قوساً

تُطَلِّقُ سَهَاماً لِنَسِيَانٍ هُوَ وَحَدَهُ الذَّاكِرَةُ ،
ثُمَّ يَطِيبُ أَنْ أُخْتَرِقَ نَوَاةَ التَّارِيخِ وَأَبْدَلَ عِطْرَ الْأَشْيَاءِ ،
مُتَفَوِّهاً بِاسْمِ الْقَاهِرَةِ كَأَنِّي أَتَحَدَّثُ مَعَ الْحُبِّ وَرَحِيقِهِ الْأَوَّلِ .

ما هذا الفرح ،
ومن أين جاء
إِنهَا نَفْرَتِي : «أنا الشمسُ ، وربما تعرّفت عليّ في يَمَامَةٍ» يتشبه أحزاني؟

وَيَمَامَةٌ رَاقِدُونَ تَحْتَ أَحْزَانِهِمْ فِي مَا يُشْبِهُ الْغَضَبِ ، فِي مَلَكُوتِ أَوْهَامٍ
وَهَوَاجِسٍ .

الضَّوءُ نَفْسُهُ يَعْرُجُ ، أَوْ هَكَذَا شُبِّهَ لِي . وَأَسْمَعُ الْفَجَرَ يَتَسَاءَلُ : كَيْفَ أَوْاصِلُ
شُرُوقِي؟ وَقُلُّ مَنْ الْجَالِسُونَ حَوْلَ مَائِدَةِ الْوَعْدِ ، وَالشَّمْسُ تَقْرَعُ أَسْنَانَهَا حَوْلَ
أَذَانِهِمْ؟ سَيْفٌ عَلَى لِسَانِي ، رُمُحٌ بَيْنَ عَيْنِي . أَهْوَى نَلْجُ التَّارِيخَ يَنْهَمِرُ
عَلَى كَشْفِي؟ أَهِيَ أَفْرَانُ الذِّكْرَى تَتَأَجَّجُ؟ وَهَلْ مَسْتَمَطِرُ السَّمَاءِ عَسْكَرًا
وَشَيَاطِينًا؟

أَقُولُ وَقَوْلِي رِسَالَةٌ . ثُمَّ الْوَدُّ بِالنَّيْلِ ، مُصَغِّياً إِلَى صَفْتِهِ ... عَالِياً ، كَأَنَّهُ نَشِيدُ
لِغَةِ لَا تُسْمَى .

5

أَحْلَمُ وَأَطِيعُ آيَةَ الشَّمْسِ ، -
لَا الرَّأْوَنْدُ لَا شَرَابُ الْأَتْرَجِ لَا مَاءُ الْوَرْدِ

الحية

«ياخذُ جلدَها يحرقُه ويبخرُ أخواله» - في قبابٍ في مقاصيرٍ في
نواقدٍ

في أفساريزٍ في خلواتٍ في تكايا في نقوشٍ في أشكالٍ ثلاثيةٍ
مربعةٍ

خماسيةٍ مثمانيةٍ أسطوانيةٍ
في زهرةٍ كتانٍ ينسبُ القمرُ ويخرجُ من المشهدِ ، -

كرسيٌ يجلسُ فوقه الصراخُ ، - /... يجلسُ الشمسَ في قنمِ أساور
الرايةُ هي الرايةُ ، واليومُ الذي يصلُ لكي يتحدثُ مع المطر
لا يحملُ إلا الجُوعَ .

سيتي زينب سيدي الشافعي سيدي البدوي
أنوارٌ تنطبعُ فيها الصورُ

لا تقعُ في شبكةِ الشهوةِ

لا تقتلُ عقلكَ

لا تشربُ خمرَ العقلةِ

عُدْ إلي صيبكُ عن أبيها القديسُ الشيخ
صوتي خزائنُ والكلامُ يعمرُ خزائنَ أخرى /... يفرغُ نفسه
لكي يمتلئَ بملاكِ أنسٍ .

كلامٌ

ينزلُ على ناقةٍ من النور
من ثقل الكلام ، يتدلَّى بطنُ الناقةِ حتى يلامِسَ الأرضَ .

اركبْ يا عسلاً

خُذْ نَسْرًا وَنَطًّا وَدِيكًا وَطَاوُوسًا قَطِّعْهَا وَخَلِّطْهَا اجْعَلْ فِي كُلِّ نَاحِيَةٍ
جِزَاءً مِنْ هَذَا الْخَلِيطِ وَأَتْرِكْ مَنَاقِيرَهَا بَيْنَ أَصَابِعِكَ أَدْعُ كَلًّا مِنْهَا
بِاسْمِهِ وَضَعْ أَمَامَهُ حَبًّا وَمَاءً أَنْظِرْ... هَا هِيَ الْأَجْزَاءُ تَتَطَايَرُ بَعْضُهَا
إِلَى بَعْضٍ وَالْأَبْدَانُ تَسْتَوِي أَدْعُ الْآنَ تِلْكَ السَّمَاءَ لِتَأْمَرَ كُلَّ بَدَنِ أَنْ
يَنْضَمَّ إِلَى رَقَبَتِهِ وَرَأْسِهِ وَأَتْرِكْ لَهَا أَنْ تُعْطِيَ لِكُلِّ مَنَقَارَةٍ وَأَنْظِرْ... هَا هِيَ
مِنْ جَدِيدٍ تَأْكُلُ الْحَبَّ وَتَشْرَبُ الْمِيَاءَ

حَوْلَ

شَجَرَةٌ تَحْمَلُ الْقَمَحَ وَالْعَنَبَ الْعُنَابَ وَالْتِّينَ وَبَقِيَّةَ الشَّمَارِ اقْطَعْ مَا
شِئْتَ مِنْهَا تَقْطَعُ رَدْفَ السَّمَاءِ

كَلِّبَ الْهَيْهْدُ وَصَدَقَتِ الْحَيَّةُ

... (غريباً يُضَيِّفُ إِلَى الْكَوَاكِبِ اللَّوْبِيَاءِ ، وَإِلَى الْبُرَاقِ عَصَا مُوسَى)
وَفِي كُلِّ زَاوِيَةٍ ، يَجْلِسُ الزَّمَنُ كَشَيْخٍ لَا يَنْطَلِقُ إِلَّا رَمْزًا ،

وَأَنَا

يَسْتَوْلِي الْقَمَرُ عَلَى طِبَاعِي

وَقَلْبِي يَتَخَلَّجُ فِي جَوْفِي ، -
فَتَرِي عَطْرَكَ وَأَغْمِسِينِي فِيهِ ، الْبَسِينِي وَاعْتَقِلِي أَوْصَالِي
مَرْمُوزَاتُ الدُّنْيَا هَارِيَةٌ
وَالْأَشْيَاءُ نُبُوْعَاتُ خَرْمَاءِ

وَأَحْتَفِلُ بِكَ ، يَا مَدِينَتِي ، بِكُلِّ مَا لَكَ وَفِيكَ وَعِنَّاكَ وَمِنَّاكَ وَإِيَّاكَ
أَحْتَفِلُ وَأَقُولُ لِلْأَزْمَنَةِ كُونِي لَيْلَةَ الْغَطَّاسِ لِكُلِّ لَيْلٍ -

«أَسْرَجَ مِنْ جَانِبِ الْجَزِيرَةِ وَمِنْ جَانِبِ الْفُسْطَاطِ
الْفَا مِشْعَلُ

غَيْرَ مَا أَسْرَجَ أَهْلُ مِصْرَ :

آلَافٌ مِنَ النَّاسِ ، مُسْلِمِينَ وَنَصَارَى ، فِي زَوَارِقَ ، فِي

دُورٍ تُجَاوِزُ النَّيْلَ ، عَلَى الشَّطُوطِ

لَا يَتَنَاقَرُونَ الْحَضُورَ ،

أَظْهَرُوا كُلَّ مَا أَمَكْنَهُمْ

مِنَ الْمَأْكَلِ وَالْمَشَارِبِ وَالْمَلَابِسِ مِنَ آلَاتِ

الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ مِنَ الْجَوَاهِرِ

مِنَ الْمَلَاهِي وَالْعَرَفِ وَالرَّقْصِ

إِنَّمَا أَحْسَنُ لَيْلَةٍ تَكُونُ فِي مِصْرَ وَأَسْمَأُهَا شُرُوراً

لَا تُغْلَقُ بِهَا الدُّرُوبُ

يَغْطِسُ أَكْثَرُهُمْ فِي النَّيْلِ

ويقولون إنه أمانٌ من المرض . . . (المسعودي : مروج الذهب)

ولم يكن مكاناً لكافور

ولم يكن أحدٌ حارساً على الهواء ، -

أوه . . ما هذا العالمُ الذي نفتحوا بين ساقيه الزئبق

جمّدار أمير شكار جوكندار إستادار

جمّقدار بشمقدار

طبولٌ أبواقٌ مزامير

.. ما رأيك في هذا العالم أيتها الخنفساء؟

.. ما تقول في حظوظنا ، أيها النسور؟

الآفة من فوق ، -

والتاريخُ غيومٌ تضحكُ في سماءٍ تجرّها الريح .

6

بين هيرودوت وشامبليون ، بين الإسكندر ونابليون ، تُرخي مصرٌ جداولها
على كتفي المتوسط ، - تمنعُ وجهها لحكمة الريح ، وتقرأ مسيرة الموج /

وفي الشوارع التي تهاجر بين الماضي والماضي ، كنتُ أواكبُ سرادقات
تصلُ القلاعَ بالقلاع ، السيفَ بالسيف ، الخيالَ بالخيال :
محاربون فرسانٌ - قرمزٌ وأرجوان ، يخرجون ، بعدَ استنخارة الشافعي ،
ويدخلون ، يأتون ويذهبون بين القرافة والمقطم ، عربٌ ، يونانٌ ، يهودٌ ، أتراكٌ
طولونيون ، إخشيديون ، أيوبيون ، سراكسة ، أكرادٌ ، بزير - يتراؤون كمثل
تقاطع في وجه القاهرة في وقتٍ - كرسيٌ من الزئبق وكلٌ يمضغ البلادَ
بأسنانٍ الآخر في حُمى سلطانٍ في رقائِق
من الفضة والذهب ،

ومن السقوف تسقطُ ملائكةُ بزير الجنود

وفي الأزقة حيثُ كانتُ تتراءى أطرافُ تدخلُ معنا في حوارٍ ، كنا نسمع
نقر رحو يكرر : «جفت الحقولُ ، فاضتِ الفصائبُ ، زاد الموظفون» ، ونسأل
أبي أفر السؤالَ نفسه : أيها الحكيمُ ، أين من يُقال عنه : «يرعى الناسَ
جميعاً ولا شرَّ في قلبه» ؟

وما رأيك في القول : «لا يزالُ الناسُ بخير ما تغاوتوا ، فإذا تغاروا هلكوا» /
ثم يشبهُ لسمعنا صوتَ المتنبّي ونضيفُ أصواتنا :

أف لهذا التاريخ الذي يكسونا . تاريخٌ كمثلِ أصلعٍ مأخوذٍ بجمع الأمشاطِ .
ونكرر : أف لمن يكتبه ، - إنه كمن يذبحُ دجاجةً مؤكداً أنها غزالةٌ . وكنا
نشدُ

بصوت واحد : ماوى لمن تشرد ، سلام لمن هزم . ونرى إلى الجنود يطلعون
من الشقوق والأنقاض في قطع الزجاج والفخار والنقود في أشلاء النقوش
والقناديل ، ثم يرتفعون أسواراً بمهاميز من فولاذ ، وتروس من الحديد .
وكانت أحصيتهم أقواساً ، وفوقها يد الشمس ترقص اللجم . وفي حقل
السماء ، كانت أجسام كوكبية ترقص بيضاء كأرانب حقلنا ، حيث كانت
الشمس تُخاصم ظلي ،

أجسام كوكبية

تنبت حولها أسنة وأنياب ، تحتفي يولادات أخرى تحت براقع وعباءات /
توقفت
أنت آيتها الطيف وأبتسم لهذه الطبيعة غير الميتة ، توقفت والتقط لصخرائك
ثمر ما ، -

واليقين أن أنفاسنا تنصاهد عالية متحدة بقرص الشمس . واليقين أننا
نرى هاروت وماروت يتكشان على عصا موسى في العنبرية وأم الغلام ، وليس
السحرة غرباء عن ذلك الذئبان الذي يطلع من مباخر غير مرئية ونقرأ
فيه : «خير نسائك السواجر الخلابات»

هاتي يدك أيتها العاشقة . الشمس هنا لا تشحب ، (وأحب أن أحيا
شعاباً بين العشاق على أن أموت أميراً بين الموتى)

... / وأخذنا نطلق في قضاء القاهرة يمامات بعد أن نعطرها بالمسك وماء الورد .

شهرزاد على قدميك تُرقرفُ يمامة من ليل إيزيس .

إلي ، سيدتي ، حكيمة أنت ، وأسست لحكمة الأرض . انظري في عيني .
اليسنا أكثر نفاذاً من الضوء؟ قولي ألا ترين فيهما سفراً نحوك إليك ،

حيث أبناؤك يستسقون ، يهيتون محاربتهم لكي يقرؤوا المطر إلى حقولهم ،
يهيئون حقولهم لكي تتسع لبيوتهم ، يهيتون بيوتهم لكي تتسع للأساطير ،
يهيئون

الأساطير لكي تتسع لك ،

إلي سيدتي ، وعهداً لإيزيس : سيخرج من حنجرتي نيل آخر يخرج على
سأطة الغيم .

7

انتبه! يمكنُ زهرة من الكلام أن تُخفي غابة من القتلى
تعلّم! طاعة الموت تستلزم فوضى الحياة
فكروا الإنسان نتاج ... لا من الطين لا من القردة ، بل من الخبز ، احشائك ،
الزمن يتوه
أحصنته في

وَلَيْسَتْ الْحَقِيقَةُ بَيْنَ الْأَذْنَيْنِ ، بَلْ بَيْنَ الْفُجْهَيْنِ ، -

مِيدَانُ الْحُسَيْنِ ، -

صَوْتِي غِبَارٌ وَالزَّمَنُ أَكْدَاسُ حَطَبٍ ، وَلَا نَارَ

فِي خُطَوَاتِي . وَأَسْمَعُ فِي حَيِّ أُمِّ الْغُلَامِ زَفِيرَ الْعَالَمِ ، -

سَاحَةُ الْحُسَيْنِ ، - تَعْتَلِقُ يَدَايَ بِالْأَيْدِي ،

رَأْسِي وَطَنٌ وَقَلْبِي مُعْصُولٌ فِي لَحَظَاتِ تَبْتِكِرِ غُيُومِهَا تَبْتِكِرُ النَّارَ

الْأُولَى فِي حُبِّ

طُوفَانِ وَالْأَرْضُ لَا تَتَّسِعُ السَّمَاءُ كُلُّهَا تَنْزِلُ عَلَيَّ شَفْتِي

- شِمَالُكَ يَا وَكَلْدًا يَمِينُكَ يَا مَيْتًا افْتَحْ عَيْنَكَ يَا عَمًّا

حَمْدًا لِهَذَا الْعَالَمِ ، - عِنْدَهُ مِنَ الْأَرْضِ صَبْرُهَا

وَعِنْدَهُ مِنَ النَّيْلِ أَحْضَانُهُ .

ماذا يقدر

أن يفعل

رأس كلمة

يتذخر في قرب

رأس الحسين؟

... وكسنت أهداب خان الخليلي تكبر وهي تنظر إلينا ،

فيما يرسم حي الحسين طبيعة من خلائق تندرج في آيايل

الشكل . فجأة ، ينبجس شيء ما . أوه -

لم يكن الوثن يوماً في مثل هذه الألوهة . عفوك نفرتيني ، -

لا يزال الشمر مجهول كيف يخصد القمح الذي زرع فيك ،

ماذا يعني

عصر بيوتك

الكلام؟

عَفْوِ الْأُنثَى الَّتِي تَهْبِطُ عَلَيْنَا مِنْ قُبَّةِ بِنْتِهَا بِجَسَدِهَا وَتَهْبِطُ
مَعَهَا نَارٌ أَعْلَى مِنَ الْهَرَمِ ، - وَاشْتَعِلَ سَلَاماً أَيُّهَا الرَّفِيقُ
الْعَاشِقُ ، وَابْتَهَجِي أَنْتِ الْمَأْخُوذَةُ بِغَسَلِ السَّرَاوِيلِ . وَالشُّكْرُ
لِلْمَنَادِيلِ الَّتِي رَافَقَتْ تَوَمَّنَا وَتَحَوَّلَتْ إِلَى كِتَابٍ وَدَفَاتِرٍ .

ماذا يعني
رجالٌ يَنْفَخُونَ
في زجاج
فكري؟

تَسِيرٌ وَتَسْمَعُ فِي الْعُقْبَارِ وَقَعَ الْخَطَوَاتِ الَّتِي سَبَقَتْكَ . كَيْفَ
يُمْكِنُ لِمَنْ يَتَحَدَّرُ مِنْ دَمِ الْحُسَيْنِ أَنْ يُعْطِيَ رَأْسَهُ لغير
الْحَلْمِ؟ آه ، نِفْرَتَارِي ، - لَوْ رَأَيْتَ عَيْنِي تِلْكَ الطِّفْلَةَ الَّتِي تَبِيعُ
أَيَّامَهَا عِنْدَ مَسْجِدِ الْحُسَيْنِ ، لَتَقَدَّمْتَ نَحْوَهَا وَقَدَّمْتَ
أَصْحِيَابَكَ .

وَسَبَّهَ لِي أَنْ الرُّوحَ تَسِيرُ فِي حَيٍّ أَمِ الْغُلَامِ ، كَمِثْلِ امْرَأَةٍ
مُحِبَّةٍ . كُنْتُ أَلْمَحُّ عَلَى جِدْرَانٍ يَتَفَيَّأُ الزَّمَنَ شَقِيقَهَا عِيوناً
تَخْرُجُ مِنْهَا أَطْيَافٌ تَسِيرُ بِأَقْدَامِ أَطْفَالٍ . كُنْتُ أَرَى أَشْخَاصاً
اتَّقَنُوا لَعِبَةَ الْأَرَاجِيحِ لِأَنَّهُمْ دَائِماً فَوْقَ الْهَآوِيَةِ . وَلَيْسُوا بِحَاجَةٍ
إِلَى التَّجْوِمِ ، لِأَنَّ لَدَيْهِمْ فَجْراً آخِراً قَبْلَ الْفَجْرِ . كُنْتُ أَرَى
أَشْخَاصاً تَتَعَبُّ أَجْسَادَهُمْ لَكِنَ أَفْكَارَهُمْ هِيَ الَّتِي تَرْتَشِّحُ
عَرْقاً . كُنْتُ أَرَى أَشْخَاصاً لَا يَنَامُونَ اللَّيْلَ إِلَّا بَيْنَ أَهْدَابِهِمْ .
وَكَنْتُ أَرَى عَثَبَاتٍ لَا تُرَى نُقُشَ عَلَيْهَا :

كيف تتبأ
وانت في
المحرقة؟

«أَيُّهَا الْعَايِرُ ، هَلْ تَعْرِفُ كَلِمَةَ السَّرِّ لِلدَّخُولِ إِلَى نَفْسِكَ؟»

أفكار تجرّها المأذنُ - في مساجد قديمة الرأس ، حديثة الرُكبة -
في مدينة وُلدت مع الماء - في مساجد - أسوار لا تعتمدُ إلا على أنفاسِ
تَرْتَفِعُ أعمدة يُقالُ إنها آهاتُ المصلّين - في أفقٍ : كل شيء فيه فقد
وظيفته ، ولا يزال

كل شيء يجلسُ حيثُ هو - بين جُدرانٍ : ليكلّ جدارٍ وجهان مثل جاثوس ،
في بلادٍ بوجوه لا تُخصى - في تاريخ أوثانٍ : أقدم لك أيها الخالقُ الذكْرُ
ذبيحة أنثى ، وغفرانك إن لم تقدّر أن تهضمها - في عالم لست أنت
الغفير إليه ، بل هو الغفير إليك - في نظام ، كثيراً كان الإنسان فيه كُرسياً
للإنسان - في

تاريخ يأكلُ بيدِ الموتِ - في عصرٍ يجلسُ إلى مائدة الحاضر ويقتلُ
على غنيمة الغابر ، ولا ملجأ لأهل غير تلك الشعوب التي يخفرونها في
حظيرة الذاكرة ،

أجسادهم في إقليم ورؤوسهم في إقليم ، والكونُ ورقة ، لا قرار له ولا عمق -
في مقاصير تطوف حولها نساء لكلّ منهن رفيق أعلى ، وكلّ منهن تعقلُ
بأسمه الليل بين فخذيهما - في سديم يرقدُ الشرق والغرب فيه على وسادةٍ
واحدة ، - حول

هيكل هودج يغطيه كشمير أزرق ، واللحظات أنابيبٌ يخرج منها دخانُ
الملائكة - في أعشابٍ يستقطر منها إكسير القرائح ، حيث تُقبلُ الجوامع
وجهَ الفضاء وتفتقُ المأذن ثيابه ، -

وأنت يا صديقي المصلي ، -

رجاء لا تخفض رأسك ، لئلا يسقط الأفق .

أذكرُ ، لي موعدٌ مع سقيفةِ ذلك الجحيم ،
أذكرُ ، الموتُ يُوقظُ ملائكةَ شيوخاً في زوايا هذا المسجد ،
أذكرُ ، الموتُ يسكّرُ ويكتبُ على شاطئ النّيلِ مازجاً قطنَ المساءِ بِكَيِّتَانِ
الفجرِ ،

أذكرُ ، الموتُ يَضَعُ مقاعِدَ كأنها رسومٌ سقنِ على صَفْحَةِ النّيلِ من أجلِ
زوّارِ يسكنون

في أشعةِ الشمسِ ،

أذكرُ ، الموتُ وراءَ الهرمِ أمامه ، لكنّ الأحياءَ سَحَابٌ والموتى قَمَحٌ
أذكرُ ، كان خَوْفُو يَتَسِيمِ ، كأنه لا يزالُ يُروِّضُ الموتَ ، أو كأنّ الموتَ فراشةٌ
ترفرف على قنديلِهِ .

يُومِنُ لي بابٌ ذاهِبٌ إليه أخذُ اللذّةِ أضلّ جسدّها داخلًا فيها خارجاً مني
ويكونُ اسمُنا المكانَ ثَمّةً هنا الآن السّاعةَ اليومَ إيلافاً لتاريخ لا يكتبه القتل
لحاكمٍ مَحْكُومٍ بالحَبِّ مَوْقِطاً في دَمِي الطّينِ ، ما قبلَ تاريخهِ إيقاعَ الأنهارِ
الغاباتِ المَدَنُ الغناءِ الأسطورةَ العَظْمُ الضياعِ في أسرةِ أترعِ أعناقِ أسهرٍ في
موجةِ أنامٍ في وردةِ مُصنِياً /

وأصرفُ وَجْهِي عن بلادِ غدا بها

لِسَانِي مَعْقُولًا وَقَلْبِي مَغْفَلًا
وَجَدْتُ بِهَا قَوْمٌ سِوَايَ فَصَادَفُوا
بِهَا الصَّنْعَ أَحْسَى وَالزَّمَانَ مَغْفَلًا»
(أبو تمام)

«وَلَا أُعَاشِرُ مِنْ أَمَلَاكِهِمْ مَلَكًا
إِلَّا أَحَقُّ بِضَرْبِ الرَّأْسِ مِنْ وَثَنِ»
(المتنبي)

«ضَاقَتْ عَلَيَّ نَوَاحِيهَا فَمَا قَدَّرْتُ
عَلَى الْإِنَاخَةِ فِي سَاحَاتِهَا الْقَبِيلُ»
(العقيلي)

إلى أحدِ أسمائي ، -
أنقح كتابَ الحكمة العربية وأنبش من أجل ذلك منخطوطاتِ الأشعور
إلى آخر من أسمائي ، أكاد أنساه ، - من سيفهم أنني أعيش في جناحي
يمامة وأطير في فتح؟

هكذا أكتب القاهرة مكتوباً بها ، مُعْطِياً لِكِتْفِي أَحْرَانَهَا . وَمِنْ هَذِهِ الْوَرَقَةِ
الَّتِي أَمْسِكُ بِهَا الْآنَ ، تَخْرُجُ نَفْرَتَارِي فِي يَدَيَّ قَرِيْبَانِ وَبَيْنَ نَهْدِيْهَا زَهْرَةٌ
لَوْتَسٍ ، وَأَسْمَعُ شِغْرِي يُوشِوشُنِي : لَا أُرِيدُ أَنْ أَنْتَصِرَ بَعْدَ الْآنَ ، لَقَدْ
شَبَّخْتَنِي أَنْتِصَارَاتِي .

ثُمَّ أَنْطَلِقُ مَعَ أَشْبَاحٍ تَنْطَلِقُ مَعَ اللَّيْلِ تَسْهَرُ فِي الشَّوَارِعِ تَتَمَدَّدُ بَيْنَ الْعَيْنِ
وَالْعَيْنِ أَحْصَاداً وَدَعَاً خَوَاتِمَ رُسُوماً مَرَايَا جَدَائِلَ عَقُوداً أَرْوَقَةً
قَنَاطِرَ غُرْفاً مَوَائِدَ قَوَارِيرَ حَشْدَ أَقْلَامٍ وَمَحَابِرَ الْغَازِ وَرَقٍ وَحَبِيرٍ ،

وَتَلْكَ هِيَ الْأَبْدِيَّةُ تَتَوَسَّدُ أَحْنَاقَ الْكَلِمَاتِ .

أَشْبَاحٌ / وَطَنٌ تَحْتَ بَشْرَةِ الزَّمَنِ - زَنْبِيلٌ ، يَحْمِلُهُ مَاءُ النَّيْلِ تُوَلِّدُ فِيهِ
السَّمَاءَ . مَا أَكْرَمَكَ آيَتُهَا الْقَاهِرَةُ ، ابْتِكْرِي وَارْمُزِي : هَذَا عَمَلُكَ .

رَأْسِي جَدِيدٌ وَأَخَافُ أَنْ أَقُولَ مَا أَقُولُ . . . مَعَ ذَلِكَ : السَّمَاءُ هُنَا امْرَأَةٌ ... مِرْآةٌ
لِهَذَا الذَّكَرِ - الْكَوْنِ . وَانظُرُوا : فِي الْمَحَطَّاتِ فِي الْمَفَارِقِ عَرَبَاتٌ قَطْرٌ خِيُولٌ
مِنَ الْفَصَائِلِ كُلِّهَا فِرْسَانٌ مِنَ السَّلَالَاتِ جَمْعَاءُ
لِقَاحٍ وَأَعْرَاسٍ / الصَّهِيلُ أَخٌ لِلصَّفِيرِ وَالْآلَةُ عِجْلٌ مُسْمَنٌ فِي تَارِيخٍ : أَمْثَلَةٌ
بَطْرٌ ، وَالتَّفَكُّكُ احْتِفَالٌ
وَالعَجَبُ أَنَّ الْغُبَارَ حَبِيرٌ أَحْمَرٌ .

لماذا يترك لي التاريخ في كل مدينة ، أحب دفايره إليه ؟
لماذا أحلم وأطبع آية الشمس ؟

السيد ياسين / تليمه : «جاء التاريخ يلبس قبعة وجلس على كرسي من
عظام القتلى

أخذته الصاعقة ، ولم تكن إلا ضوضاء الشوارع»
حذاته : «تاريخ يلتقط جنينه من ثورة لم تُحصن فرجها»
لكن تستطيع إيزيس أن تعطيك متبعة أجساد لروحك الراحلة ، أن تُقيض
عليك يوماً لا تعرفه الفصول ، فيما تسأل أين جاير عصفور فيما تُصغي لأم
كلثوم أو غيرها مما تُحبه في حديقة الناكرة ، فيما تترصّد هبوط ليل آخر
على العنصل العاشق تستطيع أن تكسوك بحبر أسود أن تأخذك بين ذراعيها
لكي تقابل القمر الآخر الذي يتمدد في عقدة من الأجنحة ولكي ترضعك
الثدي الذي تحلم به ولا تجرؤ أن تُفصح عنه ، -

الخرائط لرزق الله : «كيف تحوّل الخبز إلى لون ، واللون إلى فضاء جنسي ؟»
الكفراوي ومطر : «يخلط الذكر بورق الغار ، وتخلط الأنثى بالورد»
الغيطاني : «أنا العاشق وسكنائي في كبد الحب»
اعتدال : «الحب الماء الوحيد الذي لا تقدر أن تطفؤ فوقه»

رمضان : «شمس أولى بسطع في المدينة الشعر ، وكلّ خلية في جسد
القصيد بيت كريم»
طه : «رأسي مليء بمشاة التاريخ ، ولكل طائر قنماي . . .»

وكان الطينُ الذي يُواكبُ النيلَ حَبيراً آخرَ يتهياً لكتابة الحُقول . وكانت
إيزيسُ تخسبُ الجسبَ إلى الجسبِ والنجمَ إلى النجمِ ، فسيما
تطمئنني : لستَ هذه القصيدةُ إلا طفلاً ولدتَ في التيهِ وظنيتُ أنه سيحظى
بغزاةٍ ما .

9

من هذا الغامضِ الذي أعرفهُ
مِثْلِكَ ، ومِثْلِكَ لا أسميه ، من النيلِ جاريًا في حالاتِ تنوُّرِ الحُقولِ من
سوادِكَ اللقاهِ بينَ الماءِ والضوءِ من حزنِكَ الجسبِ بينَ الهاويةِ والدُّرواتِ من
عَرَافاتِكَ وعَرَافيكِ وأولئكِ الذينِ اختصموا بتأويلِ الرُّؤيا من حُبْنِكَ النُّرةِ
الشعيرِ الشوفانِ وما تيسرُ من القمحِ من الباعَةِ المتجولينِ العُرباءِ المتشردينِ
بينَ مقهى محفوظٍ ومقهى
الفيطاني ، من الأبوابِ والساحاتِ والزوايا والممراتِ من الحُرُوفِ السريّةِ التي
تتناثرُ بينَ جابرِ عصفورٍ وأدونيسِ ، من العنخبِ الذي يتصاعدُ في الميادينِ
كأنهُ
يجيءُ من عصرٍ آخرِ بهوائِكَ نفحةً نفحةً
بشمسِكَ خيطاً خيطاً ،

أبتكرُ قميصاً آخرَ ليوسفَ وامرأةَ العزيزِ وأضيفهُ إلى جسدِ التحولِ ، هامساً :
لأنكِ السرُّ ، لا يعرفُ الشعرُ أن يُقلّمَ لكِ إلا الشعرَ .

أحلم وأطيعُ آيةَ الشمسِ ، -

لحظةً كانَ القمرُ يهبطُ في حوضِ الأثني ، كنتَ تُصغي إلى مُناجاةٍ تتأرجحُ
أبراجُها بينَ الثورِ والعقربِ ، وتشقُّ طريقها في اتجاهِ أغوارِكَ ، حتى اللَّهبِ
الذي يسكنُ في كلماتِكَ ، حتى قرارةِ الموجِ - الصوتِ .

إيزيسُ / القاهرةُ ، -

أكتبكِ فجرًا بوقظِ النائمةَ أينا ،
أكتبكِ إكسيرًا ضيدًا زمنٍ لا يهدأ سعاله ، زمنٍ تُحززهُ خناجرُ الفتكِ
واللغةُ حوله حرابٍ ،
أكتبكِ استواءً على كُرسيٍّ يتوسطُ سُرادقَ الكونِ ، ولهبًا من سُلالةِ
الكواكبِ ، وتكونُ لغتي قد استبدتِ بغيَمِ الصورِ ، وأكونُ أعلنتُ : حبالُ
صوتي النيلِ ، وتبراتي الفصولُ ،

هكذا أفدُ إليكِ مؤثلاً مُختلفاً ، وأسقطُ على وجهكِ أنداءَ المعنى ،
هكذا أكتبكِ جسداً - نشيدَ ماءٍ تشبي وملاءَ أعضائي انكسيري موجةً
موجةً ،

كوني لي الأرضُ مُستلقيةً أكنُ لكِ الهواءَ قائماً ومسميني بأسمائكِ ،
امتزجتُ حنجرتي بصوتكِ وأشياهُ حمداً لمفتاحكِ للعبيةِ للقمحِ على

العتبة لخطواتك حول العتبة لمسائها لغلاتك لأرجوان أبنوس غابة تتسع
بحر يهدر للحالة النباتية فيك للجوع العيد الزراعين المخمل المستطيل
الدائري القوس النشوة الرعشة الليل سحراً سحيراً ، حمداً ، -

أحلم وأطيع آية الشمس .

(باريس ، خريف 1988)

www.alkottob.com

**بيت العجر ترسيم المكان
(رقيم البتراء)**

www.alkottob.com

1

لا أقولُ ثِراً لا أقولُ شِعْراً
بل أكتبُ رقيماً

[في الرقيم خمسة أقوال :

اللَّحْجُ

الدَّوَاءُ بِلُغَةِ الرُّومِ

الْقَرْيَةُ

الْوَادِي

الْكِتَابُ (لسان العرب)]

أَسْمَعُ حَرَكَةً فِي فِهْرَسِ الْبِثْرَاءِ أَسْمَعُ نَبْضاً فِي قَفْصِهَا الصِّلْرِيِّ أَهْوِ
الْحَجَرُ يَتَفْتَحُ وَيَنْمُو؟
لَا تُوقِفُوا الْحَجَرَ مِنْ نَوْمِهِ لَا تَعْكُرُوا بِحَيْرَةِ أَحْلَامِهِ
انظُرُوا لِلْحَجَرِ جِسْدٌ وَرَدٌّ
أَصْنَعُوا كَأَنَّ الْحَجَرَ يَنْمِي الْبَشَرَ وَاللِّي نَفْسِهِ انْتِمَائُهُ

2

أَسْمَعُ حَرَكَةً فِي فِهْرَسِ الْبِثْرَاءِ أَهِيَ أَرْوَاحٌ سَفَلَى أَمْ هُوَ حَقِيفُ الْفَلَكِ؟
كَيْفَ أُنْدَمِجُ فِي هَذِهِ الْأَشْعَةِ وَأَكُونُ جِزْءاً مِنْ هَذَا الْأَثِيرِ؟
هَلْ سَاجِدٌ فِي قَامُوسِ الْحَبْرِ مَا يَشْرَحُ ذَلِكَ
الشَّكْلَ تِلْكَ الدَّوَائِرُ هَذِهِ النُّخُوطُ؟
مَنْ يُعَلِّمُنِي أَنَّ الْمَسَّ السَّمَاءُ؟

اسْمِعُوا ذَاكِرَةَ الصَّحْرَاءِ فِي طَرِيقِكُمْ إِلَى الشَّقِّ

{ويقال : الشَّقُّ

أهو جسمٌ واحدٌ

شَقٌّ يَصِفَانِ

لا يَلْتَقِيَانِ}

حَيُّوا صُخُورَ الْجِنِّ قَبْرَ الْمِسَلَاتِ وَأَدْخُلُوا قَاعَةَ الْاِحْتِفَالِ
بِالْمَوْتِ الْآخِرِ الْحَيَاةِ الْآخِرَى يَطِيبُ لِلْمَخْمَلِ الْأَحْمَرِ أَنْ يَسِيرَ مَعَكُمْ
وَيَطِيبُ لِلأَبْيَضِ الْبِنْفَسَجِ
وَيَسِيرُ مَعَكُمْ ذُو الشَّرَى

[حجر أسود]

[هو نفس الشمس]

بِمَحَارِبِهِ الَّتِي تُلَوِّحُ لَكُمْ مَسْتَلْقِيَةً فِي أَحْضَانِ الصَّخْرِ يَتَفَجَّرُ مَاءُ السَّرِّ
أَنْ تُوَجِّهْتُمْ وَلَا حَاجَةَ إِلَى آيَةِ عَصَا
وَلَنْ تَضْرِبُوا آيَةَ صَخْرَةَ
تَتَذَكَّرُونَ الْأُمَّ الْأُولَى نَاقَةَ صَالِحٍ

[أخرجها صالح من الصخر علامة على نبوته

كانت تطوف المذائن الشيع توزع حليتها

لم تؤمن ثمود
غزوت سكانها حيث تام الناقة ... تمزقت
خواصرها ومن أحشائها خرج طفلٌ تحول إلى
صخرة
يقال لا يزال الناس يسمعون آنين الأم
وابنها حتى اليوم

تُسْتَعِيدُونَ مَا قَالَهُ قَوْمُ السَّمَاءِ وَتَسْمَعُونَ هَاتِفًا :
مِنْ هَذِهِ النَّاقَةِ ... الصَّخْرَةِ
خَرَجَتْ الْبَتْرَاءُ

[سمّاها اليونان]
[رايبا بترايا]

وأخذت البتراء ترسم نفسها بالحجر والذهب وما يُلطَفُ مِنَ المَعَادِنِ فِي
حَرْبِ

بَيْنَ اللُّغَةِ وَأَخْتِهَا الطَّبِيعَةِ
بَيْنَ القَلَمِ واللُّونِ وَالْمِنْقَشِ صَفًا
وَالْبَازِلِ وَالغُرَانِيَةِ وَالْمَرْمَرِ صَفًا آخَرَ
حَرْبِ تَفَرِّقَ بَيْنَ النُّجُومِ وَتَوْحِيدَ بَيْنَ اللُّغَاتِ
أَخْيَانًا كَانَتِ الغُيُومُ تَتَدَخَّلُ وَتَتَدَخَّلُ الجِبَالُ وَالْبِحَارُ -
وَيَكُونُ العَنَبُ سَاحَةً
وَالْبَحُورُ هَالَاتِ

كَمْ كَانَتْ طَيِّبَةً لَهْجَةً الْفَجْرِ وَهُوَ يَنْتَصِرُ لِأَهْلِ الْبِثْرَاءِ

[كانوا يتكلمون

الأرامية واليونانية إضافة إلى اللغة الأم

انشقوا عن العرب أخلايين بثقافة

أرام في الزراعة والصناعة وحرفة اليد

«تمتدوا ولا تستبطلوا» (عمر بن الخطاب) :

تشبهوا يعمد لا بالنبط / وتروى كذلك :

«نحن معاشر قريش من النبط من أهل

كؤلى رثاء» (ابن عباس)

وقيل في كؤلى رثاء ولد إبراهيم الخليل]

وَمَا أَسْعَدَ الْحُرُوفَ الَّتِي كَوَّنَ بِهَا كَلِمَاتِهِ فِيمَا كَانَ يَخْفِضُهُ بِأَسْمِهَا الْحَارِثُ

[سُمِّي «محبّ اليونان وسامريهم»

نُقِشَ اسْمُهُ تَنْجِيداً فِي الْمَلِكْس

مَقْبَدُ ذُو الشَّرَى]

وَانظُرُوا إِلَى عَرَبِ الْفَجْرِ تَنْزِلُ الشَّمْسُ مِنْهَا تَخَيَّلُوا كَيْفَ كَانَتْ الْبِثْرَاءُ تَنْهَضُ

كُلَّ يَوْمٍ تَمَسَّحُ جَبِينِ النَّهَارِ وَتَسِيرُ

لِتَكْتُبَ تَارِيخَهَا فِي مَوْكَبٍ مِنْ أَحْصَنَةِ الضُّوءِ

[سطلع هذا الضوء
على عمرو بن معد يكرب
واصفاً سعد بن أبي وقاص :
وأعرايي في حَبْرته
كبطي في جَبوته /
هو عربي عطاء ، نبطي جِدْقاً ومهارقاً]

4

إنها الشمسُ تستيقظُ عاريةً حتى من قميصِ نومها تنظرُ إليّ من شقوقِ
نافذتي فيما

أنهضُ وتقول ناري اليومَ سلامٌ وتردُ وكان النهارُ قد بدأ
يتسلقُ سلالِمَ الحجرِ
تَحَسَّنْتُ حنجرتي - هل سأقدرُ أن أقولَ ما لم أعرفَ أبداً كيفَ
أقوله؟

صخورٌ تتشققُ كما يخطرُ للعين - ووجوهاً أغنافاً
أنداءُ أردافاً

شموحاً قناديلَ ومائدَ أسرةٍ مناديلَ
أضيئوا إلى العلومِ علماً آخرَ - كيفَ يلبسُ الحجرُ الغوايةَ ، كيفَ يشتهي
ويشتهى فاتحاً صدرهَ بإسباطِ ذراعينه وكيفَ يهتبعُ
سريرةً

ويخيلُ إليك أنك تسمعُ أهلَ البتراءِ يتحدثونَ معك في
الأبوابِ والنوافلِ في الأوديةِ وعلى الذرواتِ توقن أن

مَا مَضَى هُوَ الْبَاقِي أَنْ الزَّمَنَ الَّذِي يَعْطُونَ بَيْنَ قَدَمَيْكَ دَسْحَانًا عَابِرٍ
وَجِبِينَ تَرَى إِلَى الْخَلْقِ الْبَشَرِ كَوْنَهَا الْأَزْمِيلُ وَتَرَى أَعْضَاءَهَا الْمَقْطَعَةَ
تَسْأَلُ صَارِخًا : مَنْ لَطَّخَ هَذِهِ الْبِرَاءَةَ؟ مَنْ شَوَّهَ
وَسَجَّنَ وَنَفَى؟

وَمَا أَعْمَصَ حُزْنَ الْلِقَاءِ بَيْنَ مَنْفَى الْبَشَرِ وَمَنْفَى الْحَجَرِ
أَيُّهَا الْعَاغِيَةُ ، هَلْ حَقًّا كَانَتْ مَعَكَ يَدُ اللَّهِ؟

صُنْحُورٌ — مَحِيطٌ مِنَ اللَّوْنِ وَالضُّوَّةِ :

قُلْ الْحَجَرُ مَسْكُونٌ بِالْغَيْبِ
وَقُلْ لِلسَّمَاءِ ضَمَعِي يَدَيْكَ عَلَيَّ كِتِفِي
هَلْ مَسْكُونٌ ، أَيُّهَا الْمُحِيطُ ، النُّجُومَ الَّذِي رَمَيْتُ بِهِ
وَأَسْتَنْرْتُ؟ هَلْ مَسْكُونٌ الْأَكْثَرُ إِطْمِئْنَانًا
إِلَيَّ وَالْأَكْثَرُ وَثُوقًا بِي — أَنَا الْمَاخُودُ

بَرِّمًا
وَبِالْهَشَاشَةِ
وَبِالْقَلْبِ؟

أَسْأَلُ وَأَتَقَدَّمُ —

كَيْفَ يُمَكِّنُ إِلَّا أَتَى بِالرِّيحِ؟

5

فِي نَفَقِ تُمْسِكَ بِهِ السَّمَاءِ مِنْ رَأْسِهِ وَتَبَّتْ فِيهِ لِأَلَاءِهَا
كَانَ الْأَحْمَرُ النَّبِيدُ الَّذِي تَلْبَسُهُ الصَّخْرَةُ - الخَزْنَةُ

{تسهر عليها نساء يحرمنها :
قطعت كل منهن لديها
الايمن لكي يسهل عليها
في الحرب استخدام القوس}

يَفْضَحُ أَبْهَى تَيْجَانِهِ وَكَانَ وَجْهُ الصَّخْرَةِ وَوَجْهُ إِيْلَاهَةٍ عَلَيْهِ
(خَبَاتِ إِسْمِهَا) يَتَهَامِسَانِ :
مَنْ الْعَابِرُ وَمِنْ أَيِّ غِبَابٍ يَجِيءُ ؟
وَحَيٌّ مِنْ جِهَةِ الْبَحْرِ الْمَيِّتِ :

أَكْتَسَبَ آخَرَ قَصَائِدِكَ عَلَى آخِرِ وَرَقَةٍ
مِنْ هَذَا الْبَرْدِيِّ الْآخِرِ
وَأَقْرَأَ «مَا أَنَا بِقَارِيءٍ» .

6

إِلَى الْمِذْرَاسِ أَخَذَنِي الْقَلَمُ النَّبْطِيُّ الْأَرَامِيُّ :

ذُو الشُّرَى حَجَرٌ - عَمُودٌ

{مِنْ الْحَجَرِ - الشُّرَاةُ
«أَشْرَقَ يَهُودُ»

في غُبابٍ من البخور والمُتَنك
وخوله من حوله ، -
حجرٌ دائرةٌ
حجرٌ قصبٌ
حجرٌ وسادةٌ
حجرٌ زجيمٌ
حجرٌ مِعراجٌ

بِأَسْمِهِ تَسْجُ الْقُوَّةُ دُرُوعَهَا الْحُمْرُ ذُو الشَّرَى عِنَانُ لِرَأْسِ الزَّمَنِ
لَا يَجِيءُ الزَّمَنُ إِلَّا بَيْنَ خُطَوَاتِهِ ذُو الشَّرَى شَرٌّ فِي عَضَلِ التَّارِيخِ بِهِ
يَحْمَلُ الْفِكْرُ مَصَابِيحَهُ وَيُوغِلُ فِي الْعَادَةِ
مَرْتِي بِنِيَابِهِ

تَخْرُجُ مِنْهُ كَوَاكِبٌ تَشْحَدُ الْبَصِيرَةَ
وَتَعْلُو بِالْبَصْرِ
ذُو الشَّرَى شَاطِئٌ يُطْمِئِنُّ اللَّجْجُ
لُجْجٌ يَزْخَرُ الشَّوَابِئُ

نَحْوُ سَيِّدَةِ الْمَاءِ - اللَّاتِ

{ لا يقدر العقلُ
أن يترك دِفْءَهُ تَهْدِيهَا }

تُخَاطِبُهُ يَا هُوَ يُخَاطِبُهَا يَا هِيَ

وَأَصْبَعُوا إِلَى خُطَوَاتِ الْعَزَى

{نَجْمَةُ الصَّبْحِ
كوكب الحُسن}

وَانظُرُوا إِلَى الْفَجْرِ يُسْرِجُ لَهَا أَجْمَلَ أَفْرَاسِهِ
لِلْأَثْوَةِ هَذَا الْمَكَانِ

{كُلُّ مَكَانٍ لَا يُؤْتَى
لَا يُعْمَلُ عَلَيْهِ} (ابن عربي)

لِلْأَثْوَةِ هَذِهِ الْجِرَّةُ لِمَاءِ الدَّمُوحِ لِلْعَزَى
لِلَّاتِ تَسْتَضِيْفُ إِيْزِيْسَ فِي قَصْرِ الْبَيْتِ
وَسَبِيلِ الْخَوْرِيَّاتِ
لِلْسَرِّ هَذِهِ الْجِرَّةُ لِهَرْمِسَ

{هَلْ يَكُونُ هَرْمِسُ
إِلَّا الْكُتْبَةُ بِلُكَّ الْإِلَهَةِ
الْتِيْلِي الْغَامِضُ؟
أَتَكُونُ الْكُتَابَةُ اسْتِقْلَاقَهُ الْأَوَّلُ؟}

وَحْيٌ مِنْ جِهَةِ الْمَكَانِ :

يَرْتَدُّ الزَّمَنُ بَيْنَ الْمَشْكَاةِ وَأَخْتِهَا
تَنُورُوا أَخْلَامَهُ سَابِحَةً بَيْنَ يَدَيْ
أَبْدِيَّةٍ بَاطِنَةٍ وَرَاءَ سَتَائِرٍ مِنْ
أَنْفَاسِ الْمَادَّةِ
وَأَقْرَابِهِ ... مُسْتَسْلِمًا لِلبَيْتِ كَأَنَّمَا

فَوْضَ أَمْرَهُ إِلَيْهَا

وَحْيٌ مِمَّا وَرَاءَ الْجِهَاتِ :

بَيْتُ النَّبِوةِ يَتَفَيَّأُ
زَيْتُونَةٌ «لَا شَرْقِيَّةٌ وَلَا غَرْبِيَّةٌ» .

7

أ - بَيْتُ ذِرَاعِ ذِرَاعَانِ

يَنْهَضُ الْجِسْمُ فِيهِ كَأَنَّهُ يَنْهَضُ فِي إِثَاءِ يَتَسَعُّ لَوِزْدَتَيْنِ
إِحْدَاهُمَا زَائِرَةٌ كَأَنَّهَا مُقِيمَةٌ • وَالْآخَرَى مُقِيمَةٌ كَأَنَّهَا زَائِرَةٌ
لَا تَعْشَقُ الْبَيْتَ بَلْ مَجِيئُهَا إِلَى الْبَيْتِ
قَدْ لَا تَسْمَعُونَ الْكَلَامَ الَّذِي بَاخْتًا بِهِ
غَيْرَ أَنْكُمْ تَرَوْنَهُ يُلْتَصِقُ عَلَى الْجُدْرَانِ

الشبيهة بأوراقهما كأنه غيمة من رماد
قمر يدخل عتبة الأقول ولا تقلد
الشمس أن تصل حتى إلى قلبي ذلك
الظل الذي لا يبارح البيت كأن الظل
نفسه بيت داخل البيت

ب - بيت

لا يجد من يعنى به غير الغبار والريح
لكن الغبار الذي لامس مرة كاحل العزى
لكن الريح التي لا تزال تتردد في حنجرتها
تنهدات النساء اللاتي كن يتحلقن
حول قامة اللات

ج - بيت

شعراء يقرأون قصائدهم فيما يتكثرون على خواصير
كريمة إنها المرأة تعلم كلمات الحب لا لسرير
وحده بل أيضاً لعتبة البيت وسقفه وجدرانه .
حقاً كأن المرأة والشاعر في سرير الحب ليسا
شيئاً آخر غير الأرض والسماء

حَقًّا الْحَبِيبُ نَفْسُهُ هُوَ الشَّرْعُ
عَجَبًا لِذَلِكَ الدَّهْرُ كَيْفَ يُنتِجُ هَذَا الْعَصْرًا

[والعصر]

[إنَّ الإنسانَ لفي خسر]

8

مَدَى مُحِيطٌ يَاخُذُكَ بِمَوْجِهِ وَيَأْخُذُكَ بِأَغْمَاقِهِ تَقُولُ الْمَكَانُ يُهَيِّمُنُ
عَلَى الزَّمَانِ تَقُولُ الْمَكَانُ جِرَّةُ الْأَنْوَةِ وَتَشْعُرُ أَنَّ الْكَلَامَ يَتَكَسَّرُ
عَلَى شَطْرَانِ شَفْتَيْكَ وَتَرَى إِلَى الْأَلْهَةِ يَجْلِسُونَ مَعَ أَصْدِقَائِهِمْ
مِنَ الْبَشَرِ فِي قَاعَةٍ وَاحِدَةٍ يَسْتَقْبِلُونَ زَوَارِهِمْ

[في القاعة بقايا زوارٍ ومستقبلين وجوه
لم يبقَ منها غيرُ ما استطاع الحجرُ أنْ يُعْبِثَهُ :
أجسامٌ بلا سيقانٍ ولا يذُوسُ أكفًا ...
ضنايفُ امرأةٍ تصفها الأعلى ليوثة
فَمَ كَأَنَّهُ يَصْرُخُ : لَا تَشَوْهُوا شَفْتَيْ
رَأْسِ نَسْرِ عِيُونِ مَهَا قُرُونُ مَا حِزِ
خِيُولُ أَطْفَالِ رِجَالِ نَسَاءِ
اسْتَلْبَيْتُ عِيُونَهُمْ وَمَا بَيْنَ أُنْفُسِهِمْ نَجْرَمُ وَصَلْبَانُ
لَنْ نَجِدَ أَيَّ هَيْلَالٍ رَيْمًا كَانَ الْهَيْلَالُ
أَكْتَفَى بِأَعْيَانِنَا الْكَلَامَ لَكَيْ تَقُولَ مَا تَقُولُ
رَيْمًا كَانَ حَسَنًا أَنْ نَقْتَلِدَهُ ثَمَّةَ أَهْلَةَ
لَا نُحْصِي مِنْ سَمَاءِ أُخْرَى نَخْرُجُ إِلَيْكَ فِي
كُلِّ خَطْوَةٍ تَخْطُوهَا]

وَتَصِفِي إِلَى خُطْوَةِ الْغُرَابِ تُمَلِي عَلَيْكَ نَقُوشًا غَيْرَ مَرْتِيَةِ :

أَعْطِ ذَاكَرَتَكَ لِلْحَجَرِ

وَنَمْ بَيْنَ شَفْتَيْهِ

الْحَجَرُ مَا ثَانِ

يَنْتَصِرُ الْحَجَرُ مِنْهُزِمًا

الْحَجَرُ فِي الْبَشَاءِ

رِثَةٌ لِلْمَادَّةِ

إِنْ كَانَ عَلَى الْعَقْلِ أَنْ يَكْسُوَ الْعَالَمَ

فَعَلَيْهِ أَنْ يَعِيشَ عَارِيًا كَالْحَجَرِ

عُرِّيَ الْحَجَرُ ثَوْبًا لِلْكِتَابَةِ

وَعُرِّيَ الْعَقْلُ ثَوْبًا لِلْمَعْرِفَةِ

طَابَ لِي فِيمَا أُرُودُ هَذَا الْإِنَاءَ الْمُسْتَطَرِقَ الْحَجَرَ ... الْبَشَرَ أَنْ

أَسْتَعِيدَ تَحْتَ شَعْسِ الْبَتْرَاءِ سِحْرَ الْبَيَانِ وَالْمَجْتَازِ

[دَعَمَ اللَّهُ طِينَةَ آدَمَ بِيَدِهِ أَرْبَعِينَ صَبَاحًا /

يَكُونُ بِالْمَوْتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ

فِي صُورَةِ كَبْشٍ أَمْلَحٍ

فَيُنْبَعِ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ]

ذَلِكَ أَنِّي كُنْتُ أَلْمَسْتُ تِلْكَ الطِّينَةَ بِيَدَيَّ وَكُنْتُ أَرَى إِلَى السَّمَوَاتِ
يُذْبِحُ عِنْدَ كُلِّ حَجَرٍ
وَطَابَ لِي أَنْ أَكْرَرَ : مَا أَخَذْتُ هَذَا الْقَدِيمَ .

9

وَحْيِي مِنْ جِهَةِ أَوْغَارِيَّتِ :

مِنَ الْحُرُوفِ الَّتِي اخْتَصَّتْهَا الصَّخْرَةُ ... الْبَتْرَاءُ
جَاءَتِ الْحُرُوفُ الْكُوفِيَّةُ
وَلَيْسَتْ إِلَّا نَقْشًا آخَرَ لِسَمَوَاتِ أَرَامِ
وَالسَّلَامُ لِلضَّادِ

لِلْقَلَمِ النَّبْطِيِّ الْأَرَامِيِّ
سَلَامٌ لَهُ حَيْثُ وُلِدَ وَحَيْثُ أَقَامَ
وَحَيْثُ هَاجَرَ

10

إِلَى أَوْغَارِيَّتِ يَاخُذْنِي الْيَوْمَ هَذَا الْقَلَمَ
(هَلْ سَيَأْخُذُ مَعَهُ الْمَعْنَى وَيُرْزَعُهُ عَلَيَّ فُقَرَاءُ الشَّكْلِ؟)
لَا يَلِيسَانِهِ يَتَكَلَّمُ الْحَجَرُ هُنَا بَلْ بِأَرْدَانِهِ لَهُ جُلُودٌ كَالشَّجَرِ لَهُ أَوْغَارِيَّتِ
يَلْعَبُونَ مَعَ التَّجْوِمِ وَالشَّهْبِ وَلَيْسَ عِنْدَهُمْ شَيْءٌ
السَّمَاءُ هِيَ الَّتِي تَأْخُذُ مَا يَقَطِفُونَ

قلتُ: السَّمَاءُ لَكِنْ كَيْفَ سَتُعَلِّمُنِي هَذَا الْقَلَمُ أَنْ أَنْقِشَ أَوْ أَكْتُبَ
سَمَاءً تَبْدُو كَأَنَّهَا الْأَخِيرَةُ؟ أَنْ أُرْسِمَ تَحْتَهَا حَاضِرًا لَا أَكَادُ أَرَاهُ
إِلَّا مَحْمُولًا عَلَى حِصَانِ سِوْدَاءَ تُدَخِّرُهَا يَدُ اللَّهِ؟ وَأَنْ أَقُولَ مَاضِيًا
تَجْرَهُ الرِّيحُ؟

وَالطَّيْنُ هُنَا يَرْسُمُ الرُّوحَ لَا طِينُ سُومَرٍ وَبَابِلَ وَأَرَامَ بَلْ طِينُ
قُرَيْشٍ بَيْنَ الْوَادِيَةِ شَاعِرٌ لَمْ يَبْقَ مِنْهُ غَيْرُ قَدَمِهِ الْيُسْرَى
وغيرُ أَسْمَاءَ غَامِضَةً لِبَعْضٍ مِنْ كُتَيْبِ بَيْنِهَا قَاضٍ: رَأْسٌ
عَلَى طَبَقٍ

لِلْمَوْتِ هُنَا حَيَاتُهُ السَّرِيَّةُ الْأُخْرَى

وَيُحْكِي مِنْ هُنَا يَمُرُّ اللَّهُ كُلُّ يَوْمٍ
إِلَى أَيْنَ تَقُودُنِي آيَةُ الْقَلَمِ؟
وَمَاذَا تَفْعَلِينَ بِي آيَتِهَا الْأَبْجَدِيَّةُ؟

بَلَوْتَنِي لِأَقُولَ بِكَ الْمَحْفُورَ

لِأَسْأَلَ: هَلْ ضَمِيحَ التَّارِيخِ حَقِيقَةَ أَوْرَاقِهِ الْخَاصَّةُ؟

هَلْ سَنَظَلُّ نَشْرَبُ مَاءً لَا نَقْدِرُ أَنْ نَرَاهُ؟

إِلَى مَتَى تَتَوَخَّذُ الشَّمَارُ مِنَّا... نَحْنُ الَّذِينَ

نَمْلِكُ الْجُدُورَ؟

مَاذَا تَفْعَلِينَ بِي آيَتِهَا الْأَبْجَدِيَّةُ؟

هَلْ يَقْدِمُنِي هَاجِرَ عَلِيٍّ أَنْ أَكْتُبَ؟
هَلْ بَعْطُشُ إِسْمَاعِيلَ وَتِيهِه؟
هَلْ كَتَبْتَ عَلِيٍّ إِلَّا أَنْفِيًّا غَيْرَ شَجَرَةِ الْجَحِيمِ؟

قُلْ أَنَا الْغَرِيبُ وَأَتَقِنُ هُنْدَسَةَ الْمَتْنِي
قُلْ خَيْرٌ لِي أَنْ أَرْقِصَ مَعَ هَذَا الْغُبَارِ
وَقُلْ مَا كَتَبْتُ إِلَّا خَرَقَ قِصَائِلِي
عَلَى أَنْخِرِ وَرَقَةٍ
مِنْ هَذَا الْبَرْدِيِّ الْأَخِيرِ .

11

بَلْبَلٌ فِي شَجَرَةِ عَرَعَرٍ
(بمضمون العرعر مضافاً إلى السكر)
نحصل على شراب اللجين
والعرعر رائحة تجمي من الاعالي)

لَا لِلشَّجَرَةِ يُغْنِي بَلْ لَنَا نَحْنُ الَّذِينَ نَعْبُرُ بِأَكْبَرِ بَيْنِ الْعُصْنِ وَالْحَجَرِ
وَأَنْتِ أَيْتَهَا الْفَرَاشَةُ الَّتِي خَرَجْتَ لِتَوْهَا مِنْ قَصْرِ الْبَيْتِ ، أَلَيْسَ
لَكَ فَرَسٌ غَيْرُ هَذَا الْهَوَاءِ الَّذِي يَنْصَبُّ عَرَقًا؟ أَلَيْسَ
لَكَ بَيْتٌ غَيْرُ هَذَا الْقَفْصِ الَّذِي لَا تَكْفُ عَنْ نَسِجِهِ مَحَابِرُ
الْلَّوْنِ وَابْرُ الْمَوْتِ؟

وَخِي مِنْ جِهَةِ اللَّاتِ :

حَبُّ

أَنْ نَكْتَشِفَ

مُحِيطُ الْمَعْنَى

بِسَفِينَةِ النَّوْمِ .

وَخِي مِنْ جِهَةِ الْعُزَى :

أَعْطَيْتُ لِلرِّيحِ أَنْ تَقُولَ الْكَلَامَ الْآخِرَ

لِلْمَاءِ أَنْ تَحْتَوِيَ النَّارَ

أَعْطَيْتُ لِلجَنَاحِ أَنْ يَقْسِمَ الْفِضَاءَ قِسْمَيْنِ -

وَاحِدًا لِلشَّهيقِ وَآخَرَ لِلزَّفِيرِ .

وَخِي مِنْ لَا جِهَةَ :

مِنْ التُّرَابِ وَالْحَجَرِ

لَا مِنْ الْوَرَقِ

يَجِيءُ الْكِتَابِ

كَمَثَلِ مَا أَوْحَى ، -

سَأَرَى بَعِينَ التُّرَابِ وَأَسْمَعُ بِأُذُنِ الْحَجَرِ

وَلَنْ أَعُولَ إِلَّا عَلَى مَا يَسْكُنُ جَسَدِي .

صَبَّاحُ الْخَيْرِ أَيُّهَا الْجَدَّةُ الْعَطِيبَةُ

هَلْ بُنِيَ بَيْتُكَ مِنْ جَسَدِ الْأَرْضِ أَمْ مِنْ جَسَدِ السَّمَاءِ؟
الآنَ يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ ذِرَاعَيْكَ قَوْسٌ قَزَحٌ كَأَنَّهُ يَتَلَكَّى
مِنْ أَمْنِاقِ غَيُومٍ بِلَوْنِ الدَّمِ يَضَعُ رَأْسَهُ
عَلَى الْقَدَمِ وَقَدَمَيْهِ فِي نَهْرِ الْأَرْدُنِّ ، ...

... كَلَّا ، لَنْ أَصْغِيَ إِلَيْهِمْ

... مِيلُوا قَلِيلًا إِلَى تِلْكَ الْقَاعَةِ الَّتِي يَتَفَتَّتُ فِيهَا مِسْكُ التَّارِيخِ
وَأَمْسَتْ أَرَاكَ بِعَيْنِي وَخَدَمْنَا
أَرَاكَ بِشَهِيْقِي وَزَفِيرِي

بِالْمُحْظَةِ الَّتِي جِئْتُ مِنْهَا وَبِالَّتِي أَنَا فِيهَا
وَبِتِلْكَ الَّتِي تَجِيءُ فِي نَبْضِي مَا يَجِيءُ
كَأَنَّكَ بَعْضُ مَنْيَ وَكَأَنِّي بَعْضُ مَنْكَ

هُوَذَا أَنَا ، وَقَدْ اتَّحَدْنَا ،

مَحْمُولٌ بِكَ إِلَى الْأَيَّامِ الْأُولَى مِنَ الْخَلْقَةِ الَّتِي اغْتَسَلْتُ بِمَاءِ الْأَرْدُنِّ
وَأَدْخَلْتُ مَعَكَ عَالَمًا يَمْتَدُّ بَيْنَ الْحَجَرِ وَأَخِيهِ الْإِنْسَانِ وَلَا حُدُودَ لَهُ
غَيْرَ الْهَوَاءِ وَالضُّوءِ

... كَلَّا ، لَنْ أَصْغِيَ إِلَيْهِمْ

— مِيلُوا قَلِيلًا إِلَى تِلْكَ الْقَاعَةِ الَّتِي يَتَفَتَّتْ فِيهَا مِنْكَ التَّارِيخُ

أَيُّهَا الْجَلَّةُ الطَّيِّبَةُ

مَا هَذَا السِّرُّ الَّذِي يَغْلِبُ الشَّرْعَ؟ صَدَقْتَ
لَا بِالشَّرْعِ يُفَسَّرُ الْكَوْنُ بَلْ بِالْحُبِّ

وَمَا هُوَ جَارِكُ الْبَحْرِ الْمَيِّتِ يَصْعَدُ بَطِيئًا فِي اتِّجَاهِ يَتَابِعِهِ
سَأْوُهُ مَرِيضٌ وَلَا رَاحَةَ لِهَذَا الدِّخَانِ الَّذِي يَتَبَخَّرُ مِنْ أَحْشَائِهِ
فِي الطَّرِيقِ جَحِيمٍ وَحَوْلَهَا يعلُو كُرْسِيُّ اللَّهِ

— إِنَّ أَعْرَبَ أَدْنِيكَ لِغَيْرِ مُوسِيْقَاءَ أَنْطَقًا صَوْتُكَ
يَصْعَدُ الْبَحْرُ الْمَيِّتُ لَا تَزَالُ الذَّرْوَةُ فِي الْجِهَةِ الثَّانِيَةِ مِنَ الطَّرْفِ
الْأَقْصَى كَنَزَتْ الْيَاسَ وَلَيْسَتْ الْجِرَاحَ لَكِي أَسْتَطِيعُ
أَنْ أَمَلَّ غَيْرَ أَنْ الْخَرِيفَ يَغْزُو الْكَلَامَ وَفِي الْخَرِيفِ
يَتَكَلَّمُ الْفُصْنُ بِحُجْرَةٍ جَفَّتْ فِي الْخَرِيفِ تَطْفُو أَوْرَاقُ
الْقَاءِ عَلَى وَجْهِ الْمَوْتِ

— بَلَى

سَأَكُونُ أَنَا نَفْسِي رَبِّيهِ الْخَاصِّ
وَسَأَكْتُبُ آخَرَ قِصَائِدِي
عَلَى آخِرِ وَرَقَةٍ

مِن هَذَا الْبَرْدِيِّ الْأَخِيرِ

الْمَيْتُ الْبَحْرُ يَصْعَدُ

وَفِيهَا أَهْمِسُ آيَتَهَا الْجِدَّةُ الطَّيِّبَةُ احْتَفِئْنِي ، مَلُوحًا
بِالْوَدَاعِ أَنْخِيلُ حَيَوَانَ الْمُسْتَقْبَلِ
أَنْخِيلُ فَلَكَ الْجِسَدَ الْخِلَاسِيَّ الَّذِي يَتَمَلَّمُ فِي
أَسْرَةِ الْحَجَرِ
أَصَادِفُ رَأْسِ التَّارِيخِ
وَأَخِيلُ
وَأَيْسَ خَطَايَ إِلَّا تَرْدًا لِتَنْجِيحِ النَّخْرِ

بَلَى

سَأَكْتُبُ آخَرَ قِصَائِدِي

عَلَى آخِرِ وَرَقَةٍ

مِن هَذَا الْبَرْدِيِّ الْأَخِيرِ .

(عمان - باريس 1991/10/18-1992/1/30)

www.alkottob.com

القطر

www.alkottob.com

... إِذْ أَدْعُو إِلَى تَوَاطُؤِ الْهَمْسِ وَالشَّمْسِ ، الْعُنُقِ وَالْأَفْقِ
إِذْ ، أَشْبَهُ غَمَدَانِ بِالنُّهَارِ ، وَيَلْقِيسَ بِاللَّيْلِ ، وَأَنَا بَيْنَهُمَا الْهَدِيلُ .

1

شَجَرٌ آيَامِهِ عَارٍ ، وَالْجَنْدَرُ الَّذِي نَمَاءُ يَأْخُذُ شَكْلَ الْمُسْحَرَاءِ ، وَهَذَا هُوَ التَّارِيخُ
يُلْفُ بِالسَّرَاوِيلِ ، وَالْوَطَنُ يُكْسَى بِالرَّمْلِ لَكِنَّ هَذَا الظَّاهِرُ لَا يَعْرِفُ
مَنْ هُوَ يَعْرِفُهُ بَاطِنٌ لَمْ يَحِنُّ ظَهْرُهُ بِالْفِجَابِ يَمْتَسِحُنُ
وَيَسْتَقْصِي ، وَيَأْتِي الْحُضُورِ يَسُنُّ شَفْرَةَ الْكِتَابَةِ وَيُحَرِّزُ هَذِهِ الْأَرْضَ .

إِنهَا مُهْرَةٌ الْحَبْرُ تَحِبُّ فِي سُهُولِ الْحَلْمِ ، لَكِنَّ لِأَخْلَامِهِ طَبِيعَةً
الْجِبَالِ مَحَارَاتٍ وَقَوَاقِعُ يَلْفِظُهَا مَوْجُ الدَّاكِرَةِ الزُّبْدُ يَنْعَقِدُ أَسَاوِرَ
فِي مِقْصَمِ الشَّاطِرِ ، وَالْمُسْحَرُ صَنَارَةُ الْهَوَاءِ وَرَأَى أَنْ
لَا يَامِهِ جَسَدًا تَمْسَحُهُ الرِّيَّاحُ بِرَيْشِهَا ، وَأَنْ دَرَبَهُ غَابَاتٌ تَحْتَرِقُ

كَيْفَ يُحَرِّزُ هَذَا الْأَفْقَ الَّذِي يَلْتَمِعُهُ مِشَارُ الرَّغْبِ؟

قال أنسلخ من أنقاضِي وأرْمِي نَرْدِي النَّبِيَّ ، -

«علي أحمد سعيد ، اسم يمانِي» ،

سَمِعْتُ هَذَا مِرَاراً والنَّقْشُ الَّذِي بَقِيَ مِنْ قَصْرِ عُمْدَانَ يَعْرِفُ
اسْمِي وَالْحَجَرُ الَّذِي نُصِبَ لِعَشْتَرٍ يَتَذَكَّرُ اسْمِي لِي فِي تَرَابِ الْيَمَنِ
عِرْقٌ مَا طِينَتِي قَابِلَةٌ وَغَرِيزَتِي حَرَّةٌ ، -
أنا الأستورَةُ والهَوَاءُ جَسَدِي الَّذِي لَا يَبْلَى

هكذا ذَهَبْتُ مَعَ ظَنِّي الْجَمِيلِ
أَنْسَلَخْتُ مِنْ أَنْقَاضِي وَرَمَيْتُ نَرْدِي
النَّبِيَّ /

هُودًا أَوْهَجُ مَعَ رَامِي بَيْنَ جَمْرَةِ عَدَنَ وَتَبَارِيحِ الْمُتَدَبِّعِ عَارِيًا
مِنِي مَكْسُورًا بِهَا أَضْبَعُ فِيهَا وَتَضْوَعُ فِيَّ -

عَدَنُ / قَدَمَاهَا مَوْجٌ

جَدَعُهَا يَرَاكِينُ فَجَرُّهَا يَطُوفُ سَاحَاتِهَا بِقَمِيصٍ مِنْ نَارٍ وَحِينَ يَقْرَعُ
بَابَكَ مَحْمُولًا عَلَى أَجْنِحَةِ النُّوَارِسِ تَنْهَضُ وَتَجْلِسُ مَعَ شَمْسٍ تَجْمَعُ
بَيْنَ حِكْمَةِ الْغُرَابِ وَعُدُوبَةِ الْبَهْجِ تَرَى إِلَى الْبَوَاحِرِ تَتَدَوَّرُ قَبَابًا تَكْتَنِزُ
الْمُحِيطِ وَمِنْ كِتَابِهَا مَفْشُوحًا عَلَى مَدَى الزُّرْقَةِ تَسْمَعُ كَلِمَاتٍ لَمْ
تَلْفَهَا تُفْرِغُهَا عَلَى صَفْحَاتِ الشُّوَارِعِ رَافِعَاتٍ وَعَرَبَاتٍ / مَحَابِرٍ وَأَقْلَامٍ مِنْ
مَعْدِنِ آخَرَ وَكُنْتُ أَسْمَعُ كَلِمَاتٍ أُخْرَى تَتَسَاقَطُ عَلَى الْأَرْضِ صِفَةً / يَمْتَلِئُ
وَجْهَهَا بِالْجِرَاحِ وَلَا شِفَاءَ لِرُضُوضِهَا وَبَيْنَ أَسْلَاقِ الْحَدِيدِ وَأَسْلَاقِ الْقَنْبِ
يَتَصَاعَدُ الصَّخْبُ :

عَمَّالٌ يَفْتَحُونَ خَزَائِنَ الْمَوْجِ
عَمَّالٌ يُفْرِغُونَ وَيَفْرِزُونَ
عَمَّالٌ يَحْزِمُونَ وَيُكْوِمُونَ

وترى إلى العرق يتدخرج على جباههم وأعناقهم وتتمراى فيه كأنك
تتمراى في ماء عالم جديد وترى إلى طيور البحر تكتتب وتهجم
ثريدا أن تشارك في هذه الضجة الخالقة وتسيك طلاسيم التقنية
التي تكتتب المدينة طلاسيم كنت تومئها في طفولتك لتقرأ الغيب

... / وأخذت عدن تترامى قصيدة لم تكتتب وكان رامبو قد حاول ، -
استخرج حبرا آخر من كيميائها ، لكن خاتمة كيمياء العصر .

3

أتحدث مع عدن وتوجي إلي صنعاء تسير معك الأولى وتقبل إليك
الثانية فيما تجلس حولهما الجبال كمثل شهب هذا السير .

صنعاء - تسندني أشجار السندر تظللني أشجار العرعر
تحضني بيوت أعشاش ثواكيني منرجات سلاليم
وحين أنخض في تهامة والتيس بعشب الأقاليم تنخطفني
نباتات تتألف مع الصنخر ونباتات تعشق الملوحة وتنفجر

أمامي الأودية حقولاً فيضبة ... وها هي المياه أمهات يرضعن
النخيل والأثل الأراك والطلع ويرضعن حشائش لا
تفقهها اللغة

صنعاء ، ... استسلم لمهرة الحبير وألقي رأسي على خاصرة
أحلامها : هل أحمس ليلقيس أن تكسر عقرّب الوقت؟
هل الذاكرة بلقيس هل بلقيس النسيان؟ هل بلقيس
نجمة العصب هل هي أنين القصب؟ هل هي الضوء تفرزه
شمس لا تترك أترا الخطواتها؟ هل هي الحنان يدفق عارياً
وأعزل كساء ينابيع؟ هل هي المنجل يخلص
الغلام؟ السؤال يجمع ولا أعرف كيف أروضه

لي في تراب اليمن عرق ما ،

والخريف الذي يتساقط من أعضائي ورق يكثبه سهب
المرايات يتساقط في حيط يجيء من جنائن علقت بقلمي
كوكب تائه ، جنائن تتعكس فيها الفصول وتعمو أشلاء النهار
والليل جنائن أجهد فيها أن أعري الرقيم والكهف أن الأمس
نصل اللقاح حيث يرقد غبار الطلع أجهد أن أكتشف وحدة
الشفاه بين الزهر والنحل وأن أنقش الجانِب الآخر من عملة السر

لي في تراب اليمن عرق ما ،

هَلْ يُجْنِدِي هَذَا الْجَيْشُ الَّذِي آتَقَدَّمُهُ فِي جَبِينِ هَذِهِ اللَّيْلَةِ حَيْثُ
يَخْرُجُ طَائِرُ الرُّغْبَةِ نَحْوَ سَمْتِ مِنَ السَّرْحَسِ ودَوَارِ الشَّمْسِ؟ هَلْ
يُجْنِدِي ذَلِكَ الْحَزَنُ الَّذِي أَصْقَلُ صَفَائِحَهُ بِأَهْدَابِي؟ خَيْرٌ لِي أَنْ أَتَوَتَّرَ
قَوْسًا لِسْتِهِمْ أَحْتَارُ فِيهِ مِنْ أَيْنَ وَكَيْفَ خَيْرٌ لِي أَنْ أَرْسِمَ خَرِيطةَ
أَحْشَائِي وَأَتَقَلَّ بَيْنَ تَخْوِمِهَا فِي هُدْيَانِ أَهْنَدِسُ عِمَارَاتِهِ وَأَقْرِضُ
عَلَيْهَا صَرِيبةَ الْمَفَاتِيحِ

هَكَذَا أَطْعِمُ كَاتِنَاتِي خُبْرًا آخَرَ وَأَغْيِرُ آدَابَ الْعَائِدَةِ وَحِينَ يَجْلِسُ
الزَّمَنُ إِلَيْهَا أَعْدَلُ جُلُوسَتَهُ مَاسِحًا كَتَفَيْهِ بِحَنَانِ شَيْخٍ يَمُوتُ ثُمَّ
أَمْلَأُ الْكُؤُوسَ بِخَمْرَةِ الْفَجِيعَةِ وَأُنَادِمُ الرَّقِصَ

لِي فِي تَرَابِ اللَّيْمِ عِرْقُ مَا ،
أَقْدَامُ حَدِيدٍ تَسْقُفُ الْمَكَانَ نِسَاءً يَنْقُشْنَ قُبُلَاتِهِنَّ عَلَى شَفَتِي
عَصْرٍ يَتَغَطَّى بِالْإِسْمَنْتِ
لَيْسَ لَدِي يَزَنُ إِلَّا أَنْ يُغَالِبَ أَسْوَارًا
يُخْتَفِرُ وَرَاءَهَا الْأَسْرَى وَإِلَّا أَنْ يَسْتَطْلِعَ الدَّرُوبَ فِي آثَارِ خَطْوَاتِهِمْ
لَيْسَ لَهُ إِلَّا أَنْ يَكْرُرَ قِرَاءَاتِهِ لِأَجْدِيدِ الْعُبَارِ

صَنْعَاءُ ، نَوَافِذُ بِلُطْفِ الطُّفُولَةِ مَمَرَاتُ كَانَهَا الْكِتَابَةُ وَبَيْنَ الْخَطِّ
وَالنَّخَطِ قَوَاصِلُ وَحَرَكَاتُ تَوَشُّوشٍ ، -
لِلْقَاطِرِ خَيُْولُ وَهَذَا الْقَوْسُ حَاجِبَانِ وَقَمَّةُ أَعْمَارٍ تَقْفِرُ مِنْ أَعَالِي

البيوتِ ومن أطرافِ المائدِ ينكسرُ شعاعُها ويَلتصمُ غلايلَ وعباءاتِ
وفي الأزقةِ المرصوفةِ بأسنانِ تاريخِ شيخٍ كنتُ أتخيلُ وقعَ قدميُ
معلوماً بأشباحِ لهنَّ هيئةُ الكواكبِ .

4

– «حقّ العشرينِ بعشره ، يا بلاش يا بلاش» / يُكرّرُ طفلٌ نداءاته يسحبُ
خيوطَ صوتِهِ بينَ سوقِ البزّ وسوقِ النحاسِ فيما يرفعُ مرآتهُ الصغيرةَ في
اتّجاهِ شمسٍ تستكعُ بينَ الأرجلِ وفي أريجٍ من البهاراتِ تتشابكُ
الأسواقُ أوردةً وشرابينَ في هذا الجسمِ الذي ليسَ من واقعٍ ولا حلمٍ

صنعاءُ ، – أخذك بينَ ذراعيّ نمشي مع رجالٍ يرفعون
الشهارةَ مظلةَ أحزانٍ مع نساءٍ يحملنَ على أكتافهنَّ
هموماً بلونِ الزبيبِ وليسَ لأقدامهنَّ إلا شهوةً واحدةً :
أن تقبلها الريحُ

قناديلُ وجامعُ أزوي يتكوى على رياضياتِ سبأ قناديلُ
انطفأتُ ولها شرارةُ الوحيِ اقرأ أسرارها متناً متناً وأرجعُ
الهوامشَ والتفاصيلَ نعمةَ عصفتُ ما وأسألكِ
أيُّها القناديلُ أينَ الساهرونَ ومنَ يُمسِكُ بالزناد؟

أولُ السوقِ / مهلاً – ليسَ هذا ماءً بل دمٌ ليسَ هذا جداراً بل

العمود الفقري لربجل قال مرة كلاً

أنحر السوق / امرأة كوكب أبوسى يسبح في أثير التنهدات

— «لن نلتقي بعداً؟»

تركت الليل ينام على عتبة بيتها فيما كانت نجمة تنهياً لكي تفتحهم خرفتي
وتقرأ جسدها علي

وكانت الأسواق تهدير وتتموج فيما كنت أستعيد قول الهمداني:

«لا تلحق بحسنا صنعاء امرأة من العالم» .

أتحدث مع صنعاء وأتجول في عدن ،

صمبأون يرسمون ظلالهم على البحر خضر وبداة

يستطيعون جسده المادة ويرجون ذاكرة الشواطئ تنفر أخلاصهم أخصنة
تصهل ، —

قرس شهوة

شعاعك أيها التاريخ ونشرتك تعاكس شهواتنا لكن سلاحك

صدا ونحن صوان الرغبات نخشرك أيها الصوان بين ملك

الصعراء بك تسمينا انشفاقاً بك فكنا بك تماسكنا

والتحمننا وأنت فينا شفيق للماء (الصوان ماء جامد الماء

صوان سائل)

أقول عدن وصنعاء وأضمير هذا المركب — المهدي /

«... فَعَنُ أَسِيَا وَأَفْرِيْقِيَا مَغْسُولَتَيْنِ بِمَاءِ الْيُسْتَقْبَلِ مَكْسُوتَيْنِ
بِسَعْفِ الْبِدَايَاتِ وَلِسْنَا مِنْ عَصْرِ الْمَعْدِنِ بَلْ مِنْ عَصْرِ الْإِنْسَانِ»

أقول عَدْنٌ وصنعاءُ وأعني هذا المركب ... المعهد /
... كَيْفَ لِعُمْدَانٍ أَنْ يَظْلُ شَابًا مُنْذُ أَلْفِ السَّنَوَاتِ؟
... كَيْفَ أَجِيبُ وَأَنَا «حَصَّيْتُ عُمْدَانَ بِمُبَهَمَاتٍ؟» (أَكْلِيلُ الْهَمْدَانِي)

صنعاءُ، ... مِنْ هُنَيْهَةٍ رَأَيْتُكَ فِي صُورَةٍ وَالْآنَ تَتَحَوَّلِينَ أَنْتِ الثَّوْبُ يَفْتَقُ
وَيَفْتَقُ بِرَفْقَةِ الْهَذْبِ وَمَا أَغْرَبَ الْخَلِيطُ الَّذِي يُنْسَجُ هَذِهِ اللَّحْظَةَ /

سُوقِ الْخَرِيرِ، ...

امْرَأَةٌ مِنْ جِنِّ سَبَا تَوْبَهَا تَعْرِيشُ بَطْرِ وَتَخْرِيمُ
شَهَوَاتِ حَافِيَةٍ وَكَمَاهَا طَائِرَانِ
لُوحٌ: «أَبْكَارُ النِّسَاءِ كِلَابَاتُ الْخَيْلِ
لَا يَسْمَعْنَ إِلَّا عَنْ صَهِيلِ وَمُغَالِبَةٍ» (بَلْقِيس)

سُوقِ الْحَبِّ، ...

نَقْشٌ: «هَذَا الْعَالَمُ لَا يَخْلُو فِي عَيْنِي
وَمَا لَا يَخْلُو فِي الْعَيْنِ لَا يَخْلُو فِي الْقَمِّ» .

سُوقِ الذَّهَبِ، ...

لُوحٌ: «كُلُّ قَرِيبٍ شَامِعٌ» .
نَقْشٌ: «يُرْهَدُ الْعَاقِلُ كَأَنَّهُ الْمَوْتُ
وَيَعْمَلُ كَأَنَّهُ الْآبَدُ» .

سُوقِ الْفِضَّةِ ، -

نَفْسٌ : «يُوقِنُ الْعَصَائِغُ لِصَلْحِ نَفْسِهِ
وَيُتَقِنُ لِصَلْحِ الدُّنْيَا» .

سُوقِ الْقَاتِ ، -

رُقْعَةٌ : «تُدْرِكُ يَدَايَ مَا لَا تَرَاهُ عَيْنَايَ» .

سُوقِ الْعَطَارَةِ ، -

رُقْعَةٌ : «يَذْهَبُ عَنِّي مَا أُرِيدُ وَيَأْتِينِي مَا لَا أُرِيدُ» .

سُوقِ الزُّبَيْبِ ، -

نَفْسٌ : «أَنَا رَاعِي الْحَيِّ فَإِذَا سَكَرْتُ ضَاعَ» .

سُوقِ الْحَنَاءِ ، -

لَوْحٌ : «مَا لَوْنُ الرَّبِّ؟» (بَلْقَيْس)

لِي فِي تَرَابِ الْيَمَنِ عِرْقٌ مَا ،

أَهْبَطُ مَعَهَا إِلَى الْبِدَايَاتِ كَيْ أَحْسِنَ اكْتِشَافَ مَا يَأْتِي
شَفَاقَتِي نُعْمَانِ

سِلَالُ عِنَبٍ تَنْهَضُ مِنْ أَسْرَةِ الثَّلَالِ نَهْدَانٍ يَسْتَعْجِلَانِ
وَوَرَاءَهُمَا يَنْفِثَتُ فَنُخْصَارُ الْأَزْمَتِ شُكْرًا لِلْحَبِ

المُزْدَوِجِ شُكْرًا لِلْحِكْمَةِ صَوَّانٍ يَسْتَوِّهِمْ أَنَّهُ صَدِيقِي

وَأَنْتِ حَازِرِي أَنْ تَبْتَرِدِي - أَغْطِيكِ يَا أَسْرَارِي

صَنْعَاءُ ، - حَقًّا تُقْلِنِي الرِّيحُ أَنْعَلُمُ مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَمَنْطِقَ كُلِّ شَيْءٍ

تَسِيرُ مَعِيَ الْجِبَالُ وَتَجْلِسُ وَرَائِي الْجِنَّ .

«تُونُ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ»

«تَطَاوَلَ اللَّيْلُ عَلَيْنَا دَمُونَ

دَمُونَ إِنَّا مَعَشَرَ يَمَاتُونَ

وَإِنَّا لَا أَهْلِنَا مُحِبُونَ» /

أهبط ، أيها الشاعرُ ، إلى الكَثيبِ

الأخمرِ في أسفلِ وادي الأحقابِ ، واسألَ قبرَ هودَ : مَنْ أَنْتَ ، وَمِنْ آيِنِ؟

ليل / علي

أقسِمُ بهذا الوادي ، كُنْتُ اسْتَطِيعُ مُتَوَكِّلاً عَلَى امْرِئِ الْقَيْسِ ، أَنْ

أَسْتَقُ الْفَضَاءَ وَأَنْ أَخْتَرِقَهُ ،

وَأَنْتَ سَاحِرٌ وَلَا أُدْعِي النُّبُوَّةَ .

كَانَتْ أَطْرَافِي قَدْ ائْتَلَّتْ بِلَيْلِ خَضِرَمُوتَ ، وَأَزَيْتَتْ حَوَاسِي

وَكُنْتُ اسْتَيْقَنْتُ أَنَّ اللَّيْلَ فِيهَا لَيْسَ مَغِيباً لِلشَّمْسِ وَأَنَّ السَّمَاءَ

فَوْقَهَا لَيْسَتْ قَبَةَ الْأَرْضِ بَلْ قَوْبُهَا الَّذِي يَلْتَصِقُ بِجَسَدِهَا .

عَشْرَ

ذَاتِ حَمِيمٍ

سِينَ

يَا لِلْجَسَدِ - هَادِراً بِنَشِيدِ الْبِدَايَاتِ

لَا تَتَّسِعُ لِخَطُواتِهِ سَاحَةُ الْوَقْتِ ،

يا للجدِّ مَوْجاً يُزَحزِحُ شيطانَ التاريخِ ،

إنها النجومُ تهبطُ إليّ ،

وها أنا أتشرَّدُ معها

يخرسني الترابُ نفسه ،

وسِلاحُهُ النخطُ المُسنَدُ ، والنقوشُ ، والثُمَّائيلُ ،

وفي كُلِّ ناحيةٍ مِنْ كِنْدَةَ يُدَلِّدُنْ امرؤُ القيسِ

شفتاكِ ، فاطمِمْ ، عَسَلُ دَوْعِن

تهدالكِ تمرَّ مديني

وظنيتُ أَنَّ هذا المَدَى الذي يَنْسجُهُ المَدْرَقُ قدْ فهمَ طيبتي

وأنتِ ، يا فاطمِمْ ، سأَسَمِّيكِ في هذا الوادي

بِاسْمِ تَجْهَلُهُ الشُّفاهُ

وأنتِ يا جددي ، سأَكْتُبُ بِالنخطِ المُسنَدِ رَسائِلَ شوقِكَ إليّ المَعْنَى .

أهبطُ أيُّها الشاعرُ

الفِضاءُ بَيْتُ تَسْقِفُهُ أَحلامُ النساءِ

والقَمَرُ يَتسلَّقُ الجُنْرانِ ،

ويُوضِوِصُ مِنَ التَّوافِدِ ، —

وها هي الأرزقة والحقولُ تسهرُ كمثلِ الكتبِ التي تختصرُ الطبيعةَ .

سيؤون تريم شيبام

أبواقٌ من عالمٍ آخرَ تصدحُ تحيةً للعناصرِ
الأيامُ تنزلُ على سلايمها كمثلِ الأطفالِ ،
ومنذُ أنْ تصيلَ الشمسُ إليها ،
تجلسُ على عتباتها وتتهدُّ كأنها لا تريدُ أنْ تنهضَ

أهبطُ أيها الشاعرُ ، -

أظنُّ أنْ ذاكرتني تسيلُ في وادي الأحقابِ
أظنُّ أنْ الزمنَ ينكسرُ بينَ يدي كمثلِ قضيبِ يابسٍ
أظنُّ أنْ الجبالَ التي تظللُ أحمدَ بنَ عيسى المهاجرَ ، جاءت تُشاركنا
الدانَ في فندقِ سيؤون ، ذلكَ المساءَ ، وترقصُ في طربِ شيبه
صوفي ،

أظنُّ أنني قلتُ : لا شكَّ أنني سليلُ موسيقى خرجتُ مرةً
من حنجرة السماء ، ثمَّ أثرتُ ألا تعود
- آيتها الموسيقى ،

أهلاً بكِ على هذه الأرضِ ، في دارِ هجرتنا الدائمة .

والآن ،

جاءت الشفافية تخمّلني وتتعالى أقدرُ أن أتحوّل أن
أتماهى ومثلما كنتُ الطّيعُ أقدرُ الآنُ أن أكونَ الأمرُ أقولُ
لكلّ طينةٍ كوني صورةً لكلّ صورةٍ تكوّنني أعطني للأشياء
حركاتي وأهوالي يمتلئ كلّ شيءٍ بضياءِ هذه الخليقةِ وأكونُ
قد عرّيتُ الزمنَ /

رَمَيْتُ ثِيَابَهُ الْحِجَازِيَّةَ فِي خِزَانَةِ بَلْقَيْسِ
وَنَثَرْتُ آيَاتَهُ النَّجْدِيَّةَ فِي مَارِبَ وَمَا حَوْلَهَا
وَأَكُونُ قَدْ أَجْرَيْتُ عَلَيْهِ مَاءَ تَكْوِينِ آخَرَ ،
وَكَسَوْتُهُ بِأَنْفَاسِ لَعْنَةٍ ثَانِيَةِ -

هكذا أتكلّمُ بطريقةٍ تُجسّدُ

أصدّقائي شعراءَ الجاهليّةِ (أقصدُ شعراءَ البصيرةِ والهيامِ
والرّعبةِ) أقولُ لكلماتي أن تتشبي في مكانها بين شفّتي
وهذا الضوء الذي يجيئها من أشياء الواقعِ أغربها بالسفرِ في
وحشيّةٍ سقوطٍ ليس إلاّ صعوداً آخر
حيثُ نرى للرّعبةِ جسداً يولّدُ في الجسدِ
حيثُ نقدرُ وراءَ كلّ حجابٍ أن نحسبُ امرؤ القيسَ ،

وَنَسْتَشِفُّ شَمْرَ بْنَ أَبِي رَبِيعَةَ ،
وَحَيْثُ نَسْمَعُ الْحَجَرَ وَالْمَاءَ يَتَحَدَّثَانِ دَائِمًا عَنِّي يُوسُفَ وَامْرَأَةَ
الْعَزِيزِ ، -

«نُونٌ وَالْقَلَمُ وَمَا يَسْطُرُونَ»

«تَطَاوَلَ اللَّيْلُ عَلَيْنَا دَمُونٌ
دَمُونٌ إِنَّا مَعَشَرَ يَمَانُونٌ
وَإِنَّا لِأَهْلِنَا مُحِبُّونٌ» /

سلاماً حضرته موت -

أَيْتُهَا الْعَيْنَانِ السُّودَاوَانِ فِي هَذَا الرَّأْسِ الْأَزْرَقِ الَّذِي سُمِّيَ السَّمَاءَ ،
أَيْتُهَا الْمَرْأَةُ الَّتِي تَقْتَسِلُ بِعَسَلِ دَوْعِنَ ،
حِزَامُهَا بِحَرِّ الْعَرَبِ
وَعَلَّخَالُهَا الْمَوْجُ .

6

... / إِنِّهَا سَاعَةُ الْحَقِيلِ ، - أَرْبَطُ مُخَيَّلَتِي بِتِلْكَ الْخَضِرَةِ وَأَخْطِي جِسْمِي
مِنْ دَيْبِيبِ الْهَوَاجِسِ
مَاذَا؟ فِي قَرَارَاتِي وَخَزْ
وَنَاسٍ يَأْكُلُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا نَعْنُ الرَّأْسِ مُنْدِيلٍ وَلَا شَيْءَ

إلا السُّلَّاحُ والصِّياحُ /

هل أجيبُ من داءٍ لا يشفى؟

وخَيْلَ إليّ أنتي أسمعُ صوتاً يلفظهُ قبيحُ الصَّخْرَاءِ يتحدّثُ عن قَمَرِ
صِنَاعِي استَقَالَ مِنَ الجَادِبِيَّةِ عن مَسْتَوْصَفَاتِ لِلسَّاءِ
الآيَاتِ عن فَنَادِقِ وَأَعْرَاسِ لِلْقَطِطِ
وتراءتُ لي جُلُوعٌ بِشَرِيَّةٍ مَبْثُورَةٌ تَلْتَمِمْ حَوْلِي تَارَةً وتَسْمُزِقُ تَارَةً في
أَحْشَائِي وَكُنْتُ كَمَنْ يَسْبِغُ في شَرِقِ تَشْقِيهِ بِحَيْرَاتِ الدَّمِ
وَشُبُّهُ لِي أَنِّي في مَهْرَجَانِ أَغْنَاكِ تَحْتَفِلُ بِدَبْحِهَا دُونَ أَنْ تَذْهَبِي
وَتَمْتَعْتِ: أَنْ تَكْتُبَ هُوَ أَنْ تُهَرَّبَ الكَلَامِ /

لَنْ تُغْرِبَنِي أَيُّهَا المَلَاكُ والشَّيْطَانُ أَغْفَلُ مِنْ أَنْ
يُوسَّوسَ إليّ عَيْنَايَ تَفِرَانِ إلى الأمامِ وَقَدَمَايَ
نَشْوَةٌ وَرَقْصٌ الإيقاعُ الإيقاعُ وَلَنْرَقْصُ فَوْقَ
رَمَادِ هَذِهِ الأَزْمِنَةِ

هكذا ذَهَبَتْ مَعَ ظَنِّي الجميلِ فجاءَ رَأَيْتِي استَسْلِمُ لَأَتِي لَسَعْفَةَ تَنْصَحُ
بِرَائِحَةِ عُوْدِ يُوَاحِي بَيْنَ النِّسْيَانِ والذِّكْرَى وَأَصْنَعِي إليّ حَكِيمِ يُعَلِّمِي -
... «كلاً»، لَنْ تَجِدَ الطَّبِيبَةَ زُهوراً جَدِيدَةً إلا في
جراحِنَا كلاً لَنْ يَحْظِي تَارِيخُنَا بِنَبْضِهِ إلا في
مَنفَاتِنَا .

وَحَسِبْتُ أَنْ أَسِيَا الْعَجُوزَ تَجَلِسُ فِي رِوَاقِ أَرْدَى
وَالْفُصُولَ تَتَبَادَلُ قُمْصَانَهَا بَيْنَ ذِي يَزَنَ وَعَشْتَارِ .

... / إنها ساعة المقييل ، -

أَيْثُهَا الْإِبْقَاعَاتُ الْعَالِيَةَ مِنَ الْأَوَائِلِ أَمْتَرِجُ بِكَ وَأَضْيِفُ بِصِيرَتِي إِلَيْكَ
أَتْرُكُ لَأَوْتَارِي أَنْ تَصْهَرَكِ طِينَةٌ ثَانِيَةٌ وَمِنْ هَذَا الرِّوَاقِ الَّذِي تَرْعَاهُ أَصْدِقَائِي
وَأَنَا نَكْتُبُ لِيَتْلُكَ الْجِهَةَ الْمَطْمُوسَةَ مِنْ عُرُوبَةِ الْقَلْبِ لِأَوْلِيَتِكَ
الْمَسْحُوقِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ يَنْقَاسِمُونَ الرَّغِيْفَ لِأَوْلِيَتِكَ التَّائِهِينَ يَسْقُطُونَ
وَهُمْ يَتَشَبَّهُونَ بِالْأَعَالِي يُشَارِكُونَ الْحُقُولَ كِتَابَةَ الْجَذْبِ وَيُصَادِقُونَ
الْهَوَاءَ لِأَوْلِيَتِكَ الْمُنْبُودِينَ يَنْتَعِلُونَ الْأُودِيَةَ وَيَلْتَحِفُونَ الْجِبَالَ

... / إنها ساعة المقييل ، -

تَهْفُضُ فِي قَصَائِدِنَا أَبْوَابَ وَشُرُفَاتِ نَكْتُشِفُ زَوَايَا مِنْ جَسَدِ صِنْعَاءِ
لَا تَزَالُ عَصِيَّةً عَلَى الصُّورِ نَسْمَعُ كَلِمَاتٍ فِي حَنْجَرَةٍ عَدَدًا لَا شَوَاطِئَ لَهَا
- بِلَادَ نَاقَةَ تَرْعَى أَغْشَابَ الْفِقْهِ /
الْمَصْحَرَاءُ تَابُوتٌ يَتَنَقَّلُ عَلَى رُؤُوسِنَا وَاللُّغَةُ يَبْغَاءُ فِي قَفْصِ الرُّغْبِ

- كَيْفَ نَخْتَرِقُ هَذَا الرَّبِيعَ الْعَالِي؟ أَيْنَ لُقْمَانُ وَحِكْمَتُهُ؟ هَلْ عَلَيْنَا أَنْ نَجْدِلَ
شَعْرَ السَّمَاءِ أَعِنَّةً لِخَيْوَلِنَا؟ أَنْ نَصْرُخَ بِالنُّجُومِ مُدَى أَيْدِيكَ إِلَيْنَا؟ هَلْ عَلَيْنَا
أَنْ نَشُقَّ الْقَمَرَ؟

- مِنْ أَيْنَ لِنَمْلَةَ أَنْ تُغْرِي نَسْرًا؟

... تُناضِلُ كَمَنْ يُقَاتِلُ الْغُبَارَ كَمَنْ يَكْتُبُ أَبْجَدِيَّةَ الرَّمْلِ

كَمَنْ يَرُضِعُ لَدَى الْحَجَرِ

... الْوَطْنَ قَرْنٌ يُطْبِخُ فِيهِ مَنْ يَجِيءُ لِإِيْلَافٍ مَنْ يَرُوحُ

... لَيْتَ السَّمَاءَ قَمَرًا إِذْ كُنَّا أَكْلَنَاهُ وَاسْتَرَحْنَا

... مَا أَنْتَ وَمَنْ آيَتُهَا الشَّجَرَةُ؟

... رُبَّمَا كُنْتُ حَسْبِلَ مَشْرَقٍ بَيْنَ رَحِمِ الْيَأْسِ وَسَرِيرِ الْغَيْبَةِ رُبَّمَا

كُنْتُ لُغَةً يَلُودُ بِهَا الْحَيُّ فِي حِسْوَارِهِ مَعَ الْمَسِيَّتِ رُبَّمَا كُنْتُ

لُونًا يُوْحِدُ بَيْنَ قَسْوَسِ قُسْرَحٍ وَقَسْوَسِ الْإِيَّامِ رُبَّمَا كُنْتُ إِكْسِيرًا

يَتْرُكُ لِكُلِّ شَيْءٍ أَنْ يَسِيحَ فِي شِعْرِهِ الْخَاصِ

... إِذْ مَا شَكَاكَ أَيُّهَا الْقَاتُ الصَّامِتُ؟

... أَنْ صَدِيقِي الْوَقْتَ أَقْلُ اخْضِرَارًا مِنِّي /

هَكَذَا نَسْتَنْبِتُ قَاتًا آخَرَ لَا مِنْ الْأَرْضِ

لَا مِنْ النَّبَاتِ بَلْ مِنَ الصَّبْوَةِ وَأَنْفِجَارَاتِهَا ، -

نَشْوَةٌ : حِينَ تَأْسُرُكَ الْعَاصِفَةُ اسْتَسْلِمِ ،

لَكِنْ كُنِ الْوَتَرَ الَّذِي يَعْرِفُ الرِّيحَ ،

حِكْمَةٌ : الْغُبَارُ حِكْمَةُ الْيَدِ وَالْعَتَبَةُ عَرِيضَةُ الْقَدَمِ .

أمشوتة : أَرْضَعَتِ الشَّمْسُ عَدْنًا وَنَسِجَتْ لَهَا خَلَائِلَ لَا تَنحَرِقُهَا أَظْفَارُ الدَّهْرِ .

شَطْحَةٌ : النُّجُومُ فِي صَتَعَاءِ قَطِيعٍ
وَالْقَمَرُ رَاغٍ يَتَوَكَّأُ عَلَى عَصَاءٍ وَرَاءَ سِيَّاحِ الْفِضَاءِ .

مُكَاشَفَةٌ : لَكَيْ لَا تَتَعَثَّرَ فِي طَرِيقِكَ أَوْ تَسْقُطَ
قَلْبُ لَقَلْبِكَ أَنْ يَتَرَجَّلَ وَيَمْشِي أَمَانِكَ .

لي في تراب اليمين عرق ما /
من أجل شوارع ترتسم شامات في وجه النهار
من أجل ليل يلبس النجوم فلانذ وأقراطاً
من أجل أراغين تفضحك وتبكي في سريرة كل شيء
من أجل غرابة تهيمن على أحشائي
من أجل أيدٍ تنسج البكاء خياماً للخلم
من أجل مجهول أنغمس فيه وتنغمس أرومة الخلق ،
أقول في تراب اليمين
لي عرق ما ،

وأنتمي إليه

بلداً بلا عمر

كأنه وجه الله .

هكذا تنضجُ في خابيةِ الزمنِ يكتبُ دعنا ما لا تقدرُ أنْ تمحوهُ
 أيدينا وكيفَ أكونُ المُفردَ وما أنا ، إنْ لَمْ ألبسِ الشَّخصُوصَ
 كلهم إنْ لَمْ أكنْ هذا الجَمْعُ؟ انظروا إلى المَشْهَدِ يتحركُ فيه
 الخليفةُ والإمامُ القاضي والفقهاءُ المُشرِّعُ والشَّرْطِيُّ الأميرُ والجُنْدِيُّ
 أعني يتحركُ المُتَمَرِّدُ والمُرتدَّةُ الشَّايرُ والعاشقُ الخارجُ
 والشاعرُ الصغولوكُ والفارسُ

وبينَ سَوْرَةِ القلبِ تتفطرُ شِعراً وسورةُ الذهنِ تتلأأُ نظراً
 أكتبُ وأُعلنُ : كتابتي غوايةٌ ، - وأكررُ : لستُ الجَوْهرُ لستُ التَّوَعُ
 النقيُّ أنا جواهرُ وأنواعُ مزيجُ قَمَرٍ وشمسٍ في
 لحظةٍ واحدةٍ
 وأحينَ أضحكُ

أضحكُ لكي أنفصِلَ بفرحٍ عن الماضي ، (مَارَكس)
 مُعلناً حَقِّي في أنْ أكونُ مُتناقضاً (منطقي أكثرُ شمولاً من
 منطقتكم الظاهري)

وَأنتِ أيها الطَّوفانُ يا صديقي تقدِّم

هكذا تنضجُ في خابيةِ الزمنِ ونسنتبتُ قانا آخرَ ، -

صنعا / «الإنسانُ من حيثُ يوجدُ لا من حيثُ يُولدُ»
 عدنُ / «الإنسانُ من حيثُ يثبتُ لا من حيثُ يَنبُتُ»

صَنَعَاءُ / الْجَسَدُ تَقَافَةُ اللُّغَةِ وَالْحَيَاةُ أَنْ تُعَاشِرَ الْمَوْتَ
 عَدَنُ / «لِمَاذَا» هِيَ الْبِدَاهَةُ «كَيْفَ» هِيَ الْمَشْكَلَةُ
 صَنَعَاءُ / أَضَلَّلَكَ وَأَنَا الْهَادِي
 عَدَنُ / هَلْ أَشْتَمُ الْفَلَكُ؟
 صَنَعَاءُ / «الصَّدَاقَةُ رِضَاعٌ ثَانٍ»
 عَدَنُ / لَا سُلْطَانَ كُلُّ إِنْسَانٍ سُلْطَانٌ
 مَوْتُ أَنْ تَحْيَا بِأَفْكَارٍ مَاتَتْ الْأَفْكَارُ لِكَيْ تَمُوتَ مِنْ أَجْلِكَ

وَأَنْتِ أَيُّهَا الطُّوفَانُ يَا صَدِيقِي تَقَدَّمِي .

7

الْأَفْقُ جَائِعٌ وَأَنَا فِي خَلِيجِ عَدَنٍ أُخْبِرُ عَرَقِي
 أَشْجَارُ الْمُرَيْمِرَةِ تَيْنٌ وَتَكَادُ أَنْ تُجَنُّ وَكَيْفَ تَقْدِرُ أَنْ
 تَسْجُنِبَ الْفُؤُوسَ الَّتِي تَخْرُجُ مِنْ نَعِيقِ الْغُرَبَانِ؟

أَسْنِدُ جِسْمِي عَلَى الْغُرُوبِ أَوْحَدُ بَيْنَ مَشَاعِرِي وَلَعِبِ الْمَوْجِ
 أَقُولُ لِلرَّمْلِ الَّذِي يَشْرَبُ الْعِلْجَ وَلَا يَرْتَوِي : مِنْ أَيْنَ لَكَ ، أَيُّهَا
 الضَّامِرُ ، هَذِهِ الْمَعِدَةُ؟

يَا صَدْرِي ، يَا صَدْرًا بِأَلْفِ الطَّبَقَاتِ - اكْتَنَزُ بِهَذَا التَّسِيمِ الَّذِي يَهْبُ
 فِي أَحْضَانِ الْخَلِيجِ الْعَدَنِيِّ لَوْحٌ لِنَلِّكَ الْعَرَائِبَ غَيْرَ الْمَرْتِيَةِ الَّتِي

تَعْمُرُ أَفْقَ الْمَاءِ وَأَوْسَعُ فِي أَمْحَانِكَ الْمَرَافِقَ أَصْبَغُ لِشَّمْسٍ عِنْدَكَ
تَوْشُوشُ الْخَلِيجِ وَهِيَ تَفْتَسِلُ بِرُطُوبَةِ الْمَسَاءِ وَانظُرْ لِهَذَا النُّورِ
كَيْفَ يَحْمِلُ عَلَى كَتْفَيْهِ عِبَاءَ الشَّوَابِغِ

حقاً ، لكي تدخل في إيقاع اليمين ،
يتبني أن تعرف كيف يغني البكاء الضحك ، وكيف ينام القمر والشمس
على مائدة واحدة ،

يتبني أن تعرف كيف تكون في المحظة نفسها النهار والليل ،

وكيف يتحول الغبار في خطواتك إلى صياد للوقت ،
يتبني أن تعرف كيف يكسر الحجر كما يكسر الجوز .

... / أرض تكسب أعاجيبها بحجر المادة البحر فيها يخرج من الصدور
والأيدي النجوم تطلع من البيوت
سماً ،

ما الذي يقوله هذا الحزام الفضي ليخصر هذه المرأة؟
ما هذه الشمس التي تنزلق خفية في ملاءة هذه المرأة؟
ما هذه الأصوات التي تتحول إلى قبل ترسيم حالات حالات حول
جسد هذه المرأة؟
كلاً ، لم يصل أحد إلى ذلك النهار الذي يعرف وحده كيف يلبس ليل هذه
المرأة .

نَفَهُمُ الْآنَ كَيْفَ تَسْتَنِدُ امْرَأَةٌ يَمَانِيَّةٌ إِلَى دُمُوعِهَا فِيمَا تَمْسَحُ الْعُجَابَ
 عَنْ وَجْهِ الْأَقْيِ وَكَيْفَ تَلْقِي التَّارِيخَ عَلَى كَتْفَيْهَا كَمَنْدِيلٍ أَخْضَرَ نَعْرِفُ
 الْآنَ كَيْفَ تُزْفُ عَرَائِسُ الْبَحْرِ إِلَى رُؤُوسِ الْجِبَالِ نَعْرِفُ اللَّقَاحَ الَّذِي
 يُؤَخِّدُ وَيُعَدِّدُ نَعْرِفُ كَيْفَ يَعْمَلُ الْجَبَلُ لِكَيْ يُصْبِحَ سَمَاءً وَكَيْفَ تَعْمَلُ
 السَّمَاءُ لِكَيْ تُصْبِحَ شَجَرَةً نَقْدِرُ الْآنَ أَنْ نُسَمِّي الذَّاكِرَةَ سَفِينَةً وَأَنْ نَقُولَ
 اللَّيْلُ نَبْعٌ وَالنَّهَارُ بَيْرِيقٌ وَنَزْعَمُ أَنَّ التَّارِيخَ كَثِيرًا مَا يَأْخُذُ هَيْئَةً شَاعِرٍ ضَعِيفٍ
 يَأْسِرُهُ الْغِنَاءُ الْيَمَانِيَّ

إِنَّهَا الْمَادَّةُ نَفْسُهَا تُطَلِّقُ أَفْرَاسَ الْمُخَيَّلَةِ فِي الْجِهَاتِ الْخَفِيَّةِ مِنْ كَوْكَبِ
 الْحَيَاةِ أَسْمَعُ أَجْرَاسًا تَتَدَلَّى مِنْ أَعْنَاقِ الْأَشْيَاءِ أَكْتَشَفُ
 الْأَسْمَاءَ الْمَرْقُومَةَ فِي كِتَابِ الْمَجْرَةِ أَرَى الْفَضَاءَ عَتَبَةً لِرَأْسِ
 يَبْحَثُ عَنْ وَسَادَةٍ فِي مَجْهُولٍ مَا ،
 وَلَسْتُ أَتَحَدَّثُ عَنِ الْغَيْبِ أَتَحَدَّثُ عَنْ هَذَا الْكَوْنِ الصَّغِيرِ -
 الْإِنْسَانَ وَعَنْ شَهْوَتِهِ لِكَيْ يَحْتَضِرَ الْكَوْنَ الْكَبِيرَ وَيَلْبِسَ اللَّانْهَائَةَ

إِذَنْ مِنْ إِشْعَاعِ الْبَشْرِ وَمِنْ مَرَائِبِ الْعَظْمِ أَخَذَ هَذِهِ الْحِكْمَةَ : لَيْسَ الْإِنْسَانُ هُوَ
 الَّذِي يَنْوُءُ بِلِ الطَّرِيقِ وَسَوْفَ نَتَلَّأُ فِي هَذَا الْكُسُوفِ الْعَرَبِيِّ
 نَفْتَحُ طَرِيقًا آخَرَ وَنُطَلِّعُ شَمْسَنَا الثَّانِيَةَ

اللَّحْظَاتُ تَزْدَهْرُ ضِدَّ الصَّخْرَاءِ وَالْأَشْيَاءُ انْفِجَارًا صَوْتِي

الجسد أكبر من مكانه والعين أوسع من فصائها ، -

نصفني لكي تقولنا موجة أو يبثنا السحر ندى فوق
محمل الأرض أو يحملنا الصباح ماء وخيزاً ومن
يسأل الوردة ماذا يقول عطرك أيها الشاعر؟ هكذا لن
يسألك أحد : ماذا تقول أيها الشاعر؟

ويتن العربي الذي يلتهمه الغرب والعربي الذي يلتهمه العرب سيكون مكان
لتاريخ آخر ، -

انظروا إنها السهول تندثر بفبار الطلع
إنها البراعم تذخل في أغراس اللقاح

«بلى ، لا تزال هناك جنات» (مونتيران)

... أنغمس في نواياي وأهيم حروبي ، -

منحدر التاريخ ينعكس اعطي نشوة الحلم لبصيرة
العسلي اغترب لأغريف نفسي أمجن
الأصالة (أن تبداع هو أن تهجن) وأسأل من قال العين هي
وخذها البصيرة؟ من قال اللسان هو وخذة الكلام؟ من قال
اليد لا تفكر؟

وأقول الجسد إملائي وشرمي التحولات ، -

افتحي صدرك يا مليكتي ..

... إِذْنٌ فِي انْفِجَارِ التَّحَوُّلِ تَبْدُو الحَيَاةُ اسْتِعَارَةً وَالحَقِيقَةُ مِجَازاً
إِذْنٌ أَشْبَهَ عُمْدَانِ يَالنَّهَارِ وَبِلقِيسِ بِالنَّيْلِ وَأَنَا بَيْنَهُمَا الهَدِيلُ .

(بيروت ، 10 آذار 1983)

الطاعة

www.alkottob.com

www.alkottob.com

1

اجلسوا ليكني اقصم عليكم نبا الدخان .

2

تسكن المداعة وحيدة في بيت الكلام
تخضتها قصبة تصل بين الماء والنار .

في اسفل قطبها

حيث يعوم طيف للترجيس - الاسم العربي لزهرة الأنا ،

يحلم التاريخ هائناً

تحت هلال تقوس في شكل وسادة تتكى عليها القصبية

للقصبة جسد ليس لهذا الهلال ، وليس لها ،

هو لشخص آخر -

حركه شفقتك قد يكون أنت ،

تنتهي القصبة إلى الجوزة (اسمها كذلك الحبة ، والتارجيل ،

والرمانة) ،

ظاهرها حديقة ألوان وزخارف ونقوش ،

باطنِها يمامةٌ تحمِلُ بُحيرةً شبهَ سوداءِ

لا أراها ،

لكنْ يُخِيلُ إليّ أنّي أرى فيها جَبلاً مِنَ الدُّخانِ

وأرى حُورياتٍ وأميرةً ،

وللقصبةِ طرفٌ هو المشربُ يتقطرُ فيه البُوريُّ - بيتُ الشَّيخِ ،

لهذا الطرفِ مَبَسَمٌ

حينَ تُطبقُ شفَتَيْكَ عليه ، تتذكَّرُ الشَّدي والرُّضاعُ ،

سائلاً نفسَكَ : ألسَتِ هذا المزيجُ مِنَ النَّارِ والماءِ والهَواءِ؟

ثمَّ يطيبُ لك أنْ تُوشِوشَ جَسَدَكَ : أنتَ نفسَكَ جزءٌ مِنْ هذا النسيجِ الذي

يجمعُ بينَ السَّماءِ والأرضِ .

3

يأخذُكَ شَطَعُ العَيْنِ (هنا لا تنظرُ العينُ بلْ تنخطِفُ)

في جَمادٍ يلبسُ آدميةَ الحركةِ ،

لا تكادُ تخلصُ مِنْ هذا الغَزْوِ بالعَيْنِ حتَّى يغزوكَ شَطَعُ التَّامِلِ : مَشْهُدٌ

لتاريخٍ لا تُعرفُ كيفَ ابتَدَأَ وَمِنْ أينِ

آيةٌ بهيمةٌ

هذه التي رأَتْ ورسمَتْ آيةٌ يدِ هذه التي نَفَذَتْ ولمَنْ كانتِ الشَّفَتانِ

اللَّتانِ قَبْلَنا ذلكَ المَبَسَمِ للمرَّةِ الأولى؟

مِنْ هذا المَشْهُدِ ، تَنبَتُ المُنْخيلةُ أنيةً مِنْ عَمقِ غيرِ مرثيٍّ حيثُ تتلألُ

المادُنُ وأشجارُ النخيلِ الغِزْلانُ وألفُ ناقةٍ وناقةٍ القُصورُ والقِلاعُ

الدروب والقوافل حيث لا مكان للمكان وحيث الزمن طفل لا يفارق
سريرة أهو الشرق أم هو الكيان الذي أفلت من يد الخالق دون أن
يكتميل أثر أن يظل عالماً بشهوة البدء؟

في السحاب الذي يتبخّر من النازجيل تجلس نقرأ الأرض .. وسطها
وأطرافها . القراء شياطين رأي ملائكة لغة يطلقون أجنحتهم في فضاء
المقيل

وبين الكلمة والكلمة الفكرة والفكرة يتنون أعشاشاً لطبور التاريخ
ما الغرب ما الشرق ماهله العروبة بينهما؟

المقيل .. حلقة 1

.. لا شرقية لا غربية

بل نكهة مستقبل في قم النبوة

.. الشرق الشمس سافرة

والغرب الشمس مُحجبة

.. الشمس سرير في الشرق

سريرة في الغرب

.. شرقنا لا يُحب المرأة إلا

من وراء حجاب ..

.. ربما لكي يتألف مع الغياب

ربما لكي تكون المرأة حجاباً له :

موته قبل الموت

المقيل .. حلقة 2

.. يتحدث مع النسيان ،

وها هو يلتقيه في بيت الذاكرة .

.. قلما تتسع شجرة الذاكرة

إلا لطبور الموت

.. ألا يُعلمنا الشعر أن نُعطي

تجاعيدنا للريح ،

ووجهنا للأفق؟

.. الخمرة العجوز ليست عجوزاً

.. الشعر هو كذلك يبكي ..

.. لكن لا يمسح دموعه إلا بمناديل

الفرح

- لا يُعرَفُ الشَّرْقُ إِلَّا بِغَيْرِهِ : - اللَّيْلُ نَفْسُهُ
 أَتْرِيدُونَ أَنْ تَعْرِفُوا الشَّرْقَ؟ يَخْلَعُ ثِيَابَهُ وَيَضَعُهَا بَيْنَ يَدَيْ الشَّعْرِ
 إِذَنْ اعْرِفُوا الْغَرْبَ . - الشَّعْرُ هُوَ جَنُوتُنَا الْحَكِيمِ .
 - الشَّرْقُ خَامَةٌ وَالْغَرْبُ يَصْقَلُ وَيَجْلُو
 - الشَّرْقُ يَزْرَعُ وَالْغَرْبُ الْحَصَادُ -
 - أَيْنَ الشَّرْقُ؟
 -

تَتَحَدَّثُ كَمَنْ يَبْنُونَ أَغْمِيدَةً مِنَ الضَّوءِ ، فَيَسْمَعُونَ سُقُوفًا مِنَ
 الْغَيْمِ لَكِنْ ، وَاحِدَةٌ هِيَ صَوْتُنَا الْأَخْرَى ، - نَحْنُ إِلَى جَانِبِ كُلِّ
 فَرِيَسَةٍ ، بِاسْتِثْنَاءِ وَاحِدَةٍ : الظَّلْمَةُ - مُمَرَّقَةٌ وَمَحْمُولَةٌ عَلَى أَسِنَّةِ الضَّوءِ
 أَصْوَاتٌ أَصْوَاتٌ أَصْوَاتٌ
 تُحَاوِلُ أَنْ تَشْهَدَ الْأَشْيَاءَ فِي بَرِيْقِهَا الْأَوَّلِ تَحْفَرُ فِي
 الْأَعْمَاقِ فِي ذَلِكَ الدَّاخِلِ حَيْثُ الْبَشَرَةُ أَكْثَرُ عُمُقًا وَأَكْثَرُ عُمُوضًا مِنْ
 ذَلِكَ الطَّيْفِ الَّذِي يُسْمَعُونَهُ الرُّوحُ
 أَصْوَاتٌ أَصْوَاتٌ أَصْوَاتٌ
 تَتَقَصَّى ذَلِكَ الَّذِي لَا يُرْوَضُ وَلَا يُمْتَهَجُ الْوَاحِدَ الَّذِي يَتَنَوَّعُ وَيَتَعَدَّدُ
 وَلَا يَتَنَاهَى الْعَصِيَّ الْقَصِيَّ

ضَعَّ شَفْتَيْكَ عَلَيَّ مَبْسِمِ الْمَدَاعَةِ انزِلْ فِي جَوْفِ الْوَقْتِ اسْكُنِ اللِّغَةَ
 الصَّامِتَةَ الْأُخْرَى انظُرْ إِلَى الْفَضَاءِ حَوْلَكَ يَفْتَحُ صَدْرَهُ لِسَاعَةِ الْحَكْمَةِ

ثُمَّ أَعْرَاسُ فِي الدَّمِ كَرِيمَةً وَعَاشِقَةٌ وَخَضِرَاءُ وَيَا لَيْتَكَ الْكَوَاكِبَ الَّتِي
تَعْتَاطِرُ بَيْنَ الشَّفَاهِ سَائِرَةً عَلَى أَكْتَافِ الْكَلَامِ
يَلَى سَيْسَفِي الْوَقْتِ مِنْ جِرَاحِ السِّنِّتِنَا وَسَوْفَ نُوسِمُوسُ لِلْحَبِّ كَيْ
يُوسَسَ لِلْعَائِبِ الْقَائِرِ وَخَدَهُ أَنْ يَسْبَحَ فِي جَذُولِ الْعُفُولَةِ وَأَنْ يُوحَدَ بَيْنَ
الْجُذْجُدِ وَالطَّبَعِ الَّذِي هُوَ الطَّبِيعَةُ
وَسَوْفَ يُسْعِدُنَا أَنْ الْأَفَقَ لَيْسَ لَهُ كَاحِلٌ وَأَنْ لِلْجُذْجُدِ أُنُوثَةٌ لِلرَّبَابَةِ

ثُمَّ هَا هُوَ الْعُودُ - الْبَيْخُورُ يَمُدُّ جِسْرَهُ بَيْنَ كَيْمِيَاءِ الْجَسَدِ وَأَثِيرِ السَّمَاءِ
فِيمَا تَنْفَتِحُ خَفِيَّةً بَيْنَ الْبُورِيِّ وَالصَّخْنِ طَرِيقَ صَوْبِ الْأَعْمَاقِ أَسْتَشْفَى
عَلَى ضِيْفَانِهَا أَوْرَاقًا تَشْهَقُ فِي رِيحِ الْهَجْرِ هَرَبًا مِنْ الْوَرَّاقِينَ وَالْكَتَبَةِ
أَوْرَاقًا تَحْمِلُ مَدُنًا مِنَ الْإِشَارَاتِ وَعَوَالِمَ عَلَى وَشَكِّ الْأَنْطِفَاءِ
وَتَكَادُ الْكَلِمَاتُ أَنْ تَهْرَمَ مِنْ حَبْرِهَا لَكَيْ تَخْتَبِئَ تَحْتَ إِبْطَلِكَ
إِنَّهُ شَرَقُ الْجَسَدِ ،
لَا جُغْرَافِيَةَ التَّرَابِ لَا التَّخْوِمَ لَا خَاتِمَ الْعُبُورِ
بَلِ الْأَمْكَانُ الرَّحِمُ اللَّاتِهَائِيَّةُ لِلْعُفُولَاتِ
إِنَّهُ الطَّرْسُ
أَحْكُهُ وَأَجْلُوهُ وَأَسْتَقْصِيهِ
وَأَسْطَرُّ فَوْقَهُ أَيَّامِي .

تبع جَمْرَ دُخَانٍ -

أينما وضعتَ حَبْرَكَ بَيْنَ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ الثَّلَاثِ يَخْرُجُ كِتَابٌ فِي الشَّهْوَةِ
لَا تَكَادُ أَنْ تَقْلِبَ إِحْدَى صَفْحَاتِهِ حَتَّى يَتَسَبَّحَنَّ لَكَ الْهَيَّاءُ
العربيُّ وتصرِّحُ شُكْرًا لِهَذِهِ الْمَدَاعِجِ

بِهَذَا أَتْلُوهُ طَعْمَ الْحَضْرُورِ فِي دُخَانِ يَرْقُصُ فِي أَنْفَاسِ تَتَنَاوَمُ
حَيْثُ أَشَاهِدُ قَطْعَانَ رَغْبَاتِي تَتَسَكَّعُ عَلَى أَرْصِفَةِ الْقَضَاءِ حَيْثُ أَسْأَلُ
نَفْسِي هَلْ أَرْضَى هَذِهِ الْقَطْعَانَ أَمْ أَتْرِكُ لَهَا أَنْ تَرْعَانِي؟
وَتَدْعُو الْهُدُوءَ وَالتَّأَمُّلَ وَالْحِكْمَةَ إِلَى الْجُلُوسِ مَعَكَ تُصْغِي إِلَيَّ أَوْلَادُ
الْمَقِيلِ يَتَجَادَّبُونَ أَطْرَافَ الْمَعْنَى وَكُلُّ يَدْخُلُ فِي غَيْمِهِ لِلْخَاصِّ -

أَمْطِرْ ، أَيُّهَا الْمَقِيلُ ، غَيْثَ الْمَعْنَى
لَيْسَتْ أَلْأَرْضُ لَكِي تَفْهَمُهَا ، بَلْ لَكِي تَتَأَنَّى مَعَهَا
وَلَكَّ أَنْ تَشْطَحَ -
العقلُ يَدُّ بِلَا أَصَابِعِ ،
وَالْحَيَاةُ أَوْلُ الْمَوْتِ .

ويكونُ لَكَ أَنْ تَكْتَشِفَ شَهْوَةَ الْحَيَاةِ بِسُحْرِ
يَكْتَشِفُ لِكُلِّ يَوْمٍ شَهْوَتَهُ
وَلَيْسَ أَوْلُ الشَّهْوَةِ كَأَخْبَرِهَا وَالْوَسْطُ شَهْوَةٌ مِنْ طَبِيعَةٍ ثَانِيَةٍ -
مَسْرُوحٌ بِمَقْعَدٍ وَاحِدٍ
أَنْتَ فِيهِ الْمُمَثَّلُ وَالشَّاهِدُ ،

والمشهد تزد فوق سرّة الحياة .

ثاء / ثوبُ القصبَةِ يتلونُ هوَ الأحمرُ ، بالأَسودِ والأخضر . يَنفَتَتْ مِنْهُ عَطْرُ
يوشوشِ الهِلَالِ الَّذِي تَتَكَيُّ عَلَيْهِ القصبَةُ حَيْثُ المَكَانُ سَريرٌ بِتَمَدُّدِ
فِيهِ الزَّمَنُ هَانِئاً

صاد / صوتُ الماءِ فِي القصبَةِ مُدَوِّرٌ
يَتَنَقَّلُ عَلَى ظَهْرِ هَوَاءٍ يَتَنَقَّلُ فِي غَيْمَةٍ مِنَ الدُّخَانِ حَيْثُ يَتَصَاعَدُ
المَقِيلُ مَحْمُولاً فِي عَرَبَاتِ تَجْرَها أَحلامُ اليَقظَةِ .

قاف / القُطْبُ شَكْلٌ لِنُصُوءِ عَمُودِيٍّ باطنِ لا يراهُ غيرُ المُريدِ

جيم راء / الجَوْزَةُ الرُحِيمُ تَحْبِلُ لَكِنَ بِاللَذَّةِ
سَريرَتِكَ مِنْ أهوائِي أَيْتِها اللَذَّةُ ،
وَرِضاعُكَ مِنْ لَذِيينِ لا أَسْمِيهما .

قاف / القَفْشَةُ عَلَى النّارِ قَاجٌ مِنَ الثُّورِ
القَفْشَةُ عَلَى النّارِ
فُنزُحَةٌ لِطائِرِ نَزَلَ لِتَوِّهِ
مِنْ حَدائِقِ السَّرِّ .

أَضَعُ شَفَتَيْهَا بَيْنَ شَفَتَيْ ، عَنَيْتُ الْمَدَاعَةَ ، رَامِيًا رَمْتِي فِي جَوْفِ الرَّمَانَةِ
حَيْثُ تَسْتَقْبِلُهَا رِثَةُ هَوَاءٍ يَبْدُو كَأَنَّهُ أَخْرَجَ الْهَوَاءَ الَّذِي تَبَقِيَ لَنَا مِنْ فَرَادَيْسِنَا
الضَّائِعَةِ

تَتَفَتَّحُ لِي فِي كُلِّ خَلِيَّةٍ مِنْ جَسَدِي أَكْثَرُ مِنْ حَاسَةِ اسْتِذْرَاجٍ تَعْبِي
وَالْمِلْمَةِ ذَرَّةً ذَرَّةً مِنْ أَعْضَائِي ثُمَّ أَقْنِفُ بِهِ فِي تِلْكَ الْقَصَبَةِ حَيْثُ
يَتَدَخَّرُ وَيَهْبِطُ لِكَيْ يَغْتَسِلَ فِي رُمَانَةِ الْمَاءِ
فِي هَذِهِ الرَّمَانَةِ يَجِدُ الْجَوْفَ الَّذِي يَبْتَلَعُهُ مَاخُوذًا بِهَذَا الْغِيَابِ ، خِلَافًا لِحَدَّثَنَا
يُونُسَ (وَلَا أَقُولُ يُونَانَ ، تَجَنَّبًا لِالْتِبَاسِ مُمَكِّنٍ بَيْنَهُ وَبَيْنَ وَطَنِ هُومِيرُوسِ)
وَأَرَى إِلَى تَعْبِي يَنْفَصِلُ عَنِّي بَعِيدًا قَرِيبًا يَتَمَلَّمُ يَتَسَلَّقُ الْقَعْبَ
يَتَضَوَّرُ شَهْوَةً وَجُوعًا إِلَيَّ نَاقِلًا أُنَيْتَهُ إِلَى مَبْسَمِ الْقَصَبَةِ ..
«الْحَيَاةُ أَوْلَى»

وَاجْتَهِدْ أَيُّهَا الْعَقْلُ لِكَيْ تَكُونَ لَاتِقًا بِهَا ،
أَفْصِلْ شَفَتَيْ عَنْ مَبْسَمِ الْقَصَبَةِ وَأَنْهَضْ يَنْهَضُ هُوَ خَارِجًا مِنْ جَوْفِ
الرَّمَانَةِ يَسْبِقُنِي إِلَى أَعْضَائِي يَعُودُ فِيهَا إِلَى الشَّيْءِ
أَنْزَلِقُ مَعَهُ وَأَهْبِطُ أَقُولُ إِنَّهُ الْهَبُوطُ الَّذِي يَرْفَعُكَ ، يَا نَفْسِي ، لَكِنْ ،
لَعَاذًا لَا أَتَذَكَّرُ فِي هَذِهِ اللَّحْظَةِ ، وَأَنَا فِي أَوْجِ الْعَبْطَةِ ، غَيْرِ الْعَذَابِ ؟
كَمَا لَوْ أَنَّ الْفَرْحَ لَيْسَ إِلَّا الْعَثْبَةَ الْبَهِيَّةَ لِقَصْرِ اسْمِهِ الْحَزْنَ .

أَضَعُ بَيْنَ شَفَتَيْ شَفَتَيْهَا ، عَنَيْتُ الْمَدَاعَةَ ، بَادِئًا رَمْسًا أَخْرَجَ لِحُطُوطِ

أخرى طولاً وعرضاً لهذا الكوكب الكروي الآخر الذي أسميه الحلم
وأتعمي إليه كأنه يؤبؤ في عين الكون ثم أحمس للشخص الذي يشع في
ثيابي انظر إلى القصبه في ثوبها الأحمر في كل خيط وطن وثمة
نوافذ وأبواب أنت عبرها القريب إلى كل شيء

وأكون كررت على الشخص الذي يشع في ثيابي أطبق شفتيك على شفتي
هذه السميراء قل لا غيب أبعد من ذلك الذي يتدور بين أحشائها وقل
لا تعلم الكتب أكثر مما تعلم شفتك ضع مبسمها في مبسمك تنفس
الطبيعة اشرب ما وراءها استرسل في أحلامك استنفر العرافات
اللاتي يتحدرن من سبأ وما قبلها وجاهر بلقيس كلام والتبأ سبأ .

إنه شغفي يهرول بين الخيط والخيط إنه اللون يجتسب المكان يتباطأ
جسدي يتسارع حلمي
يا أعضائي
هل أنت السفن أم الشواطير؟
وأستشير جوزة الماء
ويكون لي أن أقول لست أنا من يعيش الغبطة بل الغبطة هي التي تعيشني .

أَيْنَ نَجْمَتِكَ ، أَيُّهَا الْقُطْبُ؟

أَذْكُرُ الْقُطْبُ صَمُودَ لِلذَّةِ ، وَقَامَةَ وَعِجْرَةَ نُوَكِبِ الْمَسِيرَةِ الَّتِي
يَتَأَخَى فِيهَا الْجَمْرُ وَالْمَاءُ . أَنْذَاكَ تَجْلِسُ مَعَ الْمَدَاعَةِ كَأَنَّكَ تَجْلِسُ
عَلَى مَقْعَدٍ مِنَ الدِّخَانِ يَحْمَلُهُ صَوْتُ الْقَصْبَةِ كَمِثْلِ خِيْمَةِ عَائِمَةٍ
تَشْعُرُ كَأَنَّ أَحَدًا فِي هَذِهِ الْخِيْمَةِ يُمَسِّكُكَ مِنْ ذِرَاعَيْكَ وَيَعْلُو ، يَا
لِلْفِرَاحِ أَنْذَاكَ ... الْفِرَاحِ الَّذِي يَمْتَلِئُ بِنَكْهَةِ الذُّهْرِ يَا لِلْكَسَلِ أَنْذَاكَ ...
الْكَسَلِ الَّذِي يُقَطِّرُ الْعَمَلَ كَأَنَّهُ خَمْرَةٌ الْأَزْمَنَةِ وَمَا أَغْمَضَ الشَّهْوَةَ
أَنْذَاكَ وَمَا أَبْهَاهَا .

أَيْنَ نَجْمَتِكَ ، أَيُّهَا الْقُطْبُ؟

أَذْكُرُ لَيْسَ لِلْمَدَاعَةِ ذَاكِرَةٌ إِلَّا هَذَا اللَّقَاحَ بَيْنَ الْجَمْرِ
وَالنَّارِ لَا يُلَامِسُ أَيُّ مِنْهُمَا الْآخَرَ مَعَ ذَلِكَ يَمْزِجُ بَيْنَهُمَا
نَفْسٌ يَطِيبُ لَكَ أَنْ تُوْمَنَ بِهِ مُؤَكَّدًا أَنَّهُ طَالَعٌ مِنْ فَمِ السَّمَاءِ

أَذْكُرُ فِي هَذَا اللَّقَاحِ يُعَلِّمُكَ ذَلِكَ الْفِرَاحُ وَذَلِكَ الْكَسَلُ أَنْ تَبْرِيَ الطَّرْقَ
بِأَعْضَائِكَ أَنْ تَقُولَ لِلدِّخَانِ أَنْتَ الْغَيْمُ الَّذِي يَقْطَعُ الْمَقِيلَ نِصْفَيْنِ
نِصْفًا لِشَمْسِ الْمُنْحِيلَةِ وَنِصْفًا لِقَمَرِ الْجَسَدِ .

أَيْنَ نَجْمَتِكَ ، أَيُّهَا الْقُطْبُ؟

أَذْكُرُ الْمَدَاعَةَ كَمِثْلِ امْرَأَةٍ تَعْقِلُ حَوَاسِهَا فِيمَا تَنْتَظِرُ مِنْ يُحَرِّرَهَا

نَبْضَةٌ نَبْضَةٌ يَبْطَأُ لَكِنَّ بَحْنُو كَأَنَّهُ الضُّوءُ وَلَيْسَ مِنْ
 شَاهِقٍ بَلْ مِنْ الْقَدَمَيْنِ وَمَا حَوْلَهُمَا صُعُوداً
 رَبَّمَا أَنْذَاكَ تَرَى الْحَلَمَ يَنْزِلُ غَارِباً مِنْ بَيْنِ أَهْدَابِكَ وَيَتَدَلَّرُ بِالْوَقْتِ
 رَبَّمَا تَرَى الْحَبَّ يَقْفُ بَيْنَ يَدَيْكَ مَخْفُوقاً بِحَقَائِبِهِ
 رَبَّمَا تَرَى تِلْكَ الزَّهْرَةَ غَيْرَ الْمَرْثِيَةِ فِي مَاءِ النَّارِجِيلِ تُرْبِعُ لِيَابَهَا عَلَى
 عُنُقِ الْهَيْلَالِ وَتُسْنَدُ سَاقَهَا عَلَى خَاصِرَةِ الْقُطْبِ تَارِكَةً لِتَوْبِجِهَا أَنْ
 يَتَحَرَّرَ مِنَ الْعَادَةِ حَيْثُ يَنَامُ وَيَسْتَيْقِظُ فِي لَحْظَةٍ وَاحِدَةٍ وَقُلْ
 حَيْثُ لَا يَنَامُ وَلَا يَسْتَيْقِظُ بَلْ يَسْتَسَلِمُ لِخَيْدَرٍ لَا فَرْقَ بَيْنَهُ بَيْنَ
 الْأَرَقِ وَالشُّعَاسِ

رَبَّمَا هَمَسْتَ أَفْرِشِي لِي مَسْرُوراً فِي أَعْضَائِي أَيُّهَا الزَّهْرَةُ
 وَخَدِي الْجِهَاتِ كُلِّهَا وَاكْتُبِي أَسْمَاءَهَا عَلَى وَمِثْلِي مَشْهُورَةٌ فِي
 اسْمٍ وَاحِدٍ لَا شَرْقَ لَا غَرْبَ لَا شَمَالَ لَا جَنُوبَ ، بَلِ الْبُورَةُ
 الْعَمُودِيَّةُ الَّتِي تَتَلَقَى فِيهَا الْأَنْحَاءُ .

أَيْنَ نَجْمَتُكَ ، أَيُّهَا الْقُطْبُ؟

هُوَ ذَا مَاءِ الْجَوْزَةِ يَشْتَجِلُ بِأَخْزَانِي لَكِنْ أَخْزَانِي لَا تَلْبَسُ إِلَّا ثِيَابَ
 الصَّمْتِ وَقَلَمًا يُقْرَأُ فِي وَجْهِي إِلَّا غَيْمَ الْأَسْئَلَةِ . وَعِنْدَمَا يُحَاصِرُ عَيْنِي
 ذَلِكَ الْأَحْمَرُ ثَوْبُ الْقَصْبَةِ الَّذِي يَأْبَى قَلْبِي أَنْ يَرَى فِيهِ غَيْرَ الْأَزْرَقِ
 الْبَتْفَسَجِ أَقُولُ لَلْوَنِ هُوَ كَمِثْلِكَ بِأَطْنِ وَظَاهِرٌ لَوْلَا ذَلِكَ لَغَصَّتِ
 الْحَيَاةُ بِحَبْرِ الطَّبِيعَةِ وَلَكَانَ الْفَضَاءُ ضَيْقًا عَلَى الرِّيحِ وَأَقُولُ الْمَدَاعَةُ حَيٌّ
 كَامِلٌ فِي مَدِينَةِ شَهَوَاتِي وَبِاللَّاشِيَاءِ فِي هَذَا الْحَيِّ - لِبَعْضِهَا غَصُونٌ
 كَانَتْهَا الْجَدَائِلُ وَلِبَعْضِهَا نَهْمٌ كَأَنَّهُ تَلْكَ الْمُوقَدَةُ نَارُ اللَّهِ .

يَنْبَسِقُ مِنْ مَاءِ الْجَوْزَةِ نَوْرٌ يَنْشِي فِي أَحْضَائِي يَشْطَعُ فَيَسِمَا وَرَاءَ
 الْكَتْفِ عُنُقِي سَلْمٌ يَتَسَلَّقُ الْأَفْقَ وَرَأْسِي شَعْسٌ زُرْقَاءُ .

(صنماء - باريس ، 25 تموز - 10 آب 1990)

المداعة : هو الاسم اليميني للنارجيلة ، أو الشيشة كما تسمى في مصر .

شهوة تستخدم في خرائط المادة

www.alkottob.com

حَدَّثَ هَكَذَا -

سَكَكِينٌ تَنْزَلُ مِنَ السَّمَاءِ
الْجِسْدَ يُوَكِّضُ إِلَى الْأَمَامِ ، وَالرُّوحَ تَتَجَرَّجِرُ وَرَاعَهُ .

حَدَّثَ هَكَذَا -

مَطَارِقٌ حَدَّادِينَ يَعْْمَلُونَ دَاخِلَ الْجُمُجُمَةِ
خَرَسٌ وَأَنْقِرَاضٌ سَلَالَاتٌ ، -
الْكِتَابَةُ حَمَضٌ إِيذِيُولُوجِي
وَالْكُتُبُ زِيْفُونِيَاتٌ .

(1)

(سَمَى اللُّغَةَ امْرَأَةً

وَالْكِتَابَةَ حَبًّا ،

وَأَخَذَ يَتَحَثُّ عَنْ أَصْنَافِ

الْمُحِيطَاتِ فِي كَلِمَاتِ الْهَذْمِ .

[وَالْإِشَارَةُ هُنَا إِلَى شَيْءٍ اخْتَرَّ

غَيْرَ بَلْقِيسَ وَغَيْرِ سُلَيْمَانَ] .

أَيْنَ سَأَحْفَظُ أَعْيَادِي الَّتِي لَمْ تَعُمَّتْ بَعْدُ؟

كَيْفَ أُحَرِّرُ أَجْنِحَتِي الَّتِي تَتَنَحَّبُ فِي

أَنْفَاصِ اللُّغَةِ؟ وَكَيْفَ أَسْكُنُ

فِي ذَاكِرَتِي ، وَهِيَ خَلِيجٌ مِنْ

الْأَنْفَاصِ الْعَائِمَةِ؟

هَلْ سَيَسْمُو بَيْنَ كَتِفَيْ حَجَرٍ أَوْ جَذْرٍ حَشْحَاشٍ؟ هَلِ الْعَيَوَانَاتُ السَّجِينَةُ
فِي ، سَتَعْرِفُ أَخيراً طَرِيقَ الْهَرُوبِ؟ هَلْ عَلَيَّ أَنْ أَدْخُلَ فِي مَبَاتٍ وَأَنْ أَنْحُونَ
أَعْضَائِي؟ هَلْ عَلَيَّ أَنْ أَصْنَعَ مِنَ الرَّمْلِ سُدَادَاتٍ لِرِئَتِي ، وَأَنْ أَسْتَلْقِي حَجَراً
أَسْوَدَ فِي أَبْدِيَةِ الطَّاعَةِ؟ هَلْ عَلَيَّ أَنْ أَدْمَنَ جَسَدِي بِزَيْتِ الْآلَةِ ، وَأَنْ أَمْلَأَ
حُجْرَتِي بِتَعَمٍّ نَعَم ، لَا لَا؟

كَلًّا ، لَيْسَ لِي وَطَنٌ

إِلَّا فِي هَذِهِ الْعُيُومِ الَّتِي تَتَبَخَّرُ مِنْ بُحَيْرَاتِ الشُّعْرِ .

أُوَيْبِي ، اخْرُسِينِي أَيْتَهَا الضَّادُ الضَّادُ - يَا لُغْتِي ، يَا بَيْتِي

أَدُلِّيكِ تَمِيمَةً فِي عُنُقِ هَذَا الْوَقْتِ ، وَأَفَجِّرُ بِاسْمِكَ أَهْوَالِي

لَا لِأَنَّكَ الْهَيْكَلُ ، لَا لِأَنَّكَ الْآبُ أَوْ الْأُمُّ

بَلْ لِأَنِّي أَحْلُمُ أَنْ أَصْحَكَ وَأَبْكِي فِيكَ

أَنْ أُرْجِمَ أَحْسَانِي
أَنْ أَلْتَصِقَ بِكَ وَأَرْتَمِشَ وَتَصْطَفِقَ أُنْحَانِي
كَمِثْلِ نَوَافِدَ بَيْنَ يَدَي رِيحٍ خَرَجَتْ لِتَوَهَا مِنْ أَصَابِعِ اللَّهِ ، -

هَكَذَا أَتَحَوَّلُ فِيكَ إِلَى نَفْسٍ يَهْبِطُ مِنْ قَمِ السَّمَاءِ
وَيَنْفُخُ فِي فَرْجِ الْأَرْضِ ،
هَكَذَا أَحْضُنُّكَ وَأَقُولُ - مِنْ جَدِيدٍ
أَنْتِ الْجَسَدُ الَّذِي يُسَمَّى الْغَدَّ
وَعَلَى هَذَا الْجَسَدِ يُرْمَى تَرْدُ التَّارِيخِ .

3

مِنْ أَجْلِ أَنْ أَخْلُقَ مِرَاةً تَجْدُرُ أَنْ تَنْتَسِبَ إِلَيَّ وَأَنْ أَتَمْرَأَى فِيهَا
مِنْ أَجْلِ أَنْ أَبْتَكِرَ فَرَاغًا يَتَسَخَّرُ لِأَهْوَالِي
رَبِّمَا فَكَّرْتُ أَنْ أَلْبَسَ مَعْطَافًا يَنْصِفُ ذِرَاعَ
وَأَنْ أَمْشِيَ بِقَدَمِ نِصْفِ حَافِيَةٍ .
رَبِّمَا حَاوَلْتُ أَنْ أَشُقَّ شَرِيانَ غِيَمَةٍ لِكَيْ أَرَوِيَ عَطْشِي
رَبِّمَا تَمَنَّمْتُ : الْوَطْنَ - وَاكْتَفَيْتُ بِأَنْ أَرَوِيَ تَارِيخَ دُرُوشِ
يُشْرِفُ عَلَى الْمَوْتِ كَاسِيًا قَبْرَهُ بِصَوْتِي .
أَوْ رَبِّمَا حَاوَلْتُ أَنْ أَقْتَلَعَ بُرْجَ إِيفَلٍ وَأَزْرَعَ مَكَانَهُ شَجْرَةَ يَأْسَمِينِ شَامِي
وَرَبِّمَا ارْتَأَيْتُ أَنْ أَدْعُو مِنْ جَدِيدٍ أَدَمَ لِكَيْ يَنْبِي لِحُبِّهِ بَيْتًا عَلَى الْأَرْضِ

وَيَتَعَرَّفُ عَلَيَّ أَيْبَانَهُ ، -
إِنَّهَا الشَّمْسُ تَمَشُّطُ رَأْسَ الْغُرُوبِ ، وَثَمَّةَ خَمَارَاتٍ تَصْعَدُ فِي بَارِيسَ صُعُودَ
الْعَذْرَاءِ ، -

أَعْقَدُ جُلُوسَةً مَعَ مَلَائِكَةِ الْإِسْعَافِ الْعَضَلِيِّ ، -
أَتَشَبَّهُ بِالْمَاءِ وَالسَّكْبِ فِي جُرْنِ أَحْزَانِي
أَوْ
أَتَشَبَّهُ بِالْأَفْقِ وَأَصْعَدُ إِلَى ذُرُوءِ رَغَبَاتِي .
أَعْرِفُ - نَمُوتُ مَرَّةً وَاحِدَةً ، وَنُوَلِّدُ مِرَاراً ، وَلَيْسَ الْمَوْتُ صَالِحاً
إِلَّا لِكَيْ نَعِيشَهُ ،
أَعْرِفُ - الْغَيْبُ هَذِهِ الْوَرْدَةُ
الْغَيْبُ هَذِهِ الْمَرَاةُ
وَالْوَجْهُ نَفْسُهُ قَفَا السَّمَاءِ .

أَعْرِفُ - غَيْمَةٌ غَيْمَةٌ
سَتَّصَعَدُ سَمَاوَاتِي مِنْ جَنَاتِ الْأَرْضِ ،
وَأَهْلًا بِالتَّارِيخِ وَهَيَاتِهِ :
كَيْفَ يَبْأَسُ الزَّائِلُ وَطَرِيقُهُ الرِّيحُ؟

لَمْ يَكُنْ وَارِدًا أَنْ أَقَابِلَ رِيْسَارَ قَلْبِ الْأَسَدِ ، أَوْ لَوِيْسَ الرَّابِعِ عَشَرَ ، أَوْ حَتَّى
نَابِلِيُونَ ، هَكَذَا وَجَدْتَنِي حُرًّا

أَلْبَسُ الصَّبَابَ ، وَأَسْتَمْتِعُ بِرُؤْيَةِ كِلَابٍ تَفْتَرِشُ نُهُودَ النَّسَاءِ .
لَكِنْ ، لَا أَذْكَرُ أَنَّنِي لَمَحْتُ نَجْمَةً وَاحِدَةً تَرْقُصُ أَوْ تَقْرَأُ أَوْ تَمْشِي كَمَا كَانَتْ
تَفْعَلُ النُّجُومُ عَادَةً فِي أَيَّامِ طُلُوعِنِي ،
كُنْتُ مُضْطَرًّا أَنْ أَتَخَيَّلَ نُجُومَ قَصَائِمِ وَأَنْ أَهْتَدِيَ بِهَا ،
فِيمَا أُطُوفُ الشُّوَارِعَ ، وَأَسْمَعُ أَيْنَ الْبَشْرِ يَهْتَدِرُ
حَوْلَ السَّيْنِ ، وَلَا مَصْبَ لَهُ .
إِلَى الْمَقْهَى جَاءَ - (الْثُومَاغُو ، أَظُن) ،

جَاءَتْ مَعَهُ كَنِيْسَةُ السَّانِ - جِيرْمَانُ
جَاءَتْ سَمَاءٌ بِعَمُودِ فَقْرِي مَسْئُولُ
جَاءَ جَانٌ جِينِيهِ يُقْنِعُهُ أَنْ يُصَالِحَ اللَّهَ لِسَبَبِ لَمْ يُقْنِعَهُ :
(أَنْ يَكْتَشِفَ جَحِيمَ الْجَنَّةِ)
جَاءَتْ أَرْضٌ لَا تُرِيدُ أَنْ تَرَى السَّمَاءَ
جَاءَ مُشْعَبُونَ يَتَسَلَّقُونَ النُّجُومَ
جَاءَتْ أَصْوَاتٌ مَلَأَى بِقِرَاءَاتِ
الْقَيْبِ فِي الْعَالَمِ
الثَّلَاثِ الْعَرَبِيِّ ، -

]] كَيْفَ أَرَيْنُ لِلْعَرَّالِي أَنْ

يَتَوَرَّ عَقْلَهُ بِضَوْءِ

بَيْتَشِهِ؟

مَعَ ذَلِكَ ، سَأَذْكُرُهُ :

مُنْذُ النَّشْأَةِ ،

تَسَافَرُ إِلَى الْعَالَمِ ،

وَلَمْ تَصِلْ بَعْدُ .]]

(ب)

(في أولي ،

يَتَلَوُّ الْعَالَمَ الثَّلَاثَ فَيَلَا أَمْرَجُ

يَهْبِطُ مِنْ مِظَلَّةٍ تَبَّتْ مَا يَشْبَهُ

هَذَا الْكَلَامَ : «يَارِيسُ تَعْقِدُ اسْلَاقًا

جَدِيدَةً مَعَ الْكَوَاكِبِ ،

وَتَتَعَلَّمُ نُورَةَ الشَّمْسِ» .

ثُمَّ يَتَحَوَّلُ الْفِعْلُ ، بِقَلْبَرَةٍ مَا ،

إِلَى جَدْوَلٍ مِنَ الدَّمِ

يَتَشَرَّدُ فِي الْبُيُوتِ وَالْحَوَائِثِ .)

5

فِي الْمَقْهَى

كُنْتُ أَسْمَعُ الضَّجِيجَ لَا مَبَالِيَا

فِيمَا أَقْرَأُ نَيْشَهُ وَأَحْسِبُهُ طُوفَانًا ، ...

حَقًّا ، يَنْبَغِي أَنْ أَدْعِيَنَّ لِعُلُوقَانِ الْمَعْنَى

يَنْبَغِي أَنْ أَصَادِقَ الشَّمْسَ مَائِلًا كَلَوَّارِ الشَّمْسِ

يَنْبَغِي أَنْ أَسْتَسْلِمَ لِئَلَوْفَرِ الرَّغْبَةِ فِي بَحْرَةِ الْجَسَدِ

يَنْبَغِي أَنْ أَفْرَعَنَّ نَفْسِي كَطِفْلَةٍ أَهْيَيْهَا لِلْمُسْتَقْبَلِ .

هل رأيت الشاعر - يختلط وجهه
 بالصباح
 خالطاً قدميه بالليل؟
 هل رأيت - يسند ظهره على الضوء ،
 ويحاول
 أن يشعل الماء؟
 هل رأيت كيف تتحول أوراقه تيجاناً
 للريح؟

(ت)
 (... في مكان - له شكل طاحسونية
 الهراء .
 حيث الزمن كلمات - جسدياً يكاد
 الملائم
 الذي يثبتها بلوب كالخيزر .
 ... تمثال من الورق لدون كيشوت -
 وحيداً .
 تمثال لحياته - وحيداً ،
 والهواء حبات تتدلى من سماء بلون
 الرصاص .)

كان الجنس يأخذ العرش ،
 كانت تخرج من لا فوتين ذئاب تكمن لطرانديها في قرو الكلمات ،
 كان متشردون يتوسلون أعناق زجاجات فارغة ، -
 بعضهم يهجو ما لأرميه ،
 بعضهم يحلم برامبو ،
 وبعضهم يقرأ المركيز دوساد
 وكان الحي السادس عشر يتراعى كمثل غابة لا تتحرك فيها إلا رؤوس تقيم
 في كل زاوية متحفاً للأعضاء الجنسية ،
 وفي رماذ يغطي وجه الفصاء ، كانت حبال صوتية تدندن بما يشبه الندير -
 رامبو ،

كَيْفَ أَغْبِرُ هَذَا الْعَالَمَ الْأَبْيَضَ ، ... أَنَا الَّذِي جَسَدُهُ النُّبُوَّةُ وَبَيْتُهُ الصَّخْرَاءُ ؟
 كَيْفَ أَشْرَحُ بِكَلِمَاتٍ تَجِيءُ مِنْ الْعَالَمِ ،
 ضَوْءاً يَجِيءُ مِمَّا وَرَاءَهُ ؟
 لَا بُدَّ ، لَا بُدَّ .

سَأَبْتَكِرُ عِلْمَ أَخْلَاقٍ تَخَاصُّا بِي ،
 سَأَجْعَلُ مِنْ مَوْتِي قَصِيدَةً أُنْتَحِ بِهَا حَيَاتِي .

7

(ث)

يُهَيِّئُونَ خَبَارَهُمُ النَّوْرِيَّ / تُرَدُّ صَلَاةُ الْمَوْتَى
 مِنَ الْمَاءِ إِلَى الرَّمْلِ - مِنَ الرَّمْلِ إِلَى التَّلْحِجِ
 الْعَالَمُ كُلُّهُ سَمَكَةٌ لِلصَّيْدِ :
 (... فَلَمَّا سَابِقِي عَنِ الْعَسْوَى
 وَتَمَعْنِ الْمَيْضِي الزَّمْنِي
 الْإَاتُ تُحَوَّلُ الْبَشَرُ إِلَى حَسَاءٍ لِرَجْوَانِي
 فِي شَرْقٍ مُؤَثِّثٍ بِالْهَمَّةِ لَا تَرَى مِنْهَا
 غَيْرَ اضْلَافِهَا .
 فِي غَرْبٍ لَمْ يَغْدُ بِقَرَأٍ إِلَّا لِنَعْمَاءِ
 وَأَنْبَاءِ ،
 وَهَا هُوَ يَنْتَسِفُ تَحْتَ أَهْرَاءِ الْبَيْدَارِ
 الْإِلَيْكَ تُرُونِي .)

الشَّرْقُ جُرْحٌ وَلَمْ تَعُدِ السِّيَامَةَ إِلَّا تَقْيِيحاً
 لَكِنْ ، سَتُمْطَرُ أَيْضاً فِي الْغَرْبِ
 سَتُمْطَرُ فَوْقَ بِيوتٍ تَنْمُو فِيهَا أَعْشَابُ الدِّيَزَلِ وَالْأُورَانِيومِ
 وَسَوْفَ يَكُونُ الْمَطَرُ مُوجِلاً وَأَسْوَدَ .

أوه ... كَلْبَةُ السَّيِّدِ تَتَبَوَّلُ عَلَى الْأَنْفَالِيدِ ،
أوه ... كَلْبُ السَّيِّدَةِ يَزِرِقُ عَلَى مَخَذَةِ قَوْسِ النُّصَيْرِ .

(ج)
(مِنَ الْجِهَاتِ كُلِّهَا ، تَتَحَاكَلُ هَيْبِمَ سَوْدَ ، -
الْأَعْيَادُ الَّتِي لَمْ تَمُتْ تَكَادُ أَنْ
تَمُوتَ ،
وَالدَّرُّ ذُهَابُهُ مَطِينٌ زَاهِقَةٌ عَلَى
جِبْهَةِ الْوَقْتِ /
يَلَذُّكَ الْخُبْزُ السُّرِيُّ - تَأْكُلُهُ الْجِرْفَانُ
الْإِلِكْتُرُونِيَّةُ) .

مَيِّتٌ أَعْطَى مَيِّتٌ أَحَدًا ،
وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ، وَالَّذِي
نَفْسُهُ بِيَدِي ، يَتَّحِدَانِ فِي
جَوْقَةِ الْكَلَامِ - فِي شَفَا
جُرْفٍ هَارٍ
هَلْ هَذَا الْعَالَمُ شَيْءٌ آخَرَ
غَيْرَ هَذَا الَّذِي أَرَاهُ؟

(ج)
(يَتَّبِعِي أَنْ تَتَعَوَّدَ شَاعِرُ الْغُرَبِ ، هُوَ أَيْضًا ،
أَنْ يَتَّكِيَ عَلَى الطَّلَلِ ،
وَأَنْ يَكْتُبَ عَلَى الرَّمْلِ .
يَتَّبِعِي أَنْ يَعْرِفَ كَيْفَ يُوحِّدُ بَيْنَ الثَّرَيَاتِ
وَالسُّمِّ
وَأَنْ يَعْرِفَ كَيْفَ يَحُلُّ مَا
لَا يُمَكِّنُ حَلَّهُ ،
يَتَّبِعِي ، هُوَ أَيْضًا ،
أَنْ يَعْرِفَ كَيْفَ يَشْكُرُ الرِّيحَ) .

وَأَنْتِ ، إِلَيَّ وَليمةِ المِخْتَةِ ، أَدْعُوكِ أَيْتَهَا
السَّيَّارَاتِ الْعُلُويَّةِ الَّتِي تُحَرِّكُهَا الْأَطَافِرُ ،
التَّارِيخُ مُتَبَلِّ بِعَطَّارِينَ يُزَيِّنُونَ الْأُوبَةَ
وَالعَمَلُ كُلُّهُ كَسِيفٌ فِي المَاءِ .

هنا ، حيثُ بُنِيَ أَحْشَاشُ الْبَسَارِ
 وَيَبِيضُ الْيَمِينُ ،
 أَرَى إِلَى الْوَقْتِ يَتَكَثَّرُ بِأَرْوَادِ
 أَيْبُضَ ، فِيمَا أَقْبَسُ الْأَعَالِي
 الَّتِي يُمَكِّنُ أَنْ تَرْفَى إِلَيْهَا طَيْرُ
 الْحَلْمِ ، وَفِيمَا يَتَوَضَّأُ جَامِعُ الْحَيِّ
 الْخَامِسِ ، دَاخِلًا فِي بِيَاضِ الصَّلَاةِ ،

(خ)

(مَا هَلِ الشَّيْءُ ، مَا هَلِ الْكُتُبُ !)
 يَتَعَجَّبُ النَّازِلُ الضَّيْفُ الَّذِي لَا يَلِيْتُ
 أَنْ يَضِيحَ كَمِثْلِي نَمَطَةً ، فِي سَطْرِ ،
 فِي هَامِشٍ ، فِي زَاوِيَةِ مَا .

— هل التَّصَوُّقُ حَلْفُكَ يَهْسِلًا
 الْإِسْمَنْتُ؟ هل تَقْلَعُ طَوْفَانِكَ فِي
 هَذَا الْمُقَهَّرِ؟
 وَمَاذَا يَحْدِرُونَ لَصَخْرَاتِكَ ، غَيْرَ الرَّمْلِ ،
 هَذَا الْأَمْلَسُ الْقَرِيبُ؟

ولمَّاذَا لَا يُسْمَعُ صَوْتُكَ إِلَّا حِينَ
 يَجِيءُ طَالِمًا مِنَ الْقَصَبِ الَّذِي
 لَا يَزَالُ يَنْبِتُ حَوْلَ مَا تَبَقِيَ لَكَ مِنَ
 الْبِنَابِيعِ فِي أَرْضِكَ الْكَرِيمَةِ؟

أَيُّهَا الضَّيْفُ الْغَامِضُ: رَجَاءٌ لَا
 تَتَعَجَّبُ أَيْضًا ، إِذْ أَقُولُ لَكَ: افْحَلْ
 قَبْلَ أَنْ يَسْتَضِيْفَكَ الْمَوْتُ ، لِكَيْ
 تَمُوتَ ، لَا كَمِثْلِ قَرَاشَةٍ ، بَلْ كَمِثْلِ

(رَدَّةٌ)

وَفِي الصَّبَاحِ ، إِذْ يَسْعَلُ بُولْفَارَ السَّانِ مِيشِيلَ ،
 وَتَلْتَطِمُ أَحْشَاؤُهُ بِأَقْدَامِ الْمَارَّةِ ، يَحْلُو أَنْ
 أَرَى السَّمَاءَ تَنْزَلُكَ مِنْ بَيْنِ كَسْفِي ،
 وَأَنْ تَمُوءَ
 نِطَّةً شَارِدَةً فِي أُذُنِ الرِّيحِ ،

وَأَكَادُ لَا أَرَى فِي بَارِيسَ إِلَّا شَخْصِيَيْنِ :
 وَاحِدًا يَحْلُمُ تَائِهًا فِي حُرُوبِ آبَارِ 68
 وَأَخْرَ يَسْتَلْقِي بَيْنَ طَنَافِسِ الْقَرْنِ السَّادِسِ
 عَشَرَ .

كَيْفَ أَصَالِحُ إِذْنُ ، بَيْنَ رَمَادِ بَارِيسَ وَشَمْسِنَا
 الَّتِي تَقَطَّرُ دَمًا؟ كَيْفَ الْأَيْمُ بَيْنَ شَاطِئِي
 يَحْرِنَا الْمُتَوَسِّطِ الْمُشْتَرِكِ ، فِيمَا تَتَعَثَّرُ

بأباطرة العَبَثِ ، وَتَخْلَعُ سُلْطَانَ الْمَعْنَى ؟ كَيْفَ

أَوْفَقُ بَيْنَ بَرَجِ إِيفَلِّ وَالْمَسْأَلَةِ الْمِصْرِيَّةِ فِي

سَاحَةِ الْكُونُكُورْدِ؟

أَقْسِمُ إِنَّهُ بَارِدٌ وَشِبْهُ مَيِّتٍ

أَقْسِمُ إِنَّهَا أَجْمَلُ عَاشِقَةٍ ، وَأَنَّ قَامَتَهَا

هِيَ الْأَلْفُ الْحَقُّ .

أَقْسِمُ إِنَّ سَرِيرَ الْحَفْصَانَةِ الْبِشْرِيَّةِ

لَمْ يَعْرِفْ عَرَبِيًّا أَبَهِى .

10

(د)

1 - (قُلْ جَاءَ الْوَقْتُ بِمَوَالِدِهِ ، -

الْحَيَاةُ حَصَانَةٌ الَّتِي تُطْبَعُ

وَالْمَوْتُ لُخْمَةٌ الَّتِي هِيَ)

2 - (قُلْ الْكَلَامُ خَلِيفَةُ الرَّزْقِ ،

قَبْوَةُ الرَّبْحِ .)

بَارِسُ ،

ضَوْعُكَ يَكَادُ أَنْ يَخُونَنِي

(يَجْلِسُ الْقَرْفَصَاءُ /

يَسِيرُ عَلَى عَكَازَيْنِ) ،

هَلْ أَقُولُ لِبَسَاطِ الْمُخَيَّلَةِ أَحْمِلْنِي ؟ -

أَهْبِطُ فِي مَوْثَمَارْتَرُ ، عَلَى عَتَبَةِ

السَّاكِرِيِّ - كُورُ ، فِي صَحْنٍ يَبْضُرِي

يَحْمِلُهُ خُرُوفٌ مِنَ الْقُنَمِ ،

أَتَعَرَّفْتُ عَلَى جَاكُ سَيَمُونُ الَّذِي رَأَى الْمَاعِزَ فِي عُرْفَتِهِ ،
 أَرَى أَشْخَاصاً كَمِثْلِ السَّيِّدِ يَسُونُونَ
 وَالسَّيِّدَةُ زَوْجَتُهُ «يُزَيِّنُونَ الْحَيَوَانَاتِ ، وَيُهَيِّمُونَ مَاتِمَهَا» ،
 أَزُورُ مَقْبَرَةَ (سِرْيَةَ - خَوْفَ أَنْ تَتَبَشَّ الْجَثَثُ) ،
 أَجْلِسُ فِي مَقَاهِ تُذَكِّرُ بِمَقْهَى الْعُمَيَّانِ
 فِي أَرْوَقَةِ الْبَالِيَةِ - زُوَيَّالٌ ، مَعَ مُتَعَمِّينَ
 مِنْ كُلِّ نَوْعٍ ،

(د) يَنْفُشُونَ السَّاعَاتِ كَالْقَطْلَنِ . (يَأْخُذُ السَّمَاءَ مَسْلُوبَةً عَلَى قَائِمَةِ الْبُرْجِ يَزُورُونَ .
 وَيَتَرَكُّ لِنَجْمَةٍ خَالَهَا ضَوْءُ السُّورِيَّالِيَةِ
 أَنْ يَكْبِي عَلَى فِرَاعَتِهِ .)

بَارِيسُ ، لَمَمْتُ أَنْحَاءَكِ الْمُتَنَائِرَةَ فِي أَعْضَائِي ،
 وَابْتَكَّرْتُ لَكَ جَسَدًا
 آخَرَ ، -

(و) (الرُّوحُ شَبَّحَ لَا يَنْطَلِقُ ،
 وَالْجَسَدُ ، وَحْدَهُ ، يَقْلِبُ
 أَنْ يَقُولَ الْجَسَدُ) .
 وَهَا أَنَا أَقْتَفِي خَطَوَاتِ الْأَحْدَبِ ،
 لَا الْأَحْدَبُ الَّذِي نَامَتْ بَيْنَ
 يَدَيْهِ نُوقَرْدَامُ ، بَلْ ذَلِكَ الَّذِي
 (أَيْسَ فَيَنْبِقُ الْمَعْلَةَ بِلِ التَّخْيِيلِ ،
 إِذْ ، مَا نَفَعُ أَنْ تَقْرَهُوا رَأْسَ مَارْتِنِ
 كَمَا يُفْرَعُ الْبَابُ ، وَأَنْ تَخْلُؤُوا
 مِنْ قَائِمَتِهِ سَلْمًا لِلصُّعُودِ ،
 إِنَّ كَانَتْ الرَّغْبَةُ سَتَقْلُ عَزْلًا ،
 إِنَّ كَانَ الْحَلْمُ سَيَبْقَى نَهْرًا مُتَجَمِّدًا بِاضْطِرَابِ ،
 أَلْقَى هَذِهِ الْمُوَعِظَةَ فِي سَاحَةِ الْبَاسْتِيلِ ،
 [كَانَ بَيْنَ الْحَضُورِ سَائِدٌ - جَوْشَنُ ،
 وَرَيْسِييرُ ، وَدَانْتُونُ ، وَتَمِيَّةُ الْخَلْفِ]
 وَارْتَفَعَ صَوْتُ يَقُولُ : سَحَقًا لِلْفِرَاحِ
 الَّذِي يَبْتَلِعُ الذَّاتِ وَالْحُجْرَةَ ،
 وَأَخْلَتِ أَسْوَاطُ تُرَدُّ : آمِينَ!)

لا يزال يظهر ، كل يوم ، شعباً
يزحف على أرضية السان - ميشيل ،
ويتقوس فوقه الليل في الحي السادس
عشر ، حيث الذكر يستأن حيوانات ،
والأنثى حديقة لنباتات خنثى .

أقول هامساً : شبح وأسأل : نرفال
هل كان الحبل ناعماً ، كما اشتبهت؟

فيرلين

انظر ، إنها ذراع الشجر تنحدر من قمة الأوترا ، حاملة القيثارة الذهبي .
وانظرا إنها تتحطم حيث عبر جثمانك في طريقه إلى غرقته الأخيرة .

وكانت «أغبياءك العاشقة» ترافق العربة التي نقلت برليوز إلى مقبرة
مونتازتر ، وتصغي إليها تحمحم الوداع .

أقول هامساً : شبح ، فيما انعطفت نحو كنيسة السان - جيرمان ، لكي
أحبي أبولينيير :

سلاماً ، أيها الشبح ، أنت أيضاً .

اللوفر

نوتردام

برج ليفل

هل أحلم؟ ... لم يعد برج ليفل في مكانه
 وها هو اللوفر يزحف نحو الشاطئ الشرقي من المتوسط
 كأنه يريد ، هو أيضاً ، أن يقتفي خطوات الإسكندر ،
 وها هي نوتردام تنام ، فيما تبتهل وتربت على كتف
 السماء لكي تتخذها وسادة لأحلامها .

اللوفر

نوتردام

برج ليفل

جامع الحبي الخامس

أتمثال يريد أن يقنعني أن عذراء من القرب هي التي حبلت بالعقل للمرأة
 الأولى؟

ولمن هذا القول: «هكذا تكلمت المعدة:

نسمي الشرق والغرب خصمين ،

والغبار حكماً؟»

ثم انظر إلى الوجوه وأقول:

الجماد ليس في الجماد ، بل في الإنسان .

ابكي ، يا ملائكة الجحيم ،
لن تجدي بعد الآن زائراً تستمتعين بشوائه ؛
أفواجاً ، أفواجاً – تمضي إلى النعيم الحيوانات كلها ، ناطقة وعجماء .

12

حدث هكذا

ولتفجر ذاكرة السلاات ، -

بوداير

ملائكة جامدون في أنحاء توتردام
يحتاجون إلى أجساد أنشوية
لكي يعرفوا كيف يسرون في
الهواء -

أبو نواس

بشر من فصيلة الإنسان الناطق
لكنهم لا ينطقون ،
وليس ذلك بسبب من الخرس
أو أية عاهة جسدية ،

هواء يرفض أن يتحرك ، إلا إذا

تفتحت فيه من روحك -

حيث النساء جراز نصف

في صحراء - غاز ، للغزو

حرب يعلنها ذلك هذا ذلك

لا لكي يتحرر ،

بَلْ لِكَيْ يَبْقَى عَبْدًا ...

لَكِنْ ، هَا هِيَ يَدُ تُعَسِّرِي الْهَسَاءَ مِنْ

ثِيَابِهِ ،

تَكْسُوهُ بِثِيَابٍ أُخْرَى

لَكِنْ ، هَا هُوَ بَيْتٌ يَأْخُذُنِي إِلَيْهِ

جَسَدِي

أَتَعْرِفُ عَلَيْهِ كَأَنَّهُ لَيْسَ جَسَدِي

فِي لَيْلَةٍ لَمْ أَقْدِرْ لِحِمَالِهَا

أَنَّ أَمِيرَ بَيْتِهَا وَبَيْنَ سِرْوَالِي

حَيْثُ اللَّهُ نَفْسُهُ

مَبْلَلٌ بِعَرَقِ الْعَصْرِ

مَكْسُورَاتٍ

فِي أَسِيرَةٍ تَخْتَبِعُ تَحْتَ قَنَاطِرِ

السَّيْنِ وَالْعُجُورِ أَحْلَامُهَا

الْعَائِمَةُ

حَيْثُ يَلْتَسِحِفُ الْعَقْلُ الْإِلَيْكَشْرُونِي

بِعِبَادَةٍ

كُرَيْشَنَا ، وَيَضْمَلُجَعُ الْمَيْتُونُورِ

الْأَسْوَدُ فِي أَحْضَانِ الْمَرْأَةِ

الْبَيْضَاءِ .

حَيْثُ تَخْرُجُ مَسَلَايِكَةُ الْحِكْمَةِ مِنْ

سُجُونِهَا

وَتَنْدَفِعُ إِلَى عِنَاقِ مَسَلَايِكَةِ

الرَّغْبَةِ فِي مَسَدِيمِ إِشَارَاتِ

وَكُلِّ إِشَارَةٍ مُعْجَمٍ .

حَدَّثَ هَكَذَا ... وَاتَّفَجَّرِي

يَا ذَاكِرَةَ السَّلَالَاتِ ، -

المعتبى

غَرَازَاتٌ لِمَسَامِيرِ الْعَقِينَةِ
طَرَائِدُ تَتَعَقَّبُهَا الْفِئْرَانُ

هو هو

فِي زَمَنِ ... مِصْفَاةٍ يَنْزِلُ مِنْهَا بِدْفَقٍ
وَاحِدٍ ، دَمُ الْقَتِيلِ وَلُعَابُ الْقَاتِلِ

كَائِنَاتٌ بِرُؤُوسِ الدَّجَاجِ وَقَامَاتِ
الْعَمَالِقَةِ

سَدِيمٌ تَعْتَرِجُ فِيهِ الْأَشْيَاءُ ، ...
حَيَوَانَاتٌ مِنَ الْقَمَشِ تَرَكُّضُ ، يَتَّبِعُهَا
أَطْفَالُ عَمِيَانِ ،

فِي مَمَالِكٍ ... جَوَارِ

شَخْصٌ يَحْمِلُ مِذْرَابَةً تَحْمِلُ رَأْسًا رَمَزًا

رُؤُوسٌ تُذَكِّرُ بِرَأْسِ أَوْزَانِيوسِ

لِسُلْطَانِ

قُصَاصَاتٌ أَشْلَاءُ ، وَالرُّؤُوسُ قَوَاصِلُ لِكَيْتِهَا لَا تَسْبِغُ فِي الْعَمَاءِ ، بَلْ فِي
وَحَرَكَاتِ الدُّنْحَانِ

خُرَافَاتٌ تَتَّبِعُ بَيْنَ الْوَرِيدِ وَالْوَرِيدِ فِي

فِي صَرَاحٍ لَا يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ شَفَتَيْنِ ،
وَتَرَى فِيهِ أَيْدِيَّ تَتَخَبَّطُ وَلَا تَرَى
أَجْسَامًا

تَارِيخٌ يَلْفَ عَلَى وَشِيعَةِ لِلْحَقِيقَةِ ،
وَالْحَمْدُ لِلْكَافُورِ وَالسَّيْلُولُوزِ ،

أَقْدَامُ تَمْشِي فِي اللَّحْظَةِ نَفْسِهَا إِلَى

الْيَمِينِ

وَالْيَسَارِ

عَمَالٌ يَعُودُونَ كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى أَكْوَانِهِمْ

يَحْمِلُونَ عِيدَانًا لَيْسَتْ إِلَّا أَفْعَادًا

لأخربين عاطلين عن العمل .
هل أحوال الجسم تتبع حقاً أحوال النفس؟
أسأل ذلك الرجل الذي كان يكرّر عليّ هذا
القول في بيروت ، والذي كان يلبس خفّاً أحمر -
يمتطي جرادةً وتصيح الدنيا باطلً باطلً .
كلاً ، كلاً

جسدي يُحبُّ شحوبَ السماء
وأحلامي تُغيّرُ طريقها ، -
أظنُّ أن الكائن الذي يسيرُ صلياً ووجهه كمثلِ أنشودةٍ
والذي يُشاطرُ الغرات والنيل
فيما يُشاطرُ السنين والهندسن والتأيمز ،
لا يسير ، بل يُسرِّمُ لكني يقدرُ أن يتعرفَ على أعضائه ،
والحمدُ لكلِّ التباسٍ .
هل لي أن أنتظرَ تسنُّبلَ بذارٍ آخر؟

13

شغفي مليءٌ بذارٍ يخرجُ خفيةً من هيراقليطس وينتشه ،
ذلك أن في أحزاني شيئاً من ورق الغار ، وأن بينَ كتفي شراعاً رأيتُ شبيهه
مرةً في البحر المتوسط ، قُربَ جزيرة أرواد (والغريبُ أن اسمه هَجَرَ
ذاكرتي) ،

ذَلِكَ أَنِّي أَطَارِدُ رَأْسَ ذَرَّةٍ
يَخْرُجُ مِنْ كَهْفِ إِلِكْتُرُونِي ،
يَلْتَفُّ حَوْلَ نَفْسِهِ كَالْبَهْمَلَةِ ، ثُمَّ يَتَفَكَّكُ صَوْتًا فِي بُوقِ كُنْسِي
لَا يَزَالُ يَلْتَصِقُ بِجِدْعِ الْقَرْنِ السَّادِسِ عَشَرَ ،

ذَلِكَ أَنَّهُ يَكْفِي لِكَيْ تُشَكَّلَ جَسَدَ إِنْسَانٍ فِي هَذَا الْعَصْرِ
أَنْ تَمْرُجَ أَرْجُلُ نَمَلَةٍ بِرَأْسِ جِرَادَةٍ (وَإِنْخَرَّ ، لِكَيْ تُشَكَّلَ رَوْحُهُ ، مَا شِئْتَ مِنْ
تِلْكَ الْمَوَادِّ الَّتِي تَمَلَأُ الْحَوَائِثَ) ،
ذَلِكَ أَنَّ سُلْطَةَ السَّمَاءِ لَا تَزَالُ تَنْحَنِي أَمَامَ كُرْسِيِّ جَانِ دَارِكِ ،
وَأَنَّ مَاءَ لَا يَزَالُ يَتَقَطَّرُ مِنْ حَدِّ سَيْفِهَا .

14

هَلْ جَسَدُ بَارِسٍ يَجِفُّ؟ تَسَاعَلْتُ ، وَأَنَا أَسْتَقْبِلُ فِي شَامِبِ دُو مَارِسِ كَوَكَبًا
سَرْعَانَ مَا تَحْوَلُ إِلَى قَرَوِ مِيْمُوزِي ، أَخَلْتُ تَتَحَلَّقُ حَوْلَهُ نُجُومٌ
مِنَ الْكَلِمَاتِ صَغِيرَةً كَعَجِيزَةِ مَارِي أَنْطَلَوَانِيَتْ ،
وَلَمْ يَكُنِ الشَّجَرُ يُصَدِّقُ الزُّهْرَ ، وَلَا الزُّهْرُ يَتَّقُ بِالشَّمْسِ ،
كَانَتْ الرِّيحُ وَحْدَهَا لَا عُبَالِيَةَ وَكَانَ الْغُبَارُ يُصَفِّقُ لَهَا .
وَحَسِبْتُ وَأَنَا أَنْظُرُ إِلَيَّ بُرْجَ إِيْفَلٍ أَنْ طِفْلَةٌ تَرْفَعُهُ بِسَاعِدَيْهَا ، خِلَافًا لِمَا يُؤَكِّدُهُ
لُورِسُ كَارُولُ ،
وَكَانَ لِلْوَجُوهِ حَوْلَهُ أَشْكَالٌ غُيُومٌ تُغَيِّرُ لَوْنَهَا دَائِمًا ،

ولم تكن الرؤوس فمرية ولا شمسية ،
كانت ، بالآخرى ، تنتسب إلى كوكبٍ آخرٍ نسيته كيف أصفه (سأسالُ عنه
ليترى ، فيما بعد) .

بالأشياء المتناقضة التي لا تقدر أن نرى وحدةً إلا فيها!
وإذ هدأ تعجبي ، قلتُ مُعلمتاً - باريس ،

رُتما في هنيهةٍ ما (فيما أدخل إلى أحشاء

الطبيعة ، نالياً أسماء شوارعك

شارع الشلالات ، شارع الجداول ، شارع الحور ، شارع الأكاميا ، شارع
الصفصاف ، شارع اللوز ، شارع الكستناء ، شارع الكرز ، شارع الثوت ، شارع
الخوخ ، شارع الثين ، شارع الورد ، شارع الزيزفون -

دون أن أنسى شارع موزايا ورنينة العربي) - رُتما في هنيهةٍ ما ، سأوحدُ بين
حروفك الصائتة ومثيلاتها في اسمي ، تاركاً الحروف الساكنة لنعاسها
السمائي ، أو رُتما صنعتُ منها سجادةً لن يقدر شاعرٌ فرنسيٌ حتى بونج
نفسه ، أن يميز بينها وبين الجناح .

15

تقولُ إن . أقولُ ليكن .

أزمي أقلامي لحفرةٍ في وجه القمر ، وأضطي ذكرياتي لتجعليلةٍ في عنق
السن -

اجر ، أيها النهار ، حاملاً الغبار وفصوله

لا تَسْ فَذِكْ النَّهْرَ الْآخَرَ الَّذِي يَجْرِي بَيْنَكَ وَبَيْنَكَ
 اخْتَرِسْ مِنَ الْأَثْوَةِ الَّتِي فِيكَ وَالَّتِي لَا تَطْهَرُ إِلَّا ذُكُورَةً
 اخْتَرِسْ مِنَ الْكَائِنِ الَّذِي فِيكَ ، وَالَّذِي يُوسِسُ أَنَّهُ أَكْمَلُكَ .
 اجْرِ ، أَيُّهَا السَّيْنُ

(ز)
 مَوْجاً يَخْتَرِعُ طَمِيهَ مِنَ الْبَشْرِ وَالْأَنْفَاصِ الْآخَرَى - (الوقتُ يَجِيءُ بِوُجُوهِهِ ، لَكِنْ
 وَآرَى إِلَى السَّيْنِ جَارِياً - كَيْفَ يَرَوْنَهَا؟
 يَحْمِلُ طَمِيهَ مِنَ الْعَرَبِ وَالْبَرْتَغَالِيِّينَ
 مِنَ إِفْرِيْقِيَا وَأَسِيَا ، وَبَقِيَّةِ الْمَتَاهَاتِ ،
 يَحْمِلُ أَجْرَاسَ أُوْرُوْبَا الَّتِي بَدَأَ الطَّحْلُبُ يُعْطِيهَا ،
 (الوقتُ يَجِيءُ بِسَهَابِهِ ، لَكِنْ
 هَلْ يَقْدِرُ أَنْ يَتَمَرَّأَى فِيهَا؟
 الْوَقْتُ يَجِيءُ بِسَهَابِهِ
 وَالْأَسْيَابُ كُلُّهَا تَرْتَجِفُ ، -
 أَظُنُّ أَنَّ اسْمَكَ ، أَيُّهَا الْوَقْتُ ،
 هُوَ الَّذِي يَفْسِقُ فِي حَنْجَرِهِ
 كَعُورَةِ الْقَرْيَةِ .)

أَرَى إِلَيْهِ يَجْرِي -
 تَجْرِي مَعَهُ أَفْرَاسُ الْقُرُونِ الْوَسْطَى
 وَعَرَبَاتُ النَّهْضَةِ وَدُمَى الْحَدَائِثِ ،
 تَجْرِي أَصْوَاتُ بُونْدَلِيرٍ وَلُوتْرِيَامُونُ ،
 نَرْفَالُ ، وَهِيْجُو ، رَامْبُو ، مَالَارْمِيه ،
 بِيكَاَسُو ،
 يَجْرِي وَتَتَكَسَّرُ فِي تَمُوجَاتِهِ الثُّورَاتُ
 وَالتَّوَارِيخُ كَخَبْزِ يَابِسٍ .
 (س)
 (الْحَيَاةُ تَتَلَكَّأُ بَيْنَ خَطَاوِيهِ ، -
 إِلَهْلَا يُحْيِي الْعَادَةَ الَّتِي تَجْتُمُّ حَوْلَهُ ، كَأَنَّهَا
 مَوْلُهُ الْعُسْبُوقُ؟
 إِلَهْلَا يُكْرِرُ سَوَائِهِ :
 أَلَنْ يَقْدِرَ هَذَا الْعَالَمُ أَنْ يَرْتَدَّ
 فِي أَسِيرَةٍ لَيْسَتْ لِلْقَتْلِ؟)

أقول إن ،
تقول ليكن ...

اجر ، أيها النهر ،
أجلس أطراف العالم على ركبتيك ،
وقدم لها آخر هبة للهواء -

الماء رغبة وغطاسون يرتجلون اللذة ،
والشهوة تملك الضفاف .

16

إنها شهوتي تتدفق في خرائط المادة ،
وها هي الدقائق تتفتح في أسيرة
المكان ، كمثيل أعضاه جنسية .
وفي سبيري ، كل صباح من 116 ، شارع
لوريميل ، إلى 1 ، شارع ميوليس ، اقرأ
في نقطة الماء كتاب المحيطات ،
ألمس الضوء الذي يعمل كالمحراث
وأكتشف كيف يظل الشاعر طقلاً وله عمر الأفق .

(ش)
(لا الشسرقي لله ، ولا العسرب ، [وهلوا
لشوته]
وهذا هو الشمال يشرق في جليد الماكورة
وكأما ظن الجنوب أنه خرج من داء ،
دخل في داء آخر ،
ثم يفتح مكرراً عليه الحكمة :
الفرح أقرب الاصدقاء إلى العزّين) .

ثُمَّ لَا أَعُودُ أَتَرَدَّدُ فِي الْقَوْلِ : «الذَّاتُ

وَالْآخِرُ

أَنَا»

وَلَيْسَ الْوَقْتُ نَفْسُهُ إِلَّا سَلَّةٌ

لِقَطَافِ الشَّعْرِ .

فَجَاءَ ، التَّقِي رَامِبُو ، وَتَجَدَّدَ مِثَاقُنَا :

الْحِجَابُ هُوَ نَفْسُهُ الضُّوءُ /

الْغَرْبُ اسْمٌ آخَرٌ لِلشَّرْقِ .

(ص)

(ما الذي يجعلُ قديميهِ تَعْرِفَانِ السَّيْنَ ،
أَكْثَرَ مِنْ دَجَلَةٍ أَوْ بَرْدِي؟

بِأَلِهِ مِنْ يُهْلَوُكُ -

يُحِبُّ الْإِنْسَانَ أَكْثَرَ مِمَّا يُحِبُّ الْأَرْضَ ،

وَيُحِبُّ الْأَرْضَ أَكْثَرَ مِمَّا يُحِبُّ الْوَطْنَ .)

(ض)

17

I - (يَبْقَى أَنْ يُشْرَقَ السَّيْنُ

كَلًّا ، لَيْسَ جَسَدِي بَجَمَاعٍ وَلَا فَيُؤَفِّرُ ،

لَكِنْ نَحْتُ أَمْدَابِي تَرْقُدُ أَرْفِيلِيَا ،

كَانَتْ قَدْ أَكْشَفْتَنِي خَطًّا ،

وَأَخْلَامِي كُلَّهَا بِخَيْرَاتٍ جُنَّتْ .

كَمَاءِ الْغُرَاتِ ، بِضَوْءِ الْكَوْكَبِ .)

II - (يَبْقَى أَنْ تَرْفَعَ لِلْحِكْمَةِ حَمُودًا آخَرَ ،

يَبْقَى أَنْ تَصْنَعَ مَرَاكِبَ فَضَالِيَةً ،

لَا لِكُنِّي نَلْعَبَ إِلَى الْكَوْكَبِ ،

بَلْ إِلَى بُيُوتِنَا ،

يَبْقَى أَنْ نَبْتَكِرَ حَيَوَانَاتٍ مُجَنَّبَةً

تَتَقَلُّ مَجَانًا جَمِيعَ الْفُقَرَاءِ

الَّذِينَ يَحْتَلِمُونَ بِالْعُلُوبِ حَوْلَ

الْأَمَاكِينِ الَّتِي يَتَقَدَّسُونَهَا ،

يَبْقَى أَنْ نَعْرِيفَ كَيْفَ نُحَوِّلُ الرِّيحَ إِلَى تَرْدِ

صَائِبِ .)

وَالآنَ ، انْصَحْ نَفْسِي بِصَوْتِ عَالٍ

أَمَامَ هَامِلَتٍ :

لَا كُنْ حَكِيمًا -

لَأَنْدَكُشِرَ دَائِمًا أَنَّ الْحَيِّ

وَالْمَرَضِينَ مِنْ عَائِلَةٍ وَاحِدَةٍ ،

لا توقفَ عن الاهتمامِ بالنهارِ
والليلِ ، القمرِ والشمسِ
حقاً ، للحبِّ كما يُعلمُ هاملت ، حروبٌ كثيرةٌ
ولا بدُّ ، بينَ وقتٍ وآخر ، من عاصفةٍ
في الجسدِ تُعيدُ ترتيبَ أعضائه ، ...
هكذا رَعيتُ ، هذا المساء ، قطعانَ الشوارعِ في باريس ،
وحينَ رأيتُ نوافيرَ اللهبِ تتفجّرُ من أفخاذِ العِماراتِ ، تَمَتَّمتُ :
لا شيءَ يملأُني وضوحاً كهذا التَموضِ
(أو لعلِّي تَمَتَّمتُ : لا شيءَ يملأُني غموضاً كهذا الوضوحِ .)

هو ذا أنا ، ...

أخرجُ من سألتي كعطرٍ ورْدَةٍ
تكادُ أن تموتَ ،

III - (كيف تُؤخذُ هذه الراحةُ ...
السمكةُ في ماءِ العَصْرِ؟
كيف يُقيمُ في جسدهِ الذي
يفرغُ حتى منه؟
كيف يُفكِّكُ هذا الجِسْمَ
المترنِّبُ من كلامِهِ الذي تسننهُ
أصيدةُ لغةٍ غيرِ
مروية؟)

أتموِّجُ وأتعدُّ ،
أشبهُ بالنحلِ وأصنعُ شهديِ الخاصِّ .
وها هي الحياةُ باردةٌ وأقلُّ
من أن تكونَ جرْحاً
لا أرى غيرَ آلاتٍ تتزاحمُ
في حقولِ من أنفاسِ البشرِ ،
وليسَ ثمةَ نهارٍ ولا ليلٍ
بلْ شريطٌ يتواصلُ من لحظاتٍ تتقطعُ ...

لا الخارجُ يَيتي ،
والدائِلُ ضيقٌ عليّ -
كعطرٍ وَزِدَة تكادُ أنْ تموتَ
أُخرِجُ منْ سُلالتِي
لا أريدُ أنْ أَسْمِي / أريدُ أنْ أكونَ سَمِيًّا لِلضُّوءِ ،
لا أريدُ أنْ أَسْتَمْسِكَ / أريدُ أنْ أُرادِفَ الرِّيحَ .

(باريس ، أواخر 1986 - أوائل 1987)

www.alkottob.com

في ضمن أبجدية ثانية

www.alkottob.com

www.alkottob.com

في حِصْنِ أَبْجَدِيَّةِ تَخْفِينِ الْأَرْضِ ، يَشْهَرُ قَامِيُونَ وَأَسْتَيْقِظُ .
أَقْرَأُ وَأَكْتُبُ وَأَقُولُ كَلَاماً لِلتَّبِيدِ : لَيْسَ شِعْراً وَلَيْسَ نَثْراً ،
لَكِنْ ، إِلَيَّ بِالْبَحْثِ ،
الشَّمْسُ تَلْتَمِيقُ بِأَخْشَانِي ، وَأُرِيدُ ظِلَّكَ أَيُّهَا اللَّيْلُ .

— أَلَنْ تَتَعَبَّدَ؟ كَثُرَ بَحْثُ بَيْتِكَ أَيُّهَا الْعَاشِقُ ، وَهِيَ هُوَ الْهَوَاءُ يَهْبُ كَمِثْلِ بُحَّةٍ
فِي حُنْجَرَةِ الْفَضَاءِ .
— عَوِّدْنِي ، ابْتِكِرْ طَلْسِماً لِأَخْوَالِي .
— أَقْدِرُ أَنْ أَرْقِيكَ أَيُّهَا الْعَاشِقُ ، لَكِنْ مَنْ يَشْفِيكَ؟
— سَأَقُولُ لِمَهَبِ الرَّغْبَاتِ جَسَدِي غَابَةٌ تَلَايِمُ رِيَاخَهُ .

- خَرَجَ مِنْ عَزَلَتِهِ دَخَلَ إِلَى الْعَنَفَى .
- دَائِماً تَفْصِلُهُ عَنِ الْأَمَامِ بَضْعُ خُطَوَاتٍ إِلَى
الْوَرَاءِ : لَا يَصِلُهُ إِلَّا مَا يَفْصِلُهُ .
- لَيْسَ لَهُ طَفْوَلَةٌ ، الشَّعْرُ طَفْوَلَتُهُ .
- مِنْ مَسْحُوقِ الْكَيْدِ هَذِهِ الْخَمْرَةُ ، لَا مِنْ الْعِنَبِ .

• لا تخيا دمشق إلا إذا أعادت بناء السماء .

I - أبواب

في صباح تخمليه الجراح ، هربت من سور دمشق صاحية ، وتنزهت في
بساتين الزينية . قالت : لن أعود ، وسميت نفسي حي القصاع .

جاء ،

نزل في هذا الحي ، في قبو بناية تتحلر من سلالة الإسمت .

قرش القبو سريراً لأحلام كان أكثرها يتبخر بين حمامات

قرأ عنها

حمام الميسك	حمام الورد	حمام الزين
حمام السلسلة	حمام الحاجب	حمام الجوزة
حمام القيشاني	حمام الملكة	

وتلك هي الأسماء الأكثر طيباً .

... الشداد؟ أهو حمام آخر؟

... معجون تلك به المستحمة جسدها

زنجبيل وقرفة زيت ولسان حصفور

دُبْسٌ وَبَيْضٌ وَأَسُّ
وَتَضْيِيفٌ بَعْضُهُنَّ أَشْيَاءٌ تَبْدُو مَرَاثِمَ لِمَوْجِ الْجَسَدِ .

كثيراً ، شُبّه لهُ الْقَبِيُّ غَاراً يَنْزِفُ دَمًا ،
كثيراً ، رَأَهُ كَهْفًا يَضْطَرِبُ وَيَتَرْتَجِحُ وَيَكَادُ أَنْ يَهْوِيَ .

- هَلِ الْحَقُّ دَائِمًا مَعَ الرَّحِيلِ؟
 - هَلْ يَكُونُ الْعَالَمُ أَكْثَرَ جَمَالًا ، لَوْ خَلَا مِنَ الْقُبْحِ؟
 - هَلْ يُؤَسِّسُ الدَّمُ لَغَيْرِ الدَّمِ؟
 - هَلِ الْكِتَابَةُ هِيَ أَيْضًا سَاعَةٌ رَمَلِيَّةٌ؟
 - هَلِ اللَّامِبَالَاءُ هِيَ الْوَرْدَةُ الْوَحِيدَةُ الَّتِي تَتَحَنَّنِي لَهَا
- الرَّيْحُ؟

- هَلِ الْأَصَابِعُ الْمَقْطُوعَةُ هِيَ وَحْدَهَا الَّتِي تَعْرِفُ
- كَيْفَ تَلْتَحِمُ أَوْصَالَ التَّارِيخِ؟
- هَلِ الْوَقَاءُ لِلْأَفْكَارِ أُمَّ لِتَوْلِيدِهَا؟
- هَلِ الْإِسْمُ هُنَا إِثْمٌ؟
- هَلِ الْحَيَاةُ هُنَا حَيْجٌ إِلَى الْمَوْتِ؟
- هَلِ حِجَابُ دِمَشْقٍ هُوَ الَّذِي يَكْشِفُهَا لَهُ؟

يَقْلُنُ - الْكَلِمَاتُ الَّتِي رَدَّدْتَ مَعَهُ أَسْمَاءَ الشَّجَرِ وَالنَّجْمِ وَالْأَصْدِقَاءِ ، تَجْلِسُ

الآن في كوة تخيا وحيدة في القبو ،
أو تمشى على الرصيف الذي يتأخمه ،
تتحالف مع الهباء أو مع الهواء
تتقد سلطة الورق ، أو تتواطأ مع العجبر .

من شفتي هذه الكوة ، يهبط عليه كلام عصي على البوح . أسفاً ، يعتلر
لها :

ليس سيد الطبيعة لكي يضع الآن رأسه تحت كتفيها .

جاء كمن يبدأ تاريخاً . هكذا وجد نفسه يتموج في محيط أسرار .

• جاءت النساء سفناً ، ولهن جسد الماء .

(«جاؤوا . كل محتسب طامع . جرت الدماء في

الماء» . (البلاذري ، فتوح البلدان)

• «الفتوح ثلاثة : فتوح عبارة ، وفتوح خلاوة ،

وفتوح مكاشفة» . (ابن عربي) .

(لا تدخلوا البحر إلا إذا كانت الأشربة نساء .

• القوطة خيمة والشهوة حبال تشد أوتادها .

• السماء في عقل النملة ، نملة .

• لكي تفهم الرمل ، لست في حاجة إلى أن تكون

موجاً .

بَعْدَ الْحَمَامِ وَمِسْكِهِ ،

تُنَوِّرُ أَعْضَاؤَكَ وَتَرْقِي . تُصْبِحُ جَدِيْرًا بِأَبْوَابِ السَّرِّ .
قُلْ ، إِذْنًا ، لَجَسَدِكَ فِيمَا يُوَاكِبُ السَّرَّ أَنْ يَتَنَوَّرَ بِأَبِ الْفَرَجِ

• سَوَاءٌ تَحْرِيكُ الرَّاءِ وَتَسْكِينُهَا : لَنْ تَقْلِرَ أَنْ تُحَوَّلَ
الْكَلِمَاتُ إِلَى أَشْيَاءٍ .

(• تَكَلَّمُوا عَلَى مَا مَنَعَنِي ، لَا عَلَى مَا يَأْتِي .
وَخُوضُوا مَا شِئْتُمْ مِنَ الْحُرُوبِ ، لَكِنَّ بَيْنَ شِفَاهِكُمْ
الْعُلْيَا وَشِفَاهِكُمُ السُّفْلَى .

جاء ،

فِي حَدِيثِهِ مَعَ الْكُوكَبِ ، كَانَ يُؤَثِّرُ الزُّهْرَةَ . تَسْتَقْبَلُهُ ، وَهِيَ فِي سَرِيرِهَا .
وَلَمْ تَكُنْ تَحَاوِرُهُ إِلَّا بَعْدَ أَنْ تُطْفِعَ شَمُوعَهَا .
يُعْفِيكَ آيَتِهَا النَّبُوءَاتُ مِنْ التَّوَجُّهِ إِلَيْهِ . وَجْهَهُ مَاخُودٌ بِجِهَاتٍ
لَا تُلْهِيَنَّ إِلَيْهَا وَلَا تَجِيثِينَ مِنْهَا .

• يَا قَطَارَ الْحَجْرِ ، لَيْسَ لَهُ عَلَى الْوَرَقِ آيَةٌ مَحْطَةٌ .
• اِتْرَكُوهُ يَتَوَسَّدُ فِرَاعَ هَذِهِ الْكَلِمَةِ : الْحُبِّ .
• لَمْ يَفْهَمِ بَعْدَ الْحَجَرِ ، لَكِنِّي يُحْسِنُ الْكِتَابَةَ عَنْ
الْأَجْنَحَةِ .
• الدَّمُ هُوَ الَّذِي يُفَكِّرُ ، وَالْجَسَدُ هُوَ الَّذِي يَكْتُبُ .

تُوقِنُ أَنَّ التَّارِيخَ دَخَلَ مَلِيءٌ بِأَعْشَاشِ الْخِثْلِ مِنْ كُلِّ نَوْعٍ ، فِيمَا تَخْرُجُ
مِنْ بَابِ الْفَرَجِ إِلَى بَابِ السَّلَامِ -
يُسَمَّى

بَابَ الشَّرِيفِ وَبَابَ السَّلَامَةِ . كَانَ عَمِيماً عَلَى الْغَزَاةِ يَحْرُسُهُ شَجَرٌ يُشْبِهُ
الْعِصِيَّ السُّيُوفَ الْبِتَادِقَ وَفَقاً لِلْغَزَاةِ وَالغَزْوِ . تَحْرُسُهُ كَذَلِكَ عَرَائِسُ الْمَاءِ -
بَرْدَى ، الْعَقْرِيَانِي ، الدَّاعِيَانِي . «وَكَانَ كَمِثْلِ اسْمِهِ بَابَ التَّسْلِيمِ وَالتَّحِيَّةِ .
يَجِيءُ النَّاسُ أَفْوَاجاً لِلسَّلَامِ عَلَى خُلَفَائِهِمْ .» الْقَوْسُ الَّتِي فَيَّاتَتْ رِقَابَهُمْ هِيَ
نَفْسُهَا تُظَلِّلُ رِقَاباً أُخْرَى لِسَّلَامٍ أُخْرَى . الضُّوءُ نَفْسُهُ يَتَلَالُأُ مِرَاةً يَكْتَشِفُ
النَّاسُ فِيهَا وُجُوهُهُمْ فِيمَا يَدْخُلُونَ وَيَخْرُجُونَ . وَثَمَّةٌ جَنُودٌ كَالْمَلَائِكَةِ لَا
تَرَاهُمْ الْعَيْنُ .

● دِمَشْقُ ، يَذَارِكُ ، لَا بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَلَا فِي خَطَوَاتِهِ ،
مَاذَا ، إِذْنٌ ، سَتَجِدِيهِ الْحَقُولُ ؟
● فِي كُلِّ صُنْدُوقٍ ، يَوْقِظُ وَضَاحَ الْيَمَنِ ، وَيَدْعُوهُ إِلَى
نُزْهَةِ مِرْيَةِ .

هُوَ ذَا جَرِيرٍ يُؤَلِّمُ حَيَاتِهِ لِلتَّخْلِيفَةِ فِي سُرَادِقِ الشُّعْرِ . وَأَرَى إِلَى الْإِخْطَلِ يُقَدِّمُ
لِأَصْدِقَائِهِ ، عَلَى مَشْهَدٍ مِنَ الْخِلَافَةِ ، أَغْتَقَ خَوَائِبِهِ . وَأَسْمَعُ
الْفَرَزْدَقَ يَتَلَعَثُ فِي حَضْرَةِ امْرَأَةٍ لَا تَمْدُحُ لَا تَهْجُو لَا تَقُولُ إِلَّا
الْحَبَّ . اشْرَبُوا مِنْ يَنْابِيعِ ذِي الرَّمَةِ ، - انظُرُوا إِلَيْهِ يَرْتَجِلُ مَا
يُفْسِكُ بِالْأَفْقِ . وَالْمُخْلِفَسَاءُ يَسْوَارُونَ : كُلُّ مَنْهُمْ يَنْكَمِشُ فِي

شجرة ، أو في دزهم ، أو في سيف .

● سمائي - لا فوق رأسي بل تحت كتفي : سلام
للشيخ الأكبر .

● يا للشرائب في هذا المكان الذي يتاديه ابن
تيمية : يا بستانني .

● الأفق يروّز أصوات المآذن ، فيما تتبسّط الجنة
تحت قدمي قاسيون .

انتسب إلى زحل ، لكي تحسّن المكاشفة في باب كيسان ، أولكي تنزل
في سلة ، شأن القديس بولس ، متدلّياً من السور ، خارجاً إلى يونان وما وراء
البحر . كمثلته ، لا تقصد الباب لذاته ، بل لما يُعبثه . تفتحهُ لكي تشاهد
ما يتخلّق عليه . وربما سألت : هل الباب جسد؟ وما باب الجسد؟ وأين؟
ولماذا لا يُسكن إلا بوصفه زائلاً؟ هل أجمل الأشياء التي تسكنها في
الجسد وتسكنك هي التي لا تراها؟ ولا تنس أن تتصوّر باباً مليئاً بالجمال
مُشرعاً على عالم مليء بالفراغ . ولا تنس الحلقة التي تفرع بها الباب لكي
تسمع نعم أو لا . يتيح لك أن تسبح في أجمل بحيرات الضوء ، أو يُيقبك
في ظلامك الأليف . هل الحياة بابٌ - واقعاً ورمزاً؟

أقواسٌ خطوطٌ تستقيمٌ تنحني تتكولّب دوائرٌ وأنصافٌ
دوائرٌ مربعاتٌ مستطيلاتٌ مثلثاتٌ منحسّاتٌ

- التَّقِينَا ، - لَمْ تَتَكَلَّمْ ، غَيْرَ أَنَّا تَرَامَزْنَا .
- شَوَارِعُ ، - أَنهَارٌ تَحَكَّ ضِفَافُهَا بِمُوسِيقَى التَّارِيخِ .
- يُغْنِي الْيَاسَمِينَ بِصَوْتِ خَافَتِ ، وَيَلْوِزُ فِي الْأَزَقَةِ ،
خَافِيًا .

- (دَمٌ أبيضٌ عَلَى فِرَاشِ الْقَمَرِ .
- (لَا تَضَعُ سَلَّةَ الْعُبَارِ فِي يَدِ الرِّيحِ .
- (يَجِيءُ الشَّقَاءُ مَعْجُونًا بِيَدِ اللَّهِ ، مَخْتُومًا بِخَاتَمِهِ ،
وَيَجِيءُ الْفَرَحُ هَارِبًا فِي ثِيَابِ وَرْدَةٍ تَكَادُ أَنْ تَدْبُلَ .
- لِكُلِّ نَجْمَةٍ طَبْلٌ ، وَالْفَجْرُ نَائِيٌّ مَكْشُورٌ .
- (تَسْبِيحٌ مَلَائِكَةٌ سَوْدٌ فِي أَحْوَاضٍ مِنَ الْفِضَّةِ .
- (شَوَارِعُ - حَقُولُ نَبَاتَاتٍ تَقْتَاتُ بِاللَّحْمِ .
- (اسْتَبَقَلَتِ السَّمَاءُ وَأَخْلَتِ تُوَزُّعُ جَرَائِدِ الصَّبَاحِ .

يَخِيفُ إِلَيْكَ الْوَاقِعَ وَيُجْلِسُكَ عَلَى أَطْرَافِ أَظْفَانِهِ : لِحِبَارِهِ حِبَالٌ صَوْتِيَّةٌ ،
وَأَتَى تَوَجَّهَتْ فِيهِ ، يَبْدُو وَجْهَهُ سَرَابًا يَقْبَلُ الْأَرْضَ . أَيَامُهُ لَدَائِنُ يَنْمُو فِيهَا
عُشْبُ التَّارِيخِ .

هل الحياة هنا بريدٌ يُنْقَلُ فِي جُعبَةِ الرَّمْلِ ؟
وَأَيْنَ ذَلِكَ الْخَنِثُ الْمُسْتَرْفُ الَّذِي يَعْرِفُ كَيْفَ يَضْمُ السَّرِيرَ إِلَى السَّرِيرِ ،
وَكَيْفَ يَتَسَلَّقُ لِطَيْفِ الشَّهَوَاتِ وَخَفِيِّهَا؟ يَفْرَحُ وَهُوَ يظُنُّ أَنَّهُ يَحْزَنُ . يَتَلَذَّذُ وَهُوَ

يظن أنه يألم .
أكتسبي ، دمشق ، من جديد ، تاريخك على عسيب النخل وعلى اكتشاف
الإبل . طريقي فيك وعرة ، وحافياً أمشي .

بابُ الشاعور ، -

الغبائر حصانُ جامعٍ وهيهات أن يروضَ ، والطرقُ مغطاةٌ بحبص
الأقدام .

بابُ الفرائيس ، -

ادفنوه في دمه . إنسوا لا تنسوا .

بابُ الجافية ، -

دوار في رأس اللعة .

• كيف يتصالحُ باسمينُ دمشقٍ معَ جسدٍ لا تثبتُ

فيه غيرُ الشقائق؟

• ما لهذه السماء ، -

لا تُقدم غيرَ البلسمِ ، وليسَ في جسدِها غيرُ الجراحِ؟

• اكتسبي ، آيتها الأحلامُ ، حزينَةٌ على نوافذِ أهدايي .

• قاسيونُ ، أيها السائرُ واقفاً ، هل تعرفُ أن الفصولَ

أعطتْ لغيري كلَّ شيءٍ ، وخصتني بخطواتها؟

دَمَشَق ،

ظَلَمْتُكَ لَا يَسُرُّ قَامَتِي ، وَأَبْوَابُكَ مُحِيطةٌ بِي . هَبَّطَ سِرُّكَ إِلَيَّ :
لَا يَسْكُنُ الْفَرْحُ إِلَّا الثَّنِيَّةَ وَالطَّيْبَةَ وَالزَّائِرِيَّةَ .

II - خلوات

أ -

نَافِذَةٌ - مُثَلَّثٌ ، يَنْحَلِزُ مِنْهَا ضَوْءُ الطَّبَعِ . يَتَسَرَّبُ مِنْهَا هَوَاءٌ يَحْمِلُ أَشْكَالاً
كَمِثْلِ الخُيُولِ ، -

الخلوتية الشافعية

ب -

سَلَامٌ مِنْ أَرْدَابٍ وَكَوَاحِلِ . حِنَاءٌ وَزَعْفَرَانٌ يَنْتَظِرَانِ شِهَاباً أَخْضَرَ ، -
الخلوتية القادرية

ج -

نَسِيَ المَلْحُ قَدَمَيْهِ فِي المَاءِ . ظِلُّ الدُّنْيَا رِصَاصٌ مَغْمُوسٌ فِي الجَمْرِ لَا فَرْقَ
فِيهَا بَيْنَ الكَلَامِ وَالمُطِينِ . إِنْ كَانَ هُنَاكَ شَقَاءٌ فَهُوَ الفَرْحُ . يَجْلِسُ الغُبَارُ عَلَى
هَذِهِ العَتَبَةِ ، مِنْذُ قُرُونٍ ، وَلَمْ يَنْهَضْ بَعْدَ

— هل تُجامع الإنسيّة جنياً؟

— مسألة فيها خلافٌ .

— لكن ، جائزٌ عقصُ الشعرِ ، وتجاوزُ الضفائرِ .

— المرأةُ في الآخِرَةِ هي دائماً لأخِرِ أزواجِها ، وقيلَ لأولِهِم —

الخلوتية التقوية الخنبلية

— د —

للمن يدان رختان ، وللأبدية فَم لا يتوقف عن التثاؤب .

أفراسٌ تجيءُ من كلِّ صوبٍ وتجلسُ بينَ الركبِ . أشجارٌ وزدٍ جورِيٌّ تغلغُ

فيابها الداخليّة . أه ، اللذة يسيرةٌ والحيرةٌ كثيرةٌ ، —

الخلوتية المولوية

— ه —

أكاليلُ نُجومٍ تتلنى من السقفِ . تُرْفِرُ الأرضُ كالأجنحة ، والعناصرُ

خلايا أحلام . الوحلةُ حبرُ السفرِ ، —

الخلوتية النقشبندية

— و —

إمشِ فوقَ رؤوسِ الأزهارِ ، وامتنزجِ ببراعِمِها . يدالكِ بنفسجٍ وعلى جسدك

يتسلقُ غبارُ الطلعِ . هنا تعرفُ أنَ للأيامِ قشرةً أكثرَ حنناً منَ اللَّبِ ، —

الخلوتية الرفاعية

زاي -

تُمسِكُ يَدُ الزَّائِرَةِ بِرَيْشَةٍ وَتَرْسُمُ الْفَرَاغَ
مَا أَحْنُ هَذِهِ الْأَشْرَعَةُ الَّتِي تُقْبِلُ مِنَ السَّمَاءِ .
هُنَا يَدْخُلُ الْعَاشِقُ فِي الْفَصِيلَةِ الشَّفَوِيَّةِ كَمَثَلِ الرِّيحَانِ ، -

الْخَلَوْتِيَّةُ الْبِكْتَاشِيَّةُ

• تَمَثَّلُ بِالْوَرْدَةِ وَحِشْنٍ صَامِتًا :

إِنَّ كَانَ لَا بَدَّ مِنَ الْكَلَامِ ، فَلَا تَتَفَوَّهُ إِلَّا بِالْعِطْرِ .

• هَلِ الْكِتَابَةُ شَهْدٌ يَابَسٌ فِي قَفِيرٍ مَهْجُورٍ؟

• الْحَجَرُ كِتَابٌ يَعْلَمُ التَّسَامُحَ .

III - مُكَاشَفَاتٌ

أَمِنْ سُوقِ الْوَرَّاقِينَ ، تَجِيءُ هَذِهِ الْحُجَّجَةُ؟ أَمِنْ أُنَيْنِ خَشَبٍ تَفْتَتَ وَبُعِثَ ،

تَضَعْدُ هَذِهِ الْكَلِمَاتُ؟ هَلْ عَرَفْتَ سُوقَ الْكُتُبِ؟ زُرَّهَا لِتَرَى كَيْفَ

تَتَمَلَّدُ الْعُقُولُ عَلَى بِسَاطِ مِنَ الْحَبْرِ ، وَلَكِنِّي تَتَمَلَّى شُحُوبَ الْآيَامِ .

زُرَّةٌ - احْتَفِلْ بِكِيمِيَاءِ التَّحْوِيلِ ، -

رَأْسٌ فِي الْقَدَمِ ،

وَقَدَمٌ تَقَطَّرَ الْعِطْرُ .

والتحية لمن قال : «القدم لا الرأس ، نهاية الشكل وغاية الهيئة» .

إنه ركنُ العنبرانيين في سوقِ النساء . قبائلُ أعشاب ، أفخاذُ نباتاتٍ وزهورٍ ،
والعطورُ تتناسلُ . وفي سوقِ الحريرِ وسوقِ الصاغةِ ، ستري الرغبةَ
جسداً وزوحاً . نساءٌ يسرنَ كأنهن يتنقلنَ في أسرةِ النومِ . شمسُ
مبالغةٍ بماءِ القمرِ . وتري الموتَ يتقلبُ ويحركُ واهناً . وفي سوقِ
المزاميرِ وسوقِ الأباذيرِ وسوقِ الفاكيةِ ، تنتهدُ في مناخِ تقول إنه
هابطٌ لثوره من فراديسِ المنحيلة . وبين أهدابك تحتلطُ الملاءاتُ
والسراويلُ والزنانيرُ في بهاءٍ يسرحُ معك بين الظاهريةِ والمعدنيةِ
حيثُ ينهضُ أبو المزمائدةِ يتحلقُ حولها الأقصيانِ الشرقُ والغربُ
وتلألاً اليدُ الصانعةُ ، -

زجاجُ مُعشوقٍ ، شراباتٌ ، مسانيدٌ ، أرائكٌ ، نحاسٌ
مُخرمٌ ، وسائدٌ ، بسطٌ ، نارجيلةٌ -
إنها الدنيا وعائلتها تحتَ سقفٍ يتلמדُ على حكمةِ الدهرِ .

• غيرَ بعيدٍ عن رأسِ يوحنا المعمدان ، تتلظى أذنا
تيمورلنك .
(هل يحدثُ حقاً للبقل أن يصيرَ نخلاً؟)
(ليسَ هناك نورٌ لا ظلمةٌ فيه .)
(لا تُنكروا حقوقَ العادةِ .)

- (استَسْلِمَ للواقع إن شئتَ أن يَسْتَسْلِمَ لكَ المُمكن .
- رَمَا كان الوَحْلُ الذي تَهْرَبُ مِنْهُ ،
 - يَسِيلُ في الماءِ ذاتِهِ الذي تَشْرِبُهُ .
 - بَلَى ، تَتَذَكَّرُ النَّارُ أَنها كانتُ ماءً .
 - الفِضَاءُ هُنَا نارٌ ، وَالطَّيُورُ قَصْدِيرٌ .
 - قَتَلَهُم جَمِيعاً ، تَحْقِيقاً لِلحِكْمَةِ القائِلَةِ :
 - « ما أَكَلْتَهُ وَأَنْتَ تَشْتَهِيهِ ، فَقَدْ أَكَلْتَهُ
 - وما أَكَلْتَهُ وَأَنْتَ لا تَشْتَهِيهِ ، فَقَدْ أَكَلْتَهُ » .
 - أَزْدَادَ البِرْدِ وَالطَّلُجِ ، مُنذ قَتِلَ المُتَنَبِّي .
 - لا يَسْتَقِيمُ هَذَا المَرِيعُ إِلا إِذا أَصْبَحَ مُثَلَّثاً .
 - «رُبُّ اعْجَاجٍ أَفْضَلُ مِنْ الاِسْتِواءِ» .

أَطَلَقْتَ العِنايَةَ لِلنَّيِّفَةِ وَالزَّجْرَ وَالعِياقَةَ ،

للسَّانِحِ وَالبارِحِ ،

لِلتَّغَاوُلِ وَالنَّطِيرِ ،

وَقُلْتُ : أَنَا الفِطْنُ المَتَدْرِبُ ، غَيْرَ أَنِّي أَمِيلُ إِلى النُّظَرِ في الكَتِفَيْنِ ،

وَفِي الرِّدْفَيْنِ ، وَفِي ما أُوتِيَ السَّرَّ .

IV ... مشاهدات

أ ... ساحة الشهداء

ليست أسماء كثيرة: الجزيرة، بين النهرين، المرجة، الميدان الكبير، ساحة السراي. غير أن دم أبنائها الذين شنتهم السفاح محاً هذه الأسماء كلها وأعطاهما اسمها الأخير الشهيد. على أطرافها وفيها، تماثق اليونان والغرب والعلامة العثمانية. مسرح لتحول. وضعت الحدائق عليه أولى خطواتها: السيارة، والحافلة الكهربائية. وعندما كان بردى يفيض، كان فيضائه يُذكر بالدم الذي تدفق من أبنائها دفاعاً عنها. يُصغون إلى أحشائها التي غطاهما الإسفلت لكي يسمعوا آباءهم. وترى حينهم يطوف حولك في كؤوس غير مرتبة. نجمة تربط بخيوط أشعتها دمشق - شوارع وأزقة وأحياء. تجلس غالباً في استرخاء كممثل امرأة تستحم في العراء. مسرح. قلة هم الذين يتابعون المشهد جالسين. بضعة أطفال، بضعة شيوخ.

... ما هذه المسرحية؟

... هو اجس وأمنلة.

... الأكل قليل، والشرب نادر.

... إسراف، لكن في المنع.

... تكاد كل نقطة في جسد هذه الساحة أن تكون ...

• الأعمار بيد الأجر والأشعار.

- هل البياضُ سوادٌ نسيَ اسمه؟
- عمراً بيتاً لغايةٍ واحدةٍ : أن يسجنَ فيه الرِّيحَ التي يقبضُ عليها .
- يظنُّ حيَّ القدمَ أنه رأسٌ لحيِّ الصالحية .
- كتابةٌ كمِثْلُ زَهْرٍ يُزْرَعُ فِي حُقُولٍ مِنَ الزَّجَاجِ .
- لا تتأخَّرُ أيُّهَا المَطَرُ ، تأخَّرِي أَيُّهَا السَّمَاءُ .
- ينامُ الشَّارِعُ والحارسُ سَاهِرًا عَلَى عُنُقِهِ .
- خَيْطُ شَفْتَيْكَ إِنْ شِئْتَ أَنْ تَتَكَلَّمَ .
- أَيُّهَا المادَّةُ الشَّامِيَّةُ ، هلِ الشَّعْرُ ، وَخَلَّةُ ، رُوْحُكَ العاصية؟

ب - حيَّ النُّوفرة

تنمو على جانبيه ، وعلى أطرافه من جهة القيسرية وباب جيرون ، أشجارٌ للمعرفة لا يراها غيرُ تلامذة الشيخ الأكبر . كلُّ شجرةٍ سرَّةٌ من الكلام يحسنُ بك لكي تُحسِنَ فهمةً أن تجلسَ في مقهى النُّوفرة . حولَ المقهى ، ترك الأسلافُ آثارَ خطواتهم في حفرٍ وشقوقٍ يصعدُ منها غبارٌ يكادُ أن يكونَ ذهباً . نقرأ معك ، أيها الحكواتي ، ليلَ الماضي ، -

- بَصْرِيَّةٌ وَاحِدَةٌ مِنْ سَيْفِهِ ، قَطَعَ خَمْسِينَ رَأْسًا .

والويلُ لِللِّغَةِ إِنَّ وَقْعَ فِي الْأَسْرِ عَنْتَرَةٌ . لَا تَهْدَأُ كَلِمَةٌ فِيهَا ، قَبْلَ أَنْ يُفْلِكَ أَسْرَهُ .

يَتَوَكَّأُ الزَّيْرُ سَالِمٌ عَلَى أَنْصَارِهِ . يَتَوَكَّأُ جَسَامٌ عَلَى صَوْتِهِ . يَتَّحِدُ الْغَضَبُ وَالسَّرُورُ كَمِثْلٍ وَجْهَ الْوَرَقَةِ وَقَفَاغَا . لَا عَدَاءَ فِي تَبَادُلِ اللَّكَمَاتِ بَيْنَ الْمُتَحَارِبِينَ ، بَلْ حَرَكَةٌ أَيْدٍ كَأَنَّهَا أَغْصَانُ شَجَرَةٍ وَاحِدَةٍ يُحْرَكُهَا هَوَاءٌ عَاشِقٍ . كُلُّ يَقِيفٍ وَرَاءَ فَارِسِهِ ، أَوْ يَفْتَمُّ لَهُ الشَّيْءَ وَالهُتَافُ . يَنْقُشُ اسْمَهُ بِأَنْفَاسِهِ عَلَى بَشْرَةِ الْوَقْتِ .

أَخْرِجُوا جِيَادَكُمْ مِنْ أَقْفَاصِ الْعُلْمِ وَسَرِّحُوا . لَيْسَ فِي الْمَقْهَى سُورُجٌ قَلِيْقٌ بِهَا . ابْحَثُوا لَهَا عَنْ سُهَوْبٍ أُخْرَى . لِلْمَقْهَى أَذْنَانِ مَسْتَوْدَتَانِ . وَفِي الصَّرَاخِ تَتَوَحَّدُ الشِّفَاءُ كَأَنَّهَا فَمٌ وَاحِدٌ . كَلَّا ، لَمْ يَمُتْ عَنْتَرَةٌ . وَلَا يَزَالُ الزَّيْرُ سَالِمٌ وَجَسَامٌ يَتَقَاسَمَانِ بِرُكَّةِ الْمَاءِ الْغَوَاةِ فِي سَاحَةِ الْمَقْهَى . مَا أَحْنَدَ الْعُلْمَ بِالنُّصْرِ . يَتَّخِذُ مِنَ الْجُدْرَانِ وَالطَّيْنِ أَهْدَابًا يَرْقُدُ تَحْتَهَا . يَمْتَلِئُ الْمَقْهَى بِجِثَّتِ الْقَتْلَى ، غَيْرَ أَنَّ الرِّوَاغَ الَّتِي تَنْشَقُّهَا طَيِّبَةٌ كَأَنَّهَا طَالِعَةٌ مِنْ ضَفَائِرِ الْغُوطَةِ .

... مَالَهُ ، حِصَانٌ عَنْتَرَةٌ؟

يَتَسَاءَلُ شَيْخٌ تَبْتَلِعُهُ نِيَابُهُ ، فِيمَا يُتَابِعُ مَعَارِكَ اللَّغَةِ ، وَيَرَى إِلَى دِمَائِهَا الْجَارِيَةِ ، كَأَنَّهُ يَرَى جَيْشًا مِنَ الْعَيْمِ ،

— نَسِيْتُ صَبْلَةَ أَنْ تَمْسَحَ قَوَائِمَهُ بِعَرَارِ الصَّخْرَاءِ .

• لِلذَّاكِرَةِ مَاءٌ لَا تَتَّسِعُ لَهُ بُحَيْرَةُ الْحَاضِرِ .

- نَعَمْ ، لا يتسوقف البسَابُ والكُرمي ، القسِهوسَةُ
والنَّارِجِيلَةُ ، المَاءُ والجَمْرُ عن كِتَابَةِ الشَّعْرِ .
- أَسْرَارُ اللَّيْلِ أَجْنَحَةُ النَّهَارِ .
- يَلْبَسُ الْمَسَاءُ قَنَاعاً لَيْسَ إِلَّا وَجْهًا لِلصَّبَاحِ .
- يُقَالُ : لا تَنَامُ دِمَشْقُ ،
ويُقَالُ : إِنَّ نَامَتَ ، فَتَوَمَّهَا خَفِيفٌ كَالْحَلْمِ .
- لا جَنَرٌ لا ثَمَرَةٌ : يَتَشَرَّدُ بَيْنَهُمَا .
- لا يعبُدُ الشَّيْءَ إِلَّا لِكَيْ يَسْتَعْبِدَهُ .
- دِمَشْقُ ، أَنْتِ حَيَاتُنَا ، ...
- لَكِنَّ ، مَا هَلِةِ الْحَيَاةِ الَّتِي لا تُعْطِينَا إِلَّا المَوْتَ .

حَيَّتْ عِيَاظَ ، وَقَلْتُ لِكِرَاكُوزَ : اسْمَعْ لِي أَنْ أقدَمَ لَكَ هَذَا الزَّمَنَ فِي هَذِهِ
الوَرْدَةِ الْيَابِسَةِ . كَانَ خَيَالُ الظِّلِّ يَتَسَلَّقُ الشَّيْءَ فِي الفَنَاجِينِ وَعَلَى
الشَّفَاهِ ، وَيَتَدَخَّرُ صَوْتُ الحِكْوَانِي .

- ... مِنْ الخَيَالِ ، جَاءَتِ الخَيْلُ .
- ... مِنْ الخِيَلَاءِ ، جَاءَتِ الخَيْلُ .
- ... أَوْحِيَ إِلَى الرِّيحِ الجَنُوبِ أَنْ تَجْتَمِعَ . اجْتَمَعَتْ . أَخَذَ جَبْرِيلُ قَبْضَةً وَخَلَقَ
الخَيْلَ .
- ... سَلَامٌ لِحِصَانِ عَشْرَةٍ . هُوَ مِنَ الخَلْقِ الَّذِي بِهِ العِزُّ . لَمْ يُعْقَدْ بِنَاصِيَتِهِ غَيْرُ
النَّصْرِ . ، ...

كان الغبار الذي تُثيره حوافره يتموجُ أخلاماً على منقَبِ المقهى . أثر عيواظُ
 وكراكوز ، ذلك المساء ، أن يتحدثا همساً . كانت الوردة اليابسة
 تسهرُ على الباب ، وعلى السطح ، وفي الهواء . أشارا إلى العشق بين الزهور .
 همساً للحُضور أن يلصقوا آذانهم على أكمام الياسمين والورد لكي يسمعوا
 شهيقَ البراعم وهي تخلعُ سراويلها . وأخذت الأشجار التي تُحيط بالمقهى
 تتقلبُ كلها إلى شجرة واحدة : عطر الليل . وأخذت الحجارة تسقطُ
 بالمعطر . لم تبقَ زهرة إلا تفتحت من التبلى بتدى الحب . صارت الأزقة
 نفسها كمثلي أعتاق تتلنى منها عقود الياسمين . وتحرك الفضاء إلى حنجرة
 تهتفُ احتفاءً بالعشاق .

- الزائلُ أجملُ ما يملكه الأبدى .
- هنا لا تفود الروحُ إلا إلى المادة .
- الماء المالُ : حربٌ لا تنتهي بين الهمزة واللام .
- لا يقبلُ إلا شفتيه : لهذا يقبلُ جميعَ الأيدي ؟
- (أفهمني : كيف تقصُ ذيلَ الشيطانِ بجناحِ
 الملاك ؟
- (القمرُ بينَ النهدينِ هلالٌ دائمٌ .
- يتسمرأى ، لا لكي يرى الحياة بل لكي يرى
 الموت .
- (قدّم بيضاء على كتفي قاسيون : القمر .
- وجوه - فراشات بلا أجنحة .

إذا شَرِبَ مِنْهُ زَنْةٌ تَسْبَعُ حَبَّاتٍ ، لَمْ تَنْلُهُ مَضْرُوءَةٌ مِنَ السَّمِّ . وَالمَتَخَشَّمُ
بِهِ تُنَاقِرُهُ ذَوَاتُ السُّمُومِ . وَإِذَا قُرَّبَ مِنْ بَصِيرِ الأَفْعَى ، مَسَّاتُ
عَيْنَاهَا .»

هـ - سُوقُ الأَبَازِيرِ

أَسَاتِنَةٌ يَجْلِسُونَ فِي أَحْضَانِ التَّوَابِلِ وَالْعُطُورِ وَيُعَلِّمُونَ كِيمِيَاءَ
المَلْدَاتِ . يَزِدَادُ يَقِينُكَ أَنَّ الجِسْدَ هُوَ الأَكْثَرُ بقاءً . وَيُسَمِّدُنِي فِي
ذَلِكَ أَنْ يُقَالَ : جَنَّ العَقَائِلُ . أَوْ يُقَالَ : دَخَلَ غَارَ المَعْنَى ، حَيْثُ
نَزَلَتِ السَّمَاءُ وَأَحْرَقَتْ سَلَالِمَ الصَّعُودِ . لَنْ تُسْتَطِيعَ بَعْدَ زيارَةِ هَذِهِ
السُّوقِ أَنْ تَقُولَ كَقَبْرِكَ :

صَجَباً لِلْمَقَابِرِ فِي دِمَشقِ ،

تُزْهِرُ أَكْثَرَ مِنَ الحَقُولِ .

• يَكْفِي أَنْ تُقَطِّرَ الصَّخْرَاءَ فِي فَمِ الكَلَامِ .

(لَيْسَ المَعْنَى وَرَاءَ دِمَشقِ ، لَيْسَ أَمَامَهَا ،

لَا يَمِيناً وَلَا يَسَاراً ، ... المَعْنَى بَيْنَ قَدَمَيْهَا .

(كَلَامٌ رَبِيعٌ دَائِمٌ ، عَمَلٌ خَرِيفٌ دَائِمٌ .

• كِتَابُهَا المُقْبِلُ : « كَيْفَ عَشَقْتُ جَنِيّاً اسْلَمَ عَلَيَّ

يَدَيَّ . »

• لا يَلِيقُ بِأَحَدٍ أَنْ يَكُونَ شاعِراً كَمَا يَلِيقُ بِالوَلِيدِ بْنِ

يَزِيدِ .

- يُمكنُ أن يكونَ العَبَارُ في دِمَشقَ بَيْتاً لِلشَّمْسِ .
- أَفكَارٌ تَتَدَفَّقُ عَلَيَّ جَمْرَ العَالِ .
- زَمَنٌ أَعْمَى يَتَوَكَّأُ عَلَيَّ عُنْكَازٍ مَلِيءٍ بِالعَيُونِ .
- العِصْلَاءُ هُنَا أَقْصَرُ طَرِيقٍ لِلذَّهَابِ عَمُودِيّاً إِلَى السَّمَاءِ .
- السَّخِرُ وَالعِلْمُ هُنَا مَشْحُوقَانِ يُقِيمَانِ فِي زُجَاجَةٍ وَاحِدَةٍ عَلَيَّ رَفّاً وَاحِدٍ .
- يَتَعَلَّرُ وَصِفُ شَهْوَةِ الكَلَامِ حَتَّى جُنْدَرَانِ دِمَشقَ .
- الدَّائِرَةُ هُنَا نَبِيَّةُ المُسْتَقِيمِ ، وَالعُثْلُثُ الوَحْيِي .
- هُنَا يَنْزِلُ الرَّأْسُ وَيَرْتَقِي البَطْنُ .
- لَيْسَ لِكَلِمَاتِهِ أَرْجُلٌ ، لَيْسَ لِأفكارِهِ مَعَاوِلٌ ، ...
- كَلّاً ، مَا يَقُولُهُ لَا يَبْدَأُ وَكَيْمَةً ، وَلَا يَجْتَلِبُ عَنِيْمَةً .
- يَعْجِنُ الخُرْدَلُ بِالنَّخْلِ وَرَمَادِ البِلْوَطِ ، وَيَخْلِطُهُ بِاللُّوزِ وَالتَّزْيِيبِ ، لَكِنْ مِنْ أَيْنَ لَهُ العَمَاءُ؟
- كَيْفَ تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ خَالِقاً ، دُونَ أَنْ تَكُونَ مَاحِيّاً؟

دِمَشقُ ، -

قَلْبُ الشَّامِ وَجِلْدُ ، العَذْرَاءُ وَجَيْرُونُ ، قَلْبُ عَيْنِ الشَّرْقِ إِرْمُ ذَاتِ العِمَادِ ،
بَابُ الكَعْبَةِ . قَلْبُ ، وَأَسْلَمَ جِسْتِكَ إِلَيْهَا .

أَسْلَمَ جِسْتَهُ إِلَيْهَا ، -

في حارة العطنحال أمسقى إلى رأسٍ يتحدّث عن زوايا الرجال ،
وجسده في مكانٍ آخر ، في كلِّ رباطٍ للنساء - مهجورات ،
مطلقات ، متعبّلات ، صوفيّات ، حيثُ تجفّ الأيامُ عظامها على
خيوطِ الكتان .

وبين بابِ الجابية وبوابة الله ، امتدّثرت به طويلاً زاويةٌ كانت
تحتضنُ بيتَ يهوذا . تخيلُ البيت ، وهم أن يسألَ الحَجَرَ أو أيَّ
شيءٍ آخر : أإلى هذا البيتِ لجأَ القديسُ بولس ؟

وأخذتُ بعضُ الكلماتِ في قاموسِ الأسرارِ ، تظهرُ وتتحوّلُ إلى
أقواسٍ قزحٍ وإلى أشجارٍ وبُحيراتٍ . وأخذتُ بعضها يتحوّلُ إلى كائناتٍ
أكثرَ إيغالاً في السرِّ .

وضع يدهُ في يدِ كوكبِ الزهرة ليُعرفَ كيفَ يخرجُ سراً من بساتين
الزنبيةِ إلى بابِ ثوما جاراها القريب . لم ير في بابِ ثوما ، أو هكذا
ظنُّ ، إلا سفاهاً عالقَةً في الفضاءِ تتبادلُ القَبَل ، والآ مخلوقاتٍ
ليست لها الوجوهُ والأرجلُ التي تكون عادةً لحيواناتِ اللّغة . كانت
تشردهُ في رؤوسِ جبالٍ ويطون أودية . ولم يتذكّر عمرو بن العاصِ
الذي نزلَ على هذا البابِ . ولم يدعِسه هذا النسيان .

V - طَلْسَمَات

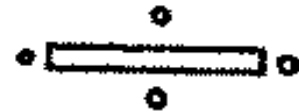
(من أجل الغوطة ، وتحيّة لعبد الغني النابلسي)



«ابحث عن جارية عذراء حان نكاحها
عزها ، وانفش شرها ،
أعطها ديكاً وقل لها : طوفي به حول الزرع .
يسلم الزرع من الآفات ،
ويهلك الزوان لوقته .»



«خذ أظلاف الماعز ، وقرن الأيل ، وأصول السوسن ، اسحقها جميعاً مع
البندق ، بخر بها البيت ،
تهرب الحيات ، وجميع الحشرات .»



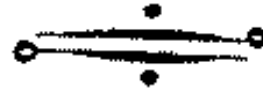
«خذ قلب يومة كبيرة
شدّه إلى جلد ذئب

عَلِّقْهُ عَلَى سَاعِدِكَ ،
تَأْمِنِ اللَّصُوصَ وَسَائِرَ الْحَشْرَاتِ ،
وَتُصْبِحُ مُعَظَمًا عِنْدَ النَّاسِ .



«اصْنَعِ مِنَ النَّحَاسِ تِمْثَالَ جِرَادَةٍ
جَوْفَهُ ،
ضَعِ فِيهِ جِرَادَةً وَسُنْدَهُ بِشَمْعٍ
ادْفِنَهُ ،

يَتَفَرَّقُ الْجِرَادُ ، وَلَا تَعِيشُ جِرَادَةٌ فِي ذَلِكَ الْمَكَانِ .



«خُذْ قَلِيلًا مِنْ حَبَّةِ الْبَرَكَةِ ،
وَقَلِيلًا مِنَ الْبَلْسَانِ
وَقَلِيلًا مِنْ قَشُورِ الزَّنْجَبِيلِ ،
امْرُجْهَا ، وَضِعِ الْمَرْجِيعَ فِي طَعَامِ ،
تَحِلَّ فِي مَنْ يَأْكُلُهُ رُوحَانِيَّةُ الْمَحَبَّةِ .
(المِلاحة في عِلْمِ الْفِلاحة) .

VI - شَطْحَات

ماذا يفعل جدارٌ ماذا يفعل دُخانٌ بينَ نَهْدَيْنِ ماذا يفعلُ شرطيُّ ماذا
يفعلُ مسجَنٌ بينَ الكَبِدِ والعَيْنِ هلِ الأفقُ هنا عمودٌ مِنَ المِلْحِ؟ يا
لهذا الهَواءِ الذي يَمَلأُ الفِضاءَ بالتَّجاعيدِ .

ماذا تفعلُ بهذا الكلامِ الذي تَتبَّشُهُ مُتَكَنِّئاً على صُلْبِكِ يَذْكَرُ بِأَدَمَ ماذا
تفعلُ بِمَدَنٍ لا تُطَلُّ إِلَّا على الهَاوِيَةِ ماذا تفعلُ بِشِوَارِعِ لَيْسَتْ إِلَّا
سِيولاً مِنَ النَّمعِ
خيرٌ لكَ أن تُعْطِيَ هَذِهِ الِيمَامَةَ مِنديلاً لَكِي تَمْسَحَ عَيْنَيْهَا .

سَرَطَانٌ يَلْتَهُمُ جَسَدَ الوَاقِعِ ، وفي الرِّيحِ وَرَقٌ لَيْسَ الشَّجَرُ بَلِ البَشَرِ . وَلَيْسَ
الرَّمَادُ فِي الهَوَاءِ بَلْ فِي الرِّثَّةِ ، وَلَيْسَ الوَحْلُ فِي الطَّبِيعَةِ بَلْ فِي
الطَّبِيعِ

- يَحْتَنِرُ دَائِماً عَنِ الِاتِّقَاءِ بِالْآخَرِينَ ، هَامِئاً :
- امْرَأَةٌ مِنَ الجِنِّ فِي ضِيافَتِي .
- الأَصَابِعُ أَزْهَارُ الجَسَدِ .
- يُؤْمِنُونَ بِالْكَوَاكِبِ ، وَيَأْتَلُونَ العِلْمَ بِالشَّمِّ .
- أَجْسَامٌ تَتَعَلَّمُ الرُّكُوعَ قَبْلَ أَنْ تَتَعَلَّمَ المَشْيَ .

• حَكَمَتُهُ الْأُولَى : النَّاسُ دَجَاجٌ يَسْتَلْمِنُونَ عَلَى
الْتَّعَالِبِ .

• فَوْقَ سَرِيرِهِ ، هَذِهِ السُّطُورُ :

«اللَّهُ صَدِيقٌ لِلْفُقَرَاءِ فِي الْحُلْمِ ،

وَاللأَغْنِيَاءِ فِي الْوَاقِعِ .»

• «رِزْقُ الْفَقِيرِ حِمَاةٌ يَمَسُّهَا حَتَّى الْمَوْتِ» : قَائِلٌ

هَذِهِ الْعِبَارَةُ قَدِيمٌ لَا يَزَالُ حَيًّا .

• يَصِفُ النَّاسَ :

«لِسَانٌ نَخَسِبُ ، وَقَلْبٌ قَاحِلٌ ،

وَهُوَ نَفْسُهُ «عَيْنٌ صَحِيحَةٌ وَجِسْمٌ ذَائِبٌ .»

• كَانَ يَقُولُ : «لَيْسَ الْإِنْسَانُ جَسَدًا ، بَلْ عِنْدَهُ

يَمْضِي شَيْءٌ مِنْهُ مَعَ كُلِّ يَوْمٍ يَمْضِي .»

• يُنَاضِلُ ، لَكِنْ كَسَمَنْ يُرِيدُ أَنْ يُحَوِّلَ الْحَجَرَ إِلَى

شُرُوفِ .

يَلْزُمُنِي أَنْ أَفَكَّكَ جَسَدَ اللَّيْلِ عَضْوًا عَضْوًا لِكَيْ أَقْدِرَ أَنْ أَكْتُبَ خُطْوَةَ وَاحِدَةٍ

مِنْ خُطَوَاتِ الشَّامِ ،

هَكَذَا لِكَيْ أَعْرِي نَهَارَهَا الْبَسُّ لَيْلَهَا ، وَمَا أَكْتُبُهُ يُمْلِيهِ التَّيَّةُ

إِنْ صَحَّ قَوْلُهَا : لِلْكَتَابَةِ شَيَاطِينٌ ، فَأَهْوَالُهَا هِيَ هَذِهِ الشَّيَاطِينُ

أَهْوَ الْوَقْتُ يُتَسَلَّحُ بِهَا ضِدَّهَا؟

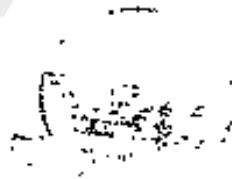
لَهَا لِهَذَا الْهَيْكَلِ الَّذِي عَاشَتْ فِيهِ أَرْتَمِيسُ ، أَنْتَرُ هَذِهِ الْبُقْعَ مِنْ

الحبر ، -
متى تفتتح بمشاوراً؟

(باريس ، أوائل كانون الثاني 1993)

الفهرست

13	أرواد يا أميرة الوهم
19	مرثية الأيام الحاضرة
27	مرثية القرن الأول
37	تحولات العاشق
63	أقاليم النهار والليل
65	فصل الحبر
80	فصل المواقف
105	قبر من أجل نيويورك
131	قداس بلا قصد ، تحليل احتمالات
153	مراكش - فاس ، والفضاء ينسج التأويل
181	ضوء الشمعة
203	مفرد بصيغة الجمع
205	تكوين
235	تاريخ
281	جسد
353	سيميائية
417	أحلم وأطبع آية الشمس



449

يد الحجر ترسم المكان
(رقيم البتراء)

471

المهد

497

المداحة

511

شهوة تتقدم في خرائط المادة

539

في حوضن أبجدية ثانية

www.alkottob.com

www.alkottob.com

www.alkottob.com



عشنا المسقى وابنتك
والجيشية الاوضاع

WWW

To: www.al-mostafa.com

www.alkottob.com